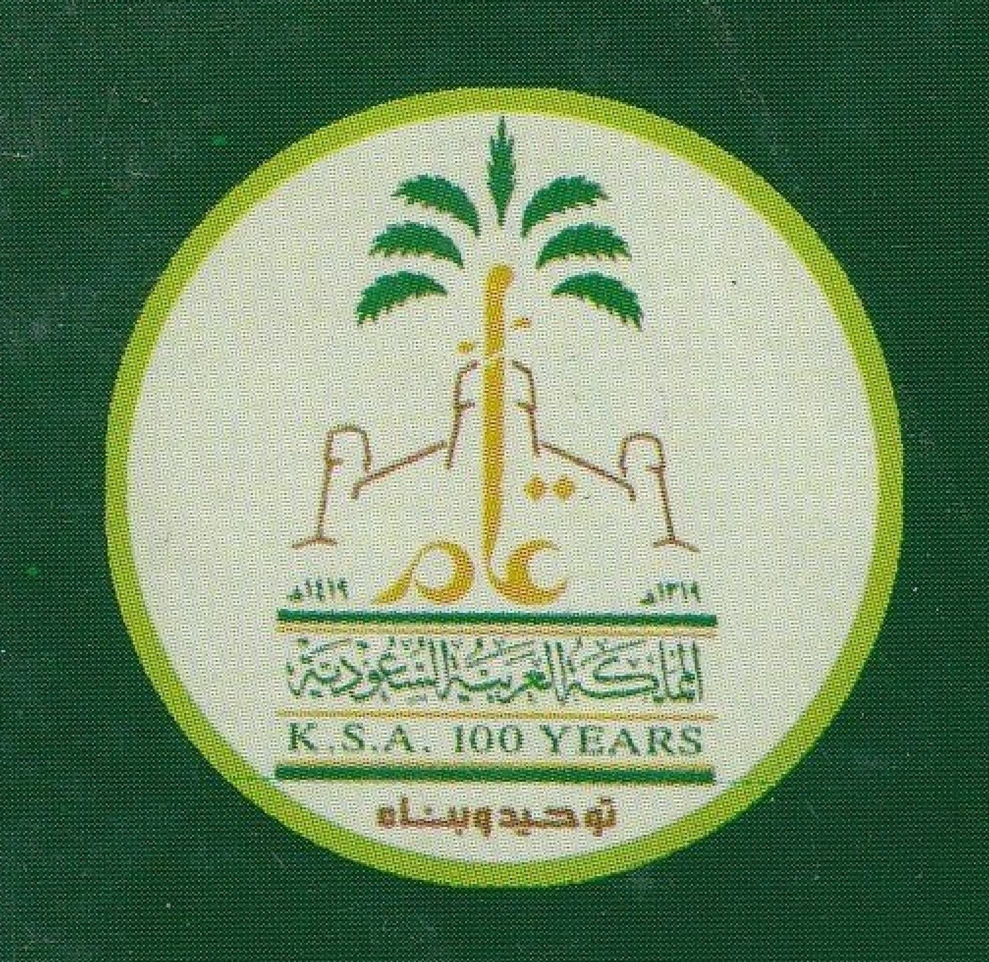




إبن سعود

ملك الصحراء

تأسيس المملكة العربية السعودية

إيف بليسون

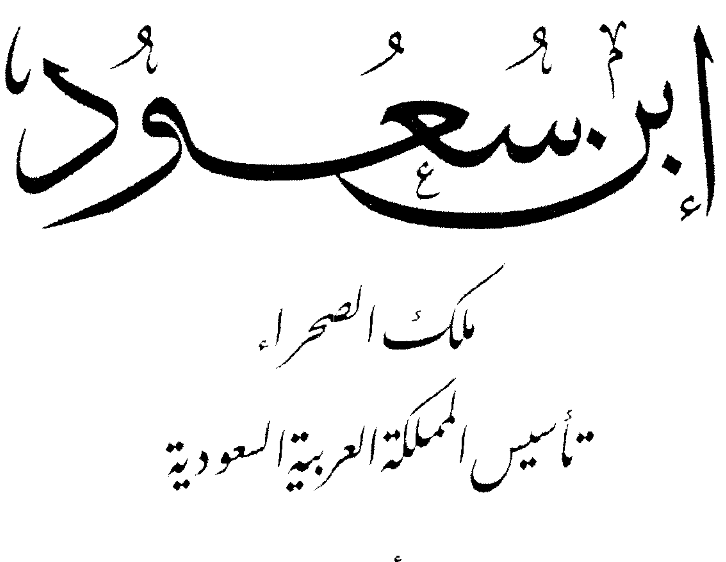
ترجمة وتعليق

د. عبدالله بن حمد الدليمي

د. عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

الرياض ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م



تأليف

إيف بليسون

ترجمة وتعليق

د. عبدالله بن حمد الحقيل — د. عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي

صدرت بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

الرياض ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

ح مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بيسون، ايف

ابن سعود ملك الصحراء : تأسيس المملكة العربية السعودية / تحرير عبدالله حمد الدليمي، عبدالله عبدالرحمن الربيعي .- الرياض،

٣٨٦ص ؛ ١٧X٢٤سم

ردمك ٦-٣٦-٦٢٤-٩٩٦٠

١ - السعودية -تاريخ-الملك عبدالعزيز ٢- عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ملك السعودية أ-الدليمي ، عبدالله حمد (محرر) ب - الربيعي ، عبدالله عبدالرحمن (محرر) ج- العنوان .

ديوي ٩٥٣،١٠٥ ١٩/٢٠٢٤

رقم الإيداع : ١٩/٢٠٢٤

ردمك : ٦-٣٦-٦٢٤-٩٩٦٠

نشر الأصل الفرنسي بواسطة :

Les Editions des Trois Continets a Lausanne

وطبع في سويسرا بواسطة :

L'lmprimerie des Remparts SA, a Yverdon. Mars 1980, Suisse

والمكتبة تشكر مؤلف هذا الكتاب ، الذي رحب بترجمته إلى اللغة العربية

حقوق الطبع والنشر باللغة العربية محفوظة

لمكتبة الملك عبد العزيز العامة

الرياض ١٤١٩هـ

ص.ب:٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢ ـ هاتف: ٤٩١١٣٠٠

ناسوخ: ٤٩١١٩٤٩ ـ برقياً: ٤٠٦٤٤٤

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي



Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

تصدير

الحمد الله على نعمة التوحيد والوحدة ، والشكر للمولى عز وجل على شرف حمل رسالة نبي الأمة ، وخدمة أقدس بقعتين على وجه الأرض ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كانت هذه الأمّة ـ ومازالت ـ تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الإنساني بعد ما تشرفت بهبوط الرسالة الإسلامية على أرضها الطاهرة ، لتنير ظلام العالم وتبدد جهالته ، تنجب الرجال الأفذاذ على مدار التاريخ ، فخرج من صلب أرض الجزيرة العربية ، من قيضهم الله تعالى ، ليعيدوا لهذه البلاد الغالية مجدها وسؤددها ويدخلوها التاريخ الحديث بعد قرون من التنازع والتناحر والفرقة وانتشار الخوف على النفس والعرض والمال ؛ فكان الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ الذي حقق فيها ما يشبه المعجزات في فترة زمنية محدودة ، حينما زاوج بين الماضي والحاضر ، في أسلوب عزَّ أن يكون له مثيل في العالم ، وأصبحت إنجازاته ـ طيب الله ثراه ـ دينًا على عاتق أجيال هذه الأمة حاضراً ومستقبلاً .

انطلقت مسيرة التوحيد المظفرة في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ ؛ لتتوالى مسيرة الوحدة والبناء لهذه البلاد . والآن وبعد مسيرة المائة عام التي نحتفي بها جميعًا ؛ تخليداً لذكرى استرجاع الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ لمدينة الرياض ، والإعلان عن هذه الانطلاقة المظفرة والميمونة

لتوحيد أجزاء الجزيرة العربية في وحدة عظيمة لا مثيل لها في العصر الحديث ؛ وتقديراً لما تحقق من انجازات عظيمة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز ـ حفظه الله ، فإن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة التي تشرفت بحمل اسم الملك المؤسس والتي أنجزها ورعاها بخيره وبره صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني والرئيس الأعلى لمجلس إدارة المكتبة ـ حفظه الله ـ تشارك في هذه المناسبة الغالية علينا جميعًا بمجموعة من المشاريع العلمية والتوثيقية لتاريخ الملك المؤسس ـ طيب الله ثراه ، حيث تأتي ترجمة كتاب **(ابن سعود ملك الصحراء: تأسيس المملكة العربية السعودية)** إلى اللغة العربية ترجمة صادقة لاهتمام المكتبة بدعم ومساندة الدراسات التي تخدم تاريخ الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ وتاريخ المملكة العربية السعودية وتراثها الوطني.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

افتتاحية

باسم الله ، والحمدلله ، والصلاة والسلام على محمد، عبدالله ورسوله، وعلى آله وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وصحابته أجمعين، وأتباعه على الحق والحقيقة الى يوم الدين.

أما بعد :

فإسهاماً في فعاليات الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، كونت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض ، لجنة لاختيار كتب تاريخية ، الفهاغربيون ، أو شرقيون بلغات شتى ، لترجمتها الى اللغة العربية . واختارت هذا الكتاب ، لترجمته الى اللغة العربية ، انطلاقاً من قناعات علمية ، بجدواه الفكرية والتاريخية ، وكان لنا شرف القيام بتعريب نصوصه .

هذا الكتاب كان في الأصل رسالة علمية نال بها صاحبها درجة علمية من جامعة أوروبية ، ثمنت أهمية الموضوع ، وقدرت أبعاده ، وحظيت الرسالة بمناقشة من قبل أساتذة متخصصين.

والباحث دبلوماسي سويسري ، طاف البلاد العربية ، ورصد أحداثها ، وأقام في المملكة عامين ، واتصل بشخصيات مهمة ، استقى منها معلومات كانوا فيها شاهدي عيان.

أما الموضوع ، فهو يتمحور حول شخصية عربية ، كانت ولاتزال ، تشغل أذهان المهتمين من عرب وأجانب ، فالملك عبدالعزيز ، بانجازه الحضاري ، لم

يكن قائد معركة وانتهت ، أو ظاهرة طارئة واختفت ، بل كان حالة فريدة في تفكيره السياسي ، وحنكته العسكرية ، وفراسته التي من خلالها استشرف المستقبل .

والأسلوب الذي عالج به الباحث هذه القضية ، لا نعتقد - حسب علمنا- أن أحداً تناول هذه القضية بهذا الشكل التحليلي ، فهو يناقش كل قرار اتخذه الملك عبدالعزيز بدءاً من دخوله الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، وانتهاءاً بإعلان «المملكة العربية السعودية» عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢هـ

لقد رجع الباحث الى مئات المراجع بلغات شتى : العربية والتركية ، الإنجليزية والفرنسية ، الألمانية والإيطالية وغيرها ، كتباً منشورة ، أو مخطوطات لم تحقق ، أو وثائق محفوظة ، أو مقالات في جرائد ومجلات ، أو مقابلات خاصة .

لقد أسهم هذا الباحث الغربي ، في القاء مزيد من الأضواء العلمية الكاشفة ، على شخصية هذا الموحد العظيم ، برؤى جديدة ، وتحليل منطقي محايد ، من خلال منهج أكاديمي التزم به ، وهذا يضفي على الدراسة مصداقية ، تعطينا صورة جلية عن موقف العقلية الأوروبية من أحداث الجزيرة العربية بعامة ، والملك عبدالعزيز بوجه خاص .

أما ما إسهامنا في نشر هذه الدراسة فيكمن في النقاط الآتية :

- استقرأنا النصوص ، كما وردت ، والأفكار كما أرادها المؤلف ، ثم البسناها ثوباً عربياً قشيباً ، دون أن يتغير المضمون ، محافظين على الأمانة العلمية ، وفي الوقت نفسه ، آخذين بعين الإعتبار ، أننا نتحدث مع قاريء عربي ، نحتاج في مخاطبته الى تطويع الجملة الفرنسية ، والصور البلاغية لهذه اللغة ، لتكون متقبلة ، لدى العرب مبنى ومعنى .

- حررنا النصوص المترجمة ، تحريراً يليق بلغتنا الخالدة ، وهذه المرحلة ، تطلبت جهداً كبيراً، لتحقيق المعادلة الصعبة : الحفاظ على النص الأصلي ، ومتطلبات النص العربي ، فكانت هذه الصورة التي بين أيديكم .
- علقنا على بعض فقرات المؤلف التي احتاجت الى تعليق ، إما تجلية لغامض ، أو زيادة ايضاح ، أو تصويب خطأ . وحملت تعليقاتنا علامة (م١ ، ٢ ، . . الخ) .
- أثبتنا هوامش المؤلف كما في الأصل الفرنسي ، ولكن أبرزنا المصادر العربية بلغتها الأم ، وأعقبنا كل باب بهوامشه ، واقتصدنا في الحشو ، سيما وأن المؤلف كان يعني بذلك القاريء الغربي ، أما القاريء العربي فليس بحاجة الى إطناب في مسائل هي بالنسبة له من البدهيات .

ولقد صدر المؤلف كتابه بعبارة للملك عبدالعزيز : «اللهم إن كان في هذا الملك خير لي وللمسلمين ، فابقه لي ولأولادي . وإن كان فيه شر لي وللمسلمين ، فانزعه مني ومن أولادي» ونحمد الله أن الملك عبدالعزيز صدق بنيته ، وهاهي الدولة المباركة تبقى مزدهرة ، لأنها خير لشعبها ، والعرب والمسلمين ، والعالم قاطبة .

إننا نشكر مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، على تشريفها إيانا بهذا العمل العلمي سائلين المولى جلت قدرته أن يحفظ لهذه البلاد قادتها وسؤددها .

والسلام عليكم . . ، ،

المترجمان

د . عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي   د . عبدالله بن حمد الدليمي

الرياض : شوال ١٤١٩هـ



تقديم المؤلف

أوحت شخصية عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بشيء من الانبهار . ساور عقول عدد من السياسيين والدبلوماسيين والسّواح والمؤرخين والشعراء ، على مختلف درجاتهم ، سواءاً منهم من كان قريباً منه ، أو تعرف عليه ، أو عاش معه. لقد تحدثت رواياتهم عنه ، عن جاذبيته ، وقوة شخصيته ، وأخذ الحماس مأخذه لدى البعض فرسموا له صورة بطولية ، لرجل استعاد ملك أجداده ، وتوج كفاح ثلاثين عاماً ، بتأسيس المملكة العربية السعودية الحالية . إن هذا الكتاب ثمرة هذا الانبهار ، ولا يمكن أن يخفي بناؤه العلمي مراحل تطوره .

حالة استثنائية ، ورجل ملاحم ، وقائدٌ فوق العادة ، مزايا ترد بكثرة ، بصورة مملة ، غير مرتبة ، أفقدها التكرار جوهرها ، حتى أصبحت لا ترقى الى مستوى من يستحقها ، ميدان الملحمة ، موشوم برائحة البطولة ، وآثار البطل . الكثبان الرملية تضوع عبقاً بذكرياته ، وتطرق الخيام إجلالاً لفارس الصحراء ، وتزهو قصور الرياض وبيوتها ، بصدى خالد ، اسمه عبدالعزيز . هكذا يشمخ الحلم ، حقيقة ، تسمق في بلاد العرب ، حيث اللغة الواضحة ، حيث العربي يتشبث بماضيه ، وعيناه ترمقان مستقبله ، بإلهام الإيمان بالله ، حيث الشرف الذي يعبق في أردان تاريخه العظيم ، وحياته المعاصرة .

من هذا الحلم الحقيقة ، من هذه الملحمة العريقة ، ولد هذا الكتاب ، نتاج استلهام ، فهل وفق في لم شعث الموضوع ، المتوافق منه ، والمتغاير ؟ بالنسبة للتفكير الغربي ، فهو يعتبر - للأسف - أن أيّ صورة لمعالجة هذه القضية هي

«غير علمية» . ولا يتأتي ذلك إلا لشاعر ملهم يصف «المغامرة السعودية» ، لأن منهج التأليف يغلب عليه الجانب العقلي ، مثلما يُشيرعبد القدوس الأنصاري في مقدمة كتابه .[١] ولكن هذه الصورة تملكتني ، والعديد من المؤلفين ، وبخاصة من البريطانيين ، الذين حللوا هذه الشخصية بسعادة غامرة .

في اللغة الفرنسية كان ميشيل بنوا[٢] الوحيد الذي استهل عمله ، بتعبير حر ، يجوب وصفاً أرجاء الجزيرة العربية « خلافاً لكثير من الآخرين من أصقاع العالم ، فإن هذا البلد - حيث الغاية الأسمى للأرض - قد اختص وحده بالنور والسماء»[٣] هنا ، حيث من يمشي على الأرض ، كأنما يحلق في السماء ، ومن يعيش في الدنيا ، كأنه في عالم آخر ، يكتنفه الخيال ، تبزغ من ثقوب سحبه ، أنوار ، وشموس ، في أفق لا متناهي ، وتظل حقيقة واحدة : الله موجود . .

يُعتبر كتاب ميشل بنوا عظيماً في بابه ، ومع أن منهجه علمي ، إلا أن لغته الشعرية ، أضفت على أسلوبه مسحة فنية ، فجاءت أسطره مموسقة شجية ، تتناغم مع طبيعة الموضوع ، يشبه الى حد ، لورنس ، غير أن لورنس ، ذو شخصية إنطوائية ، لا يهمه من وصف الصحراء ، إلا ما يعكس صورته الشخصية ، وعليها مدار حديثه . فإذا كان لورنس قد استطاع أن يكتب عن عبد العزيز بن سعود ، فما قاله قد قيل ، وماكتبه تلخيص لماكتب ، وما أورده هو بمثابة تقرير في التاريخ السياسي ، دونه موظف لموظف آخر . لقد تشبث لورنس بضعف الهاشميين وطبيعتهم المزاجية ، وتوهم في قدرته على ترك بصمته الشاذة ، على العالم العربي لأسباب دنيئة .

كنت مجبراً ، أن أكون أسيراً لمعايير البحث الأكاديمي ، فكتابي هذا ، هو في الأصل أطروحة جامعية ، تلزمني بضوابط علمية ، حاولت أن أجد فيها مساحة للانبهار ، والحلم ، والملحمة ، والحماس ، وآمل أن أكون قد نجحت في تزاوج هذه الأشياء ، دون أن يطغى جانب على آخر . مع حرصي على حيوية الأحداث

وإيقاعها التصويري . ولأن مصادري السعودية كانت ذات مستويات متباينة : من حيث القيمة العلمية ، والترتيب المنطقي ، ودرجة المصداقية ، وعشوائية الإخراج ترتيباً وفهرسة . إلا أن مصادري لا تقبع في أضابير المحاضر ، وملفات الوثائق الإدارية . بل استقيت معلوماتي من أفواه الرواة ، ومن قصائد الشعراء ، أو عبارة شاردة من مؤرخ ، عشق الأسطورة ، أكثر من كتابة التاريخ . لقد استلهمت معلوماتي خلال العامين اللذين قضيتهما في المملكة العربية السعودية ، موظفاً في مكتب دبلوماسي مكيفّ ، غادرته مراراً الى الصحراء ، أتمتع من شميم عرارها ، ورائحة رملها ، أتفيأ ظلال خيمة مزركشة ، أستمع الى ثرثرة بدوي ، يخيل إليه أنه يعرف كل شيء .

يقول ديرك هابوود[٤] : إن معظم الغربيين الذين كتبوا حول العالم العربي يمكن تصنيفهم إلى صنفين : الأول ، وهم أولئك الذين يعتبرون الواقع العربي ممثلاً في قلب المدن الكبرى ، وبخاصة في دهاليز الأسواق الحضرية حيث التاريخ السياسي ، والاقتصادي والثقافي للعرب الذي نشأ وتفكك ، ولربط حلقات التاريخ يجب أن يُبحث عنها من خلال السلوك ، والأفكار ، و مواقف الأمراء ، والعلماء ، و الوجهاء ومن كبار التجار . الصنف الآخر ، يستعرض العالم العربي من خلال دروب الصحراء ، ومسالكها ، حيث يشعر هؤلاء بمتعة صحبة البدو ، والترحال بين القبائل . وتلك النظرتان متكاملتان في تفاعلهما المتماثل مع نمطي المجتمع : الحضر والبدو .

حقيقة ، كانت أعمال ابن سعود ، ذات تأثير على الحاضرة والبادية ، وإن انبثقت من الصحراء كسلطة قبلية ، إلا أنها تطورت الى تنظيم سياسي يتمثل في «دولة» . ويزعم ديرك هابوود ، ومعه فيلبي ، بأن المصادر السعودية ينقصها المفهوم العلمي . لذلك يعتبر كتاب « فيلبي » السفر الوحيد والشامل عن تاريخ أسرة آل سعود ، وقد اعتمد على توظيف تجربته الواسعة على الأرض السعودية ،

وعلى موضوع السكان الأصليين ، ويمكن اعتبار مؤلف فيلبي فيما يختص بالتاريخ السعودي ، مصدراً، شريطة أن يبقى في الذهن دائماً أن حماسه في ذلك كان بسبب تعلقه وتأثره غالباً بالأحداث والاستنتاجات التي استنبطها [٥] .

لقد جاءت مصادري البريطانية لتعمل على توازن تجربتي السعودية . والعمل الرائع الذي قام به البريطانيون« الناطقون بالعربية» المكلفون بكتابة التقارير عن هذه المناطق ، كانت متفقة بصورة جيدة مع المعايير الأكاديمية التي فرضها منهج البحث . وقد سبق وأن تطرق إليها قري ترولر ، في كتابه الذي ظهرفي عام ١٩٧٦م[٦] . فهو يصف بإتقان الجزء الذي استحوذ على السياسة البريطانية في تكوين المملكة العربية السعودية . وكل ما بقي من وجهة نظري ، هو الكتابة في شيء آخر ، أكثر أهمية في نهاية الأمر ، وبمعنى آخر عمل ابن سعود ، لأنه أصبح هو المنفِّذ وليس بريطانيا العظمى .

إن كتابي هذا يعتبر محاولة ، لأنه يعنى بتحليل الحوادث لا وصفها بصورة شاملة . فكلما أزداد إهتمامي بالمملكة العربية السعودية وبأعمال ابن سعود ، كلما إتضح لي أنه يوجد ، لدى ابن سعود ، في الأصل ، إرادة إستراتيجية محددة . وأدركت سلفًا ، أن ابن سعود حدد لنفسه استراتيجية ، و سياسة ثابتة ، لم يحد عنها قيد أنملة ، كان يصوغ قراراته التكتيكية حسب أهدافه الإستراتيجية . وقد حصرت القرارات التي اتخذها ابن سعود ، بين عامي ١٣١٩ و ١٣٥١هـ/ ١٩٠٢و ١٩٣٢م[٧] ، باعتبارها نابعة من إرادة ، وتصب في أهداف معينة .

وهذه الدراسة ، تناقش عملاً سياسياً يخص «حاكماً بعينه » . وهي بهذا المفهوم ، تقليدية ، ترتبط بقرار شخصي من فرد واحد ، اضطرته الحوادث الى أن يقف دون تحقيق غاياته ، لأن إرادته قصرت به عن إدراك أهدافه . وليس الأمر

كذلك ، فإن تاريخ ابن سعود هو تاريخ الإرادة المستمرة الممتدة بإتجاه أهداف محددة. وفي ظل هذا الجانب التاريخي لتأسيس المملكة العربية السعودية تبدأ وتنتهي دراستي .

ومن أجل الدخول بشكل أفضل في هذه السياسة ومن أجل محاولة إبراز ما قامت به الاستراتيجية والتكتيكات المتتابعة لابن سعود ، رسمت خطاً تسير عليه الدراسة منذ اتخاذ القرار ، ولمواجهة نقص المعلومة ، وغياب المصادر السعودية الأولية ، تقمصت أحياناً شخصية ابن سعود (٨) . وقد عمدت الى استخدام المنطق العقلي ، وأنا أختبر جوانب هذه القرارات وآثارها الاستراتيجية ، لكي أسد الثغرات الوثائقية . وبعد ذلك يكفي أن تقدم المعلومات المتاحة ، والمجزأة أو تلك التي تعتبر ثانوية من الجهة السعودية ، وتلك الأكثر شمولية والمهمة دبلوماسياً من جهة البريطانيين ، في إطار تكوين تصور متكامل لمختلف الخيارات الممكنة التي عُرضت على ابن سعود. ويمكن أن يصبح التصور كاملاً بالإستئناس بالروايات الشفوية أو المكتوبة للمراقبين العرب أو الأجانب الذين شاركوا بصفة أو بأخرى في الأحداث .

ومما سهل دراسة استراتيجية ابن سعود، كون هذه الأعمال ، التي أسست بمفاهيم اختيارية ، و وفق اختيارات تكتيكية ممتدة باتجاه هدف استراتيجي ، كانت ثمرة لقرارات مُنفّذ وحيد، ذي سُلطة مطلقة . ومن خلال البواعث ، والنفسية ، والعقلية ، يمكننا وصف وتحليل شخصية ابن سعود ، عبر أنموذج « المدبر العقلاني» . لقد عثرت على هذا المدخل إبان إقامتي سنتين في المملكة العربية السعودية ، حيث عثرت على مفتاح هذا العربي ، فولجت الى أعماق دخيلته ، وأنا مفعم بالألفة ، مع شخص ، هو ابن سعود.

وبهذا المفتاح ، دلفت الى وثائق الإرشيف البريطاني ، ومذكرات و أوراق شخصية لموظفين تعاملوا مع ابن سعود ، وأخيراً كتابات فيلبي ، وأمين الريحاني، و ديكسون ، ومصادر سعودية [٩] . وهيأت لي هذه الدراسة الكشف عن أعمال ابن سعود بين عامي١٣١٩و١٣٥١هـ/ ١٩٠٢ و١٩٣٢م ، مما يندرج تحت سلسلة من القرارات الكبيرة والصغيرة ، التي كان مضطراً الى اتخاذها في أوقات متفاوتة ، وطبقت « أنموذج المدبر العقلاني» على تلك القرارات . لأتحقق من أن كل قرار، يحقق الأهداف بأعلى مستوى ، وأقل تكاليف . فتوصلت إلى حصر الأهداف الجوهرية التي اضطر ابن سعود إلى تحديدها منذ دخوله الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م. وأكبر النتائج التي حصلنا عليها في المرحلة الأولى ، هو ما أوضحه التحليل من أن هذه الاستراتيجية أو الأهداف ظلت ترواح مكانها منذ ذلك العام ، إلا أن استراتيجية ابن سعود أصبحت واضحة منذئذ .

وتضمنت المرحلة الثانية من بحثي التعويل على «الذات العقلية »، وتناول كل قرار تكتيكي متتابع ، وإخضاعه لتعريف جلي لتلك الاستراتيجية بأكملها ، أو بما يعبر عنه شيلينق : « حل المشكلات بالتكليف أوالإنابة» [١٠] .

أمام كل قرار جزئي أو تكتيكي ، تخيلت نفسي ، ابن سعود ، وأنا أختبر كل خيار على حدة ، وأقوم النتائج بحساب الربح والتكلفة ، فيما يتعلق بالأهداف الاستراتيجية الجوهرية . فرسمت شبكة من القرارات التكيكية ، بصورة متضافرة ذات استراتيجية واضحة مستمرة . والقرارات التي اتخذها ابن سعود بين عامي١٣١٩ و ١٣٥١هـ/ ١٩٠٢ و١٩٣٢م كانت مضيئة في أسبابها وفي دوافعها . وبعد التعرف على استراتيجية ابن سعود ، وشرح قراراته الكبيرة ، الفيت ذاتي ، أكتب عمّا أسميه« تأسيس المملكة العربية السعودية» ، ذلك الذي تأتى بعد

سلسلة من القرارات التكتيكية المتوالية ، وإن كان بعضها متناقضاً مع الأهداف الاستراتيجية المحددة منذ دخول الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م .

وللقاريء أن يثق في أن هذه الدراسة التاريخية راعت ، القواعد الأكاديمية . أو أحسبها كذلك . وأن المسحة الجمالية الشعرية ، التي تبرق بين ثنايا السطور ، جاءت لتلطف جو البحث العلمي ، حول ابن سعود ، و أطرح بين أيديكم التحليل العلمي في البرهان العقلي ، ومن خلال الوثائق ، و الأحداث .

وبعد ، فإن هذه الدراسة هي ثمرة سنتين قضيتهما في المملكة العربية السعودية ، حيث كنت أشغل وظيفة دبلوماسية لدى السفارة السويسرية في جدة ، ونتاج سنة أمضيتها في البحث والتدوين بين بريطانيا وسويسرا . ولا أنسى أن أشكر دائرة الشؤون الخارجية للاتحاد السويسري ، على ماقدمته لي من تسهيلات لإنهاء عملي .

وأشكر أيضاً الدكتور شارل نيرو في باريس ، الذي كان له دور كبير في بلوغ هذا المشروع مرحلته النهائية . والشكر موصول لكل الشخصيات السعوديه التي اهتمت بهذا العمل ، وأخص منهم الدكتور رشاد فرعون ، المستشار الخاص لملوك آل سعود والدكتور مدحت شيخ الأرض الذي كان منذ عام١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، الطبيب الخاص لعبدالعزيز ابن سعود ، و تولى وظائف دبلوماسية مهمة ، وكنعان الخطيب ، كاتب ، وشاعر رافق الملك فيصل فترة طويلة ، ومحمد حسين زيدان ، الأمين العام [الأسبق]لدارة الملك عبدالعزيز والأستاذ الأديب عبدالقدوس الأنصاري ، وأشكر كذلك وزير الإعلام وعلى الاخص المدير العام للصحافة عبدالكريم إسماعيل جمال .

ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ جاك فريمون ، أستاذي في تاريخ العلاقات الدولية ، و الأستاذ بيير دو سناركلن ، على نصائحهما وآرائهما ، الناقدة ، الوديّة ،

التي أمدتني بفائدة كبيرة . ويجدر التنويه هنا بالمساعدة الثمينة التي قدمها لي مركز الشرق الأوسط من كلية القديس أنتوني في أكسفورد ، و بالتحديد من ديريك هبوود و مديره ، وديانا قريموود -جونز ، مساعدته ، المسؤولة عن « أوراقه الخاصة » الموجودة في هذه المؤسسة . فقد أفدت من خبرتهم ومعرفتهم بشؤون الجزيرة العربية في البحوث التي أجريتها سواءاً في المجموعات الخاصة التي يحتفظون بها أو في مكتبة مركز الشرق الأوسط .

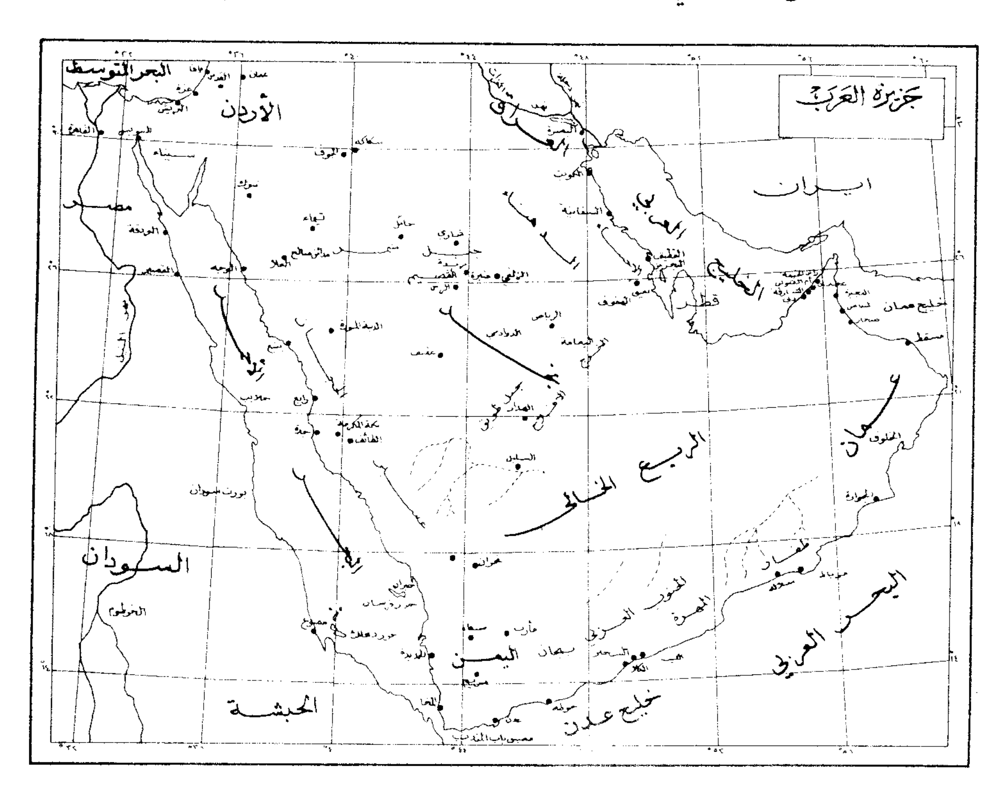
ومن جانب آخر أود أن أشير إلى المساعدة التي تلقيتها لمجمل عملي أو للنقاط التفصيلية من السير جون جلوب ، الذي كان في العراق إبان تمرد الإخوان ، وكان لبقائه في الشرق الأوسط مدة طويلة ، أثر في إثراء معلوماته العسكرية في هذه المنطقة ، و خبرته بسكان البادية فيها . وجورج رينتز ، الموظف المتقاعد من أرامكو وهو ذو معرفة بتاريخ أسرة آل سعود، وهو اليوم عضو في «Woodrow Wilson International Center for Scholars» و «Smithsonian Institution» ، وأخيراً بايليويندر Bayly Winder ، عميد كلية الآداب والعلوم في جامعة نيويورك ومؤلف لكتاب أساسي حول أسرة آل سعود في القرن التاسع عشر : "Saudi Arabia in the Nineteenth century, New York, St. Martin's Press,1965."

وأعبر أيضا عن شكري لـ " Controller of Her Majesty's Stationery Office " لتمكيني من التدوين ، بدءاً من " Crown Copyright Records " إلى " Public Records Office " وانتهاءاً بـ " India Office Records " .

كما أدين بُالعرفان لوالديّ ، اللذين قبلا إنشاء معجم لهذه الدراسة ، وهي مسألة شاقة ومهمة ، وكان لتشجيعهما واسهامهما القيم ، أثر في ظهور هذا العمل . وأخيراً ، فإن هذا الكتاب لم يكن ليرى النور ، لولا الدعم المتواصل والحنان المتدفق ، منها . إليها أهدي هذا العمل العلمي . الى زوجتي روزماري .

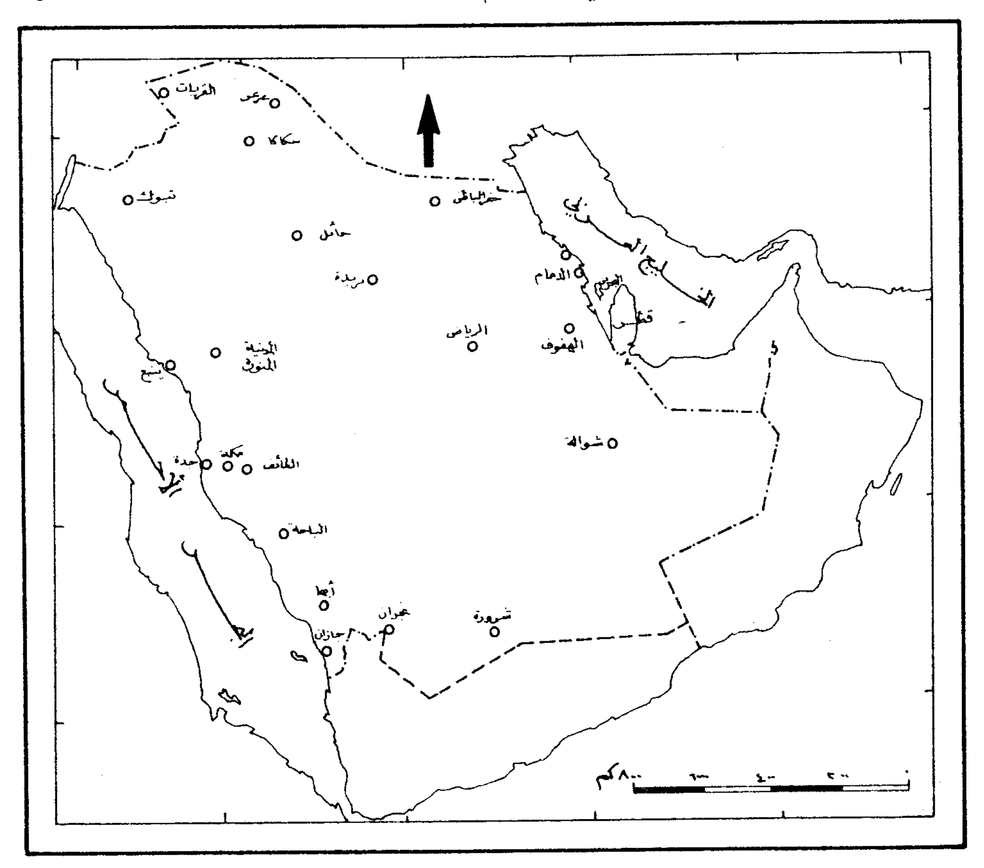
تمهيد تاريخي

الجزيرة العربية ، أرض الهمت منذ الأزل خيال البشر ، يطلق عليها العرب . « جزيرة العرب » ، إنها منشأ الساميين ، سلالة عرقية لغوية ، تنتمي اليها شعوب عديدة ، تمتد من الأطلسي إلى الفرات ، يعتبرونها مهد أسلافهم .



هي جزيرة ، تحاط بسلاسل جبلية من جهات ثلاث ، من شمال الحجاز حتى سلسلة عمان ، مروراً باليمن والنتوء المتعرج لحضرموت ، تنحدر صحاريها نحو أعالي الخليج العربي . في وسطها نجد التي تبدأ من جبال الحجازغرباً ، الى الدهناء شرقاً ، وتربط الدهناء بين صحرائي النفود شمالاً ، والربع الخالي جنوباً ، وهما أكبر صحاري الجزيرة العربية . وتشكل نجد جزيرة وسط الجزيرة. وتنقسم إلى أقاليم ومناطق عدة:

مناطقها الوسطى : العارض ، والمحمل ، وسدير ، والوشم . وفي جنوب نجد: الخرج ، والأفلاج ، و وادي الدواسر ، الى حدود نجران . وتحد نجداً شمالاً القصيم، وجبل شمر . في القصيم واحات ، ومدينتان هما : بريدة وعنيزة ،



وهما مركزان تجاريان لبادية وسط الجزيرة . أما جبل شمر ، فهو يلي النفودمن الجنوب ، وقاعدته حائل .

وتمتد من جبال الحجاز في الغرب إلى ضفاف الخليج في الشرق سهول صحراوية فسيحة ، تتخللها تلال ، وسلسلتان جبليتان تمتدان من الشمال إلى الجنوب ، هما جبل طويق ، وتكوين العرمة . ويتسم مناخ سواحل الجزيرة بحرارة ورطوبة شديدتين صيفاً ، أما مناخ وسط الجزيرة فحار وجاف . والأمطار موسمية ، متفرقة ، نادرة في الغالب ، وإذا نزلت الأمطار بكميات كافية ، سالت الأودية ، التي تنتشر في نجد ، وعلى ضفافها نشأت المراكز الحضرية ، من واحات وقرى . وأهم تلك الوديان وادي الرمّة الذي ينطلق من حرة خيبر الى أن تحتجزه رمال الثويرات ، و وادي حنيفة الذي يسيل من جبال طويق شمال غرب الرياض ، ويتجه إلى الجنوب، ووادي الدواسر الذي يخترق الجزء الجنوبي لحافة طويق ، وينتهي شرقاً برمال الربع الخالي(م١) .

شهدت هذه الجزيرة ، مولد أعظم الأنبياء ، ومبعث الإسلام ، فيها مكة مهبط الوحي، فيها شع نور الاسلام ثالث الديانات السماوية قبل مايزيد على أربعة عشر قرناً . إنها أرض تضم في صحاريها شعباً يمارس حياته البدوية بعفوية وتلقائية ، كما يزاول شعائره الدينية ببساطة ، يتعامل مع محيطه الطبيعي بأسلوب فطري معتاد. وحسب رأي ابن خلدون فإن البداوة والدين ، عنصران متحدان ، يصنعان قوة ، ويشيدان حضارة ، لأن فطرة البدو تهيؤهم لتقبل تعاليم العقيدة .

وبعد قرون من السبات ، استيقظت الجزيرة . على صدى دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ،

(م١) استعنا في تصويب الوصف الجغرافي بكتاب " جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية" لمؤلفه . أ. د عبدالله الوليعي . [المترجمان].

وأطلق عليها البعض « الوهابية » نسبة الى هذا الشيخ[٢] ، ثم شهدت الجزيرة تطوراً ملاحياً أضفى أهمية على ساحلها الغربي ، بعد فتح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ-١٨٦٩ م . فأضحت جزيرة العرب معبراً بحرياً وبرياً وجوياً . و أخيراً ، أدى اكتشاف النفط الى ظهور نهضة حديثة فيها .

ويمكن تقسيم التاريخ السعودي الذي يبدأ من قيام دولة آل سعود سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥ م[م٢] حتى تأسيس المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ، إلى مراحل :

لقد شهدت نجد والأجزاء الداخلية للجزيرة العربية ، ظهور كيانات قبلية ، ضعفت فيها الروح الدينية ، وتسللت اليهم تأثيرات عقدية غير إسلامية ، كما ذكر بلجريف الذي رصد طقوساً وثنية كانت تمارس[٣] .

وكانت الدولة العثمانية ، هي القوة الأجنبية الوحيدة الضاربة في الحجاز ، حيث يشرف السلطان العثماني ، خليفة المسلمين ، على حماية المدينتين المقدستين ، مكة ، والمدينة[٤] ، معترفاً بسلطة الشريف الهاشمي ، المنحدر من سلالة الرسول ﷺ ، وحكمت أسرته مكة منذ القرن العاشر الميلادي . وتوسع نفوذها حتى بلغ نجران ، وشمال اليمن الذي خضع جزء منه للعثمانيين في القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، وظل الأئمة الزيدية مسيطرين على الأقاليم الجبلية منه[م٣] .

(م٢) ظن المؤلف أن تأسيس الدولة السعودية كان عام ١٧٥٠م ، والصحيح ما أثبتناه . [المترجمان] .

(م٣) في عام ٥٩٨هـ ، استولى أمير ينبع أبو عزيز قتادة على مكة ، وسيطر حتى اليمن ، وعندما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٧هـ ، كان أمير مكة هو الشريف أبو نمي محمد ، وقد دخل في طاعة السلطان سليم ، ومنذ ذلك التاريخ ، أصبح الأشراف يعينون من قبل سلاطين بني عثمان . انظر : أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ ١ ص٣٢٣ ، ص٢٣٦-٢٣٧ . [المترجمان] .

أما عمان فكانت خاضعة للأسرة اليعربية [١٠٣٤-١١٥٤هـ/ ١٦٢٤-١٧٤١م]، ثم أسرة أبي سعيد التي مازالت تحكم البلاد منذ عام ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م(م٤). وفي شرق الجزيرة العربية، تمكنت قبيلة بني خالد من السيطرة على واحات الأحساء وماحولها، والغت النفوذ العثماني في المنطقة .

محمد بن عبد الوهاب ودعوته الإصلاحية :

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣ م في العيينة، شمال غرب الرياض، ويعود نسبه الى بني تميم التي سيطرت على جزء كبير من وسط الجزيرة الوسطى حتى جبل شمر، قبل أن يهزمها آل رشيد . كان جده وأبوه قاضيين حنبليين. نشأ في بيت علم ودين، حفظ القرآن ولما يبلغ العاشرة . وحج إلى مكة وهو في سن مبكرة، وزار المدينة . ثم رحل في طلب العلم الى البصرة، حيث أنكر على الناس أموراً شركية متفشية بينهم، فطلب منه مغادرة البلد .

وبعد عودته إلى نجد، استقر مع والده في حريملاء . وبعد أن توفي أبوه عام ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م، أعلن دعوته الى العودة الى ماكان عليه الرسول ﷺ والسلف الصالح، من عقيدة صافية، مبنية على الكتاب والسنة، مستنيراً بتصانيف أحمد ابن حنبل وابن تيمية، والتف حوله المريدون والمؤيدون من « الموحدين »، وعلى « توحيد الله » قامت دعوته الإصلاحية. إن منهج محمد بن عبد الوهاب، لا يختلف كثيراً عن منهج ابن تيمية، وهو توجه يدعو الى تأصيل الدين عقيدة وسلوكاً، ونظاماً، ومن المفيد استعراض أسس هذه الدعوة :

إن مصدر التشريع الاسلامي القرآن والسنة، ويجب على المسلمين أن يطبقوا الشريعة الاسلامية، ولا يتأتى ذلك إلا بدولة مسلمة، وفي ظل مجتمع ملتزم

(م٤) أنظر : أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، جـ١ ص٢٢٩ [المترجمان].

بتعاليم الاسلام ، فرداً وجماعة . وأكد محمد بن عبدالوهاب كسلفه ابن تيمية على محاربة البدع ، والطقوس الشركية . والتوحيد أعظم مبادىء هذه الدعوة : (٥)

التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة : وهو على ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بأفعاله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور . وتوحيد الألوهية وهو توحيد الله بأفعال العباد التي تعبّدهم بها وشرعها لهم مثل الدعاء والنذر والاستعانة والاستغاثة والتوكل وغير ذلك . وتوحيد الأسماء والصفات ، ويقوم على الإيمان بكل ماورد في القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته ، ووصفه بها على الحقيقة دون تكييف أو تشبيه أو تأويل أو تحريف أو تعطيل واعتقاد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(م٥) .

لقد كان تأثير هذه الدعوة كبيراً ، داخل جزيرة العرب وخارجها ، إن على صعيد الفرد أو الجماعة .

التحالف مع آل سعود :

ارتحل محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، والتقى بأميرها محمد بن سعود ، الذي آزره وآواه . وذلك في عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م . حيث جرى « اتفاق الدرعية » بين الرجلين ، فقد قال محمد بن سعود للشيخ : « ابشر ببلاد خير من بلادك وبالعزة والمنعة ، فرد عليه الشيخ : « وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين »(م٦) .

(م٥) لم تكن مبادىء هذه الدعوة جلية في ذهنية المؤلف ، لذا أدخلنا تعديلاً عليها ، وللمزيد ، ينظر : أ. د محمد السلمان ، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

(م٦) فضلنا ايراد هاتين العبارتين نصاً . ، أنظر : أ. د محمد السلمان ، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . ص ٣٢ .

ورعى هذا الأمير دعوة محمدبن عبد الوهاب ، بتحالف بين الدولة والدين ، مازال مرعياً الى اليوم . وينتمي محمد بن سعود إلى المصاليخ، من عنزة ، وهو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان من بكر بن وائل ، تمكن جده الأعلى مانع بن ربيعة المريدي من بسط نفوذه على الأحساء والقطيف ، وأسس الدرعية . توسع حكم محمد بن سعود في نجد ، ولقي مقاومة من دهام بن دواس صاحب الرياض، وسليمان بن غريِّر ، زعيم قبلية بني خالد التي كانت تحكم أقاليم الأحساء والقطيف .

توفي محمد بن سعود عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م ، وخلفه ابنه عبدالعزيز ، وفي عهده توسعت الدولة السعودية حتى شملت نجداً والأحساء ، وبلغت مشارف العراق ، مما جعل الدولة العثمانية توجس خيفة منها ، فأرسلت عام١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م حملة عسكرية من بغداد الى الأحساء بقيادة علي الكيخيا، قوامها أكثر من أربعة آلاف رجل ، مجهزين بمدفعية ، مدعومين بقوات برية من بدو المنتفق والظفير ، فاستولت هذه الحملة على جزء كبير من إقليم الأحساء عدا عاصمته الهفوف .

ونزل سعود بن الإمام عبدالعزيز بن محمد على ثاج ، وكادت المعركة تقع بين الجانبين ،لولا تدخل بعض زعماء القبائل، حيث تقرر أن يعود كل طرف الى بلاده . فعاد سعود الى الأحساء ، ونكل بأولئك الذين وقفوا الى جانب الأتراك . لقد أدى تقهقر على الكيخيا ،الى تزايد ولاء القبائل لآل سعود . ولأخذ الحيطة ، بادر الإمام عبدالعزيز بن محمد الى خطب ود الدولة العثمانية ، فأرسل الى والي بغداد سليمان باشا ، قافلة محملة بالهدايا رمز ولاء .

لقد كانت الدولة السعودية ، منذ ذلك الوقت ، ذات إدارة مركزية ، ونظام رسوم بدلاً من الإتاوة التقليدية ،وجيش منظم يقوده الأمير سعود ، الإبن الأكبر

للإمام عبدالعزيز . وإذا كان الأب يميل بطبعه الى السلم فإن ابنه سعوداً رجل حرب وسياسة . وهذا تكامل بينهما في ممارسة السلطة . وهذا الأمر نجده بين عبد العزيز موضوع دراستنا ووالده عبد الرحمن .

لقد واجه آل سعود ، معارضة لدعوتهم السلفية ، من بعض أهل البادية ، وسكان المدن ، في الأحساء ، والقصيم ، وجبل شمر ، ولم يمتثل في البداية لهذه المباديء سوى الجزء الجنوبي لنجد . في عام١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م ، وصل سعود ابن عبد العزيز إلى مكة لأول مرة حاجاً، مصحوباً بأربعة آلاف جندي . وفي عام١٢١٥هـ/ ١٨٠٠ م ، حج للمرة الثانية . وفي عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م قام رجل من النجف باغتيال أبيه عبدالعزيز .

وفي عام١٢١٤هـ/ ١٨٠٠ م ، وصلت فيالق سعودية الى عُمان ، تحت قيادة سالم الحارقي . وفي عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ، تقدم سعود ، للثأر من مقتل أبيه بجيش قوامه عشرون ألف رجل ، نحو كربلاء ، بلد الحسين ، وعاد بغنائم كثيرة . ودانت سواحل الخليج الى خليج عمان للدولة السعودية ، وتأثر عدد من القبائل الكبيرة الدعوة السلفية ، وقامت بدفع« الزكاة » لآل سعود(م٧) .

وفي عام١٢١٧هـ/ ١٨٠٢ م ، نشب شجار بين سعود و غالب شريف مكة ، ورغم ذلك تمكن سعود من دخول مكة في الثامن من المحرم عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٢م، مرتدياً لباس الإحرام معتمراً، وأزال البدع ، وأحسن الى الناس ، والغى الضرائب، ومنع العادات السيئة ، وترك من يحافظ على النظام . وعاد بعد أن حصل على ولاء قبائل الحجاز والمدينة (م٨) . فبلغت الدولة السعودية

(م٧) قمنا بتصحيح تواريخ حملة الكيخيا ، ووفاة الإمام عبدالعزيز ، وحملة سعود على كربلاء ، وحملة عمان . وخلط المؤلف بين حملة سعود على كربلاء زمن والده عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م ، وبين الحملة التي قادها عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م . أنظر : د. ابراهيم جمعة ، الأطلس التاريخي للدولة السعودية . دارة الملك عبدالعزيز١٣٩٨هـ . [المترجمان] .

(م٨) يخلط المؤلف بين دخول سعود الى مكة في عهد والده عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠١م، وبين دخوله اليها إماماً عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م . لذا لزم التنويه . [المترجمان] .

أوج قوتها ، وسيطرت على معظم الجزيرة العربية تحت سلطة حكومة مركزية . وفي عام١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م . سار سعود الى العراق ، وبلغ بلد الحسين رضي الله عنه ، وحاصر البصرة والزبير ، ثم عاد بجنوده الى نجد . وفي الشرق ، وصلت جيوشه الى مسقط .

وفي عام١٢٢٥هـ/ ١٨١٠ م ، قام سعود ، بغزو الشام ، وبلغ بصرى ، ثم عاد بعد أن خضعت له بادية الشام ، وقدمت له الولاء قبيلة بني شاكر ، كبرى القبائل الشامية ، تحسباً لتوسع سعودي كبير يشمل عرب الشرق الأوسط والأدني حتى شواطيء البحر الأبيض المتوسط . أما دمشق فكانت تحميها قبائل موالية لابن شعلان زعيم الرولة من عنزة . ووصل المد السعودي الى نهر العاصي ، ولكنه تقلص نحو حدود الجزيرة العربية .

وقد أثار توسع سعود ، حفيظة السلطان العثماني ، الذي أوحى اليه مستشاروه عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١ م ، بأن الخلافة تعني حماية المدينتين المقدستين مكة والمدينة . وأن عليه استعادتهما من السعوديين ، ولكن أحداث أوروبا ، وغزو نابليون لمصر ، وافتقار العثمانيين الى تنظيم أمورهم ، كل ذلك أسهم في توسع السعوديين . وقد عهد السلطان العثماني إلى محمد علي باشاوالي مصر ، بارسال جيش لمقاومة آل سعود . فبعث ابنه طوسون باشا ، بثمانية الآف رجل إلى الحجاز ، فاحتل مكة ، والتقى في الطائف بجيش عبد الله بن سعود ، الذي هزمه والجأه الى مكة .

وفي عام١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م ، جاء محمد علي الى الحجاز ، نجدة لابنه ، وتمركز في مكة ، وبعث ابنه طوسون مزوداً بالسلاح والذخيرة والرجال لقتال جيش عبدالله بن سعود في تربة ، ولكنه مني بهزيمة أخرى في ربيع عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م ، وفي هذا العام توفي الإمام سعود بن عبدالعزيز ، وخلفه ابنه عبدالله .

وفي المحرم من عام ١٢٣٠هـ/ يناير ١٨١٥ م ، أحرزت قوات محمد علي انتصارات على قوات عبدالله بن سعود ، واستولت على المدينة ، وواصل طوسون سيره نحو القصيم ، وكان عبد الله بن سعودمعسكراً في عنيزة ، فعرض السلم على طوسون ، ويبدو أنه اضطر الى ذلك بفعل التفوق العسكري لجيش طوسون ، وضعف ولاء القبائل لعبدالله ، وانضمام بعضها الى العثمانيين ، عندئذ توصل عبدالله وطوسون الى الاتفاق الآتي :

١) إنهاء الاعتداءات من الجانبين

٢) انهاء التدخل التركي في شؤون نجد .

٣) ضمان حرية التجارة بين الجزيرة العربية وماجاورها .

٤) تأمين طرق الحج(م٩) .

وأخذ عبدالله يرتب قواته ، ويستعد لمواجهة جديدة ، ولكن محمد علي دعاه الى مصر ، فلما رفض ، استدعى محمد علي ابنه طوسون ، واستبدله بابنه الآخر إبراهيم ، على قيادة الجيوش العثمانية الضاربة في الحجاز . وتحرك ابراهيم باشا من مصر في ذي القعدة عام ١٢٣١هـ/ سبتمبر ١٨١٥م ، متوجهاً الى نجد ، حيث هزم قوات عبدالله بن سعود في معركة ماوية .

وزحف إبراهيم الى القصيم واحتل معظمه ، ودانت لهّ قبائل نجد رهبة أو رغبة ، وخلال شهور عدة ، استطاع ابراهيم أن يستميل اليه عدداً غير قليل من

(م٩) أورد المؤلف شروطاً أملاها طوسون على عبدالله ، لم تجمع عليها المصادر ، مثل تعيين حاكم تركي على الدرعية ، وإعادة ماسلب من المدينة عام١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م ، وتقديم رهائن وضمانات ، وأن يحضر الى اسطانبول . والصحيح ما أثبتناه . أنظر : فيلبي ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ترجمة عمر الديراوي ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت . د . ت . ص١٤٥ . [المترجمان].

زعماء القبائل الرئيسة ، مثل فيصل الدويش ، زعيم قبيلة مطير ، وهو جدّ فيصل الدويش الذي سنتحدث عنه لاحقاً في هذه الدراسة . وقد أغراه ابراهيم باشا بحكم نجد تحت الحماية المصرية .

وبعد جولات من الصراع ، وصل ابراهيم باشا الى الدرعية ، عاصمة آل سعود ، وحاصرها حصاراً شديداً ، فاستسلم عبد الله عام١٢٣٣هـ/ ١٨١٨ م ، بشرط أن يأمن على حياته ، وسلامة أسرته وسكان بلدته . وأرسل إلى القاهرة ، ثمّ إلى اسطانبول ، وطيف به في شوارعها ، مثقلاً بالقيود ، حيث قتل هناك . أما الدرعية فقد هدمت ، وبذلك انتهت الدولة السعودية الأولى .

حركة الاسترداد الأولى ١٢٤٠-١٢٥٤هـ/ ١٨٢٤-١٨٣٨ م

بعد سقوط الدرعية ، أضحت نجد بلا هوية ، وأثارت جيوش ابراهيم باشا ، بسبب ممارساتها ، عداء السكان ، وفي عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤ م ، قام تركي بن عبدالله بن محمد[١٢٤٠-١٢٤٩هـ/ ١٨٢٤-١٨٣٤م] بالقضاء على الحامية التركية المرابطة في الرياض ، واتخذ ها عاصمة لدولته ، وخلال سني حكمه العشر ، استطاع تركي استعادة النفوذ السعودي في نجد ، و الأحساء ، وسواحل الخليج العربي حتى عمان ، ومع ذلك فقد كان يدفع الإتاوة للحكومة المصرية .

وفي عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م ، أغتيل تركي على يد مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن سعود ، وما إن علم فيصل بن تركي ، بمقتل أبيه ، حتى هب مسرعاً الى الرياض ، فقتل مشاري ، وبويع إماماً في المحرم من عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م . وأعلن امتناعه عن دفع الإتاوة للمصريين . فأرسل محمد علي حملة إلى نجد

تحت قيادة إسماعيل آغا ، ولدى وصوله هرب فيصل إلى الأحساء ، بينما نصّب خالد بن سعود حاكماً على الرياض . وفي جمادى الأولى عام ١٢٥٣هـ/ ٧سبتمبر١٨٣٧م ، حاصر فيصل الرياض ، ولكنه لم يستطع اقتحام أسوارها ، فاضطر الى فك الحصار في شهر شعبان/ أكتوبر من السنة نفسها ، وبدأ مفاوضات مع خالد ، تتلخص بوجوب انسحابه هو واسماعيل آغا من نجد ، وبلغ ذلك القائد المصري خورشيد ، فأسرع بجنوده الى القصيم ، ثم زحف على الرياض ، فاضطر فيصل الى الاستسلام للقوات المصرية في رمضان ١٢٥٤هـ/ ديسمبر ١٨٣٨م . وأرسل أسيراً الى القاهرة . وبعد عامين ، عادت الأفواج العثمانية إلى مصر وسمي خالد والياً على نجد من قبل السلطات العثمانية .

حركة الاسترداد الثانية ١٢٥٩ - ١٢٨٢هـ/ ١٨٤٣ - ١٨٦٥ م

في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١ م ، استولى عبد الله بن ثنيان بن ابراهيم آل سعود على الرياض ، بعد أن فر منها خالد بن سعود . وفي عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م ، تحرر فيصل بن تركي من أسره في القاهرة ، فقفل راجعاً إلى نجد ، واسترد الرياض من ابن ثنيان ، وخلال سني حكمه الثلاث والعشرين ، لم يبق للعثمانيين سلطة على نجد ، واستعادت الدولة السعودية نفوذها السابق في أقاليم نجد والخليج ، حيث عين فيصل ولاة على الأحساء ، والقصيم ،وولى عبدالله بن رشيد على حائل . وفي عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥ م دفعت له عمان الزكاة ،وظلت البحرين تحت الحماية البريطانية (م١٠) .

(م١٠) بالنظر الى تشتت أفكار المؤلف ، ووجود أخطاء طباعية في بعض التواريخ ، وخلط بين الأسماء، فقد رتبنا الأفكار محافظين على روح النص، معتمدين على كتاب : د. عبدالفتاح أبو عليه، الدولة السعودية الثانية .

نهاية الدولة السعودية الثانية ١٢٨٢-١٣٠٥هـ/ ١٨٦٥ -١٨٨٧ م

لابد أن نسبق حديثنا عن « نهاية الدولة السعودية الأولى[م١١] » بتوطئة موجزة عن علاقة العثمانيين بجزيرة العرب ، التي ترجع إلى عام٩٢٣هـ/ ١٥١٧م حينما سيطر سليم الأول ، على مصر ، ودانت له الحجاز واليمن ، وباستثناء سواحل البحر الأحمر ، لم يكن للعثمانيين في البداية مطامع في داخل الجزيرة . عدا اشرافهم على طرق الحج من دمشق و القاهرة إلى المدينة ومكة .

ولم يكن هدف الدولة العثمانية من ارسال إبراهيم باشا الى نجد ، تكريس الوجود العثماني في هذه المنطقة ، بل انتقاماً من آل سعود لتبنيهم الدعوة السلفية . بدليل أنهم لم يحكموا نجداً بعد ضعف آل سعود حكماً مباشراً . يضاف الى ذلك انشغال السلاطين بالإحتفاظ بوضعهم في أوروبا ، عن التفكير في التوسع في الجزيرة العربية ، كما كان عليهم أن يضعوا أولويات لعملياتهم العسكرية .

وبعد حرب « القرم » أعاد الجيش التركي تنظيمه جزئياً بفضل المساعدة الخارجية ، و تجهيزه بأسلحة حديثة . وتمكن السلاطين من فرض نفوذهم على الأقاليم العربية في الجزيرة ، والعراق والشام ، ومصر ، بدوها وحضرها ، وأصبحوا رعايا عثمانيين .

وجاء فتح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ ١٨٦٩ م ، ليعلن نهاية العزلة البحرية للبحر الأحمر . وأضحت بوابة الجزيرة نحو اسطانبول ، حيث استطاع الأسطول العثماني أن يمخر عباب البحر جيئة وذهاباً ، وتوزعت الحاميات العثماني على الحجاز ، واليمن ، وعين مدحت باشا والياً على بغداد .

(م١١) الترجمة الحرفية للعنوان هي " الزوال والخراب " والأنسب لقراء العربية ما أثبتناه ، كما أننا قمنا بتصويب بعض التواريخ ، وتوضيح بعض الأسماء ، وترتيب الأفكار محافظين على روح النص ، معتمدين على كتاب : د. عبدالفتاح أبو عليه ، الدولة السعودية الثانية .

في عام١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م ، توفي فيصل الكبير ، فتقلصت الدولة السعودية الثانية ، وووهنت بسبب فتنها الداخلية ، بين أبناء فيصل بن تركي : عبد الله ، ومحمد ، وسعود وعبد الرحمن . فقد تصارع عبد الله مع أخيه سعود على الحكم ، وبينما كان عبد الله سلفياً ملتزماً، كان أخوه سعود أكثر انفتاحاً ، همه الأول مصلحة الدولة . والتف حول كل منهما أتباع ، فاجتمع حول عبد الله أهل المدن ، وناصر البدو سعوداً . حاول الأخوان أن يتفقا على اقتسام السلطة ، ولكن الحرب استعرت بينهما ، فأجبر عبدالله أخاه سعوداً على الفرار ، وأعلن نفسه حاكماً ، وإزاء هذا التوتر ، امتنعت القصيم وجبل شمر ، والأحساء عن دفع الزكاة .

وفي عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ م ، زحف سعود على الرياض ، واستولى عليها ، أما أخوه عبدالله فقد فر نحو الجنوب ، ثم توجه الى حائل ، واتصل بوالي العراق مدحت باشا في بغداد . فانتهز هذا القائد التركي الفرصة ، وأعلن منشوراً مفاده أن نجداً ولاية عثمانية ، وأن السلطان عين عبدالله قائمقام عليها [٦] ، كما تضمن المنشور أن حملة تركية في طريقها الى نجد لمساعدة عبدالله على أخيه الثائر . وبالفعل غادر البصرة خمسة آلاف رجل من الجيش النظامي التركي تحت إمرة نافذ باشا ورست سفنهم في القطيف . أما عبد الله فقد وصل إلى نجد ، يقاوم أخاه ، لكنه تقهقر مرة أخرى الى القطيف حيث العسكر العثماني . وحدث في الوقت نفسه انتفاضة في الرياض أدت الى فرار سعود الى قطر ، وتعيين عمه عبدالله بن تركي .

لقد سيطر الأتراك على ساحل الأحساء ومدينة الهفوف ، وراسلوا عبد الله بن تركي باعتباره «محافظاً للرياض » الى حين عودة عبد الله بن فيصل . ولكن مدحت باشا سارع الى إعلان نجد ولاية عثمانية ، وتعيين نافذ باشا« متصرفاً» لنجد، بدلاً من عبد الله بن تركي . عندئذ غادر عبد الله بن فيصل الأحساء ليغنم الرياض .

وفي عام١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢ م ، بدأ رؤوف باشا ، الذي خلف مدحت باشا على ولاية العراق ، مفاوضات مع سعود أقنعه فيها بإرسال أخيه الأصغر عبدالرحمن إلى بغداد ، حيث بقي فيها حتى عام١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م . وعاد سعود مرة أخرى أخرى ، ودخلها عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣ ، بعد أن فر منها أخوه عبدالله الى الكويت .

كانت القوات التركية قد انسحبت من الأحساء عام١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣ م ، وعين بزيع بن عرير ، زعيم بني خالد «متصرفاً» للأحساء . وفي عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، أطلق سراح عبد الرحمن بن فيصل في بغداد، وعاد إلى الأحساء ، ينظم انتفاضة ضد بزيع ابن عريعر ، زعيم بني خالد، بمساعدة بني مرة ، والعجمان ، واستطاع الاستيلاء على الهفوف . فأرسل والي بغداد قوة بقيادة ناصر باشا السعدون ، زعيم المنتفق و والي البصرة ، فاستولى على سواحل الأحساء ، واحتل الهفوف . فماكان أمام عبدالرحمن الفيصل إلا قصد الرياض . وعاثت القوات التركية فساداً في الأحساء نهباً وسفك دماء .

ولم تمهل المنية سعوداً ، فتوفي في ذي الحجة عام ١٢٩٢هـ/ يناير١٨٧٥ م . فأسرع أخوه عبدالله الى الرياض ، حيث الفى أخاه عبد الرحمن فيها . واتفق الأخوان على ممارسة الحكم معاً ، فيكون عبد الله أميراً وعبد الرحمن وزيره ومستشاره . ولم تتجاوز سلطة عبدالله بالكاد الرياض ، وكما قالت الليدي آن بلانت التي زارت نجداً في تلك الفترة ، إن حكم آل سعود آخذ في الأفول من وسط الجزيرة ، ليفسح المجال لأمير حائل محمد العبدالله الرشيد.[٧] ، الذي استثمر الفتن الداخلية بين أبناء فيصل بن تركي لصالحه ، فبسط نفوذه على وسط الجزيرة[٨]، بل احتل الرياض عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، وعين عليها سالم

السبهان. وتفرقت أسرة آل سعود عدد سنين ، فمنهم من قصد مكة ، ومنهم من توجه الى الأحساء فالكويت . أما عبدالرحمن الفيصل فقد أقام في الكويت ومعه ابنه عبدالعزيز .

طفولة عبدالعزيز بن سعود :

ولد عبد العزيز -على الأرجح - في عام١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، في جو مشحون بالفتن الأهلية التي شتت أسرته . وقضى السنوات الأولى من طفولته في الرياض ، بعيداً عن والده الذي كان موجوداً في حائل . ولا شك أن لممارسات سالم السبهان نائب ابن رشيد في الرياض ، أثراً عميقاً في نفسية عبدالعزيز ، الذي شاهد بألم أطلال أسرته . وعاد والده الى الرياض ، بصحبة عمه عبدالله عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م ، الذي كان مريضاً ، وتوفي بعد وصوله بأيام ، وكان ابن رشيد قد عينه حاكماً على الرياض بدلاً من سالم السبهان ، الذي كان فضاً غليظ القلب. لكن ابن رشيد بعد موت عبدالله رفض تعيين أخيه عبد الرحمن مكانه .

لقد أعاد ابن رشيد ، سالم السبهان حاكماً على الرياض . فدبر عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩ م ، مؤامرة لذبح البالغين من الذكور من أسرة آل سعود ، فدعاهم الى القصر بحجة قراءة رسالة من ابن رشيد حررت بمناسبة عيد الأضحى. إلا أن عبدالرحمن علم بنوايا سالم ، فجاء المدعوون من آل سعود مسلحين ، وأسروا ابن سبهان ، وأعلن عبدالرحمن الفيصل نفسه حاكماً على الرياض . وعلى إثر هذا الحادث ، قدم زامل السليم أمير عنيزة ولاء ه لعبدالرحمن . فجاء ابن رشيد على عجل ، وحاصر الرياض ، لكنه لم يستطع اقتحامها ، وعاد الى القصيم ، حيث وقعت بينه وبين أنصار عبدالرحمن معركة المليدا عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م ، وانتصر ابن رشيد ، وانهزم أهل القصيم وقتل في المعركة زامل السليم أمير عنيزة.

أما عبدالرحمن الفيصل فوصل متأخراً ، فآثر الرجوع الى الرياض ، وقرر الهجرة الى الكويت ، بما بقي من أسرته . وطاف صحراء الأحساء ، وتوجه الى قطر وأخيراً حصل على إذن السلطات العثمانية بإقامته في الكويت . حيث عاش عبدالعزيز زمناً ، كان بالنسبة له تدريباً بدنياً ومعنوياً ، استعداداً للمرحلة القادمة ، فلم ينغمس بترف المدنية ، بل ظل محافظاً على حياة البادية ، متتبعاً أخبارها ، عارفاً شؤون قبائلها ، وفي خلال إقامته ، شهد انقلاب مبارك الصباح على أخيه محمد عام١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م ، وأخذ عبدالعزيز يغشى ديوان أمير الكويت ، فيسمع ويرى ، حتى كون صورة شاملة عن الوضع الإقليمي ، والقوى السياسية ، وأفاد كثيراً من المناقشات التي تدور في الديوان بين الضيوف عرباً وأجانب .

الاسترداد الأخير للرياض :

توفي محمد العبدالله الرشيد عام١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ م ، وكان قد تولى إمارة حائل عام١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، بعدما سيطر كثيراً على سياسة الصحراء في وسط الجزيرة . وتولى الإمارة بعده ابن أخيه عبد العزيز المتعب الرشيد ، وشتان بين هذا وذاك ، فقد اتجه نحو الكويت محاولاً التقارب مع الشيخ مبارك بإيعاز من الأتراك، في وقت كانت بريطانيا عام ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م ، منزعجة من ا لمشروع العثماني - الألماني لمد سكة حديد من برلين الى بغداد ،وقد تعجل الشيخ مبارك بإبرام معاهدة حماية مع السلطات البريطانية ، شبيهة بتلك التي وقعها شيوخ الساحل المتهادن ، و البحرين . وتضمن هذه المعاهدة حماية مبارك من العثمانيين ، وعدم تدخلهم في شؤونه الداخلية ، وتمنح البريطانيين مزايا في المنطقة . ورغم سرية هذه المعاهدة فقد علم بها الأتراك ، فحركوا ابن رشيد ضد ابن صباح [٩] .

وفي جو هذه المعاهدة ، ولتحقيق طموحه في الداخل ، شن ابن صباح حملة ضد ابن رشيد في ربيع سنة١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ م ، ومعه فرقة يقودها عبد الرحمن الفيصل . وأفواج من قبيلة المنتفق ، كانت تعيش في البادية ، ولا تدين بالولاء للعثمانيين . ودارت المعركة في « الصريف» ، فانهزم مبارك ، وتحطمت آماله أما ابن رشيد فقد طلب من الدولة العثمانية تزويده بالأسلحة اللازمة للمسير نحو الكويت ، ولكن الدولة لم تجب ، بسبب انشغالها بمفاوضات مع الألمان حول مشروع سكة حديد برلين - بغداد . وبعد هذه الهزيمة قرر مبارك تجميد عملياته ضد ابن رشيد ، خوفاً من الأتراك وبناءاً على نصائح بريطانيا العظمى له .

واستقر الوضع في الصحراء بسبب انتهاج سياسة الإعتدال للقوى التركية والبريطانية ، وإذا كان هذا الوضع القائم مقبولاً لدى ابن رشيد ومبارك ، فإنه لم يكن كذلك بالنسبة لعبد الرحمن الفيصل الذي يعيش على أمل العودة ، وهو أمل كاد أن يتلاشي بعد هزيمة الصريف .

لم يكن عبدالعزيز محبطاً ، بل جهز فرقة من رجاله ، قوامها مائتا رجل ، توجه بهم الى الرياض عام١٣١٩هـ/ نهاية عام ١٩٠١ م ، ترك منهم عبد العزيز مائة وستين بالقرب من آبار « أبو جفان» ليصطحب معه فقط أربعين رجلاً ، دخل بهم الى الرياض [١٠] ، وذلك في شوال ١٣١٩هـ/ يناير ١٩٠٢م، وكانت سنه اثنتين وعشرين سنة ، مستعيداً عاصمة آبائه . وقد أدت عودة الحكم الى آل سعود ، الى تغير في موازين القوى ، ومحاور سياسة الصحراء ، وأثرت على استراتيجية كل من ابن رشيد حليف الأتراك في الصحراء ، ومبارك ، حليف بريطانيا العظمى ، في الساحل .

لقد استطاع عبدالعزيز ، بعد أكثر من عشر سنوات في المنفى أن يسترد الرياض ، نتيجة إقدام عسكري ، كان له صدى لدى قبائل الداخل التي رأت فيه

شجاعة القائد ، فحقق بعمله الفردي ، مالم تحققه الجيوش الأكثر عدداً وتنظيماً . ولا غرو ففي عرف الصحراء تظل شخصية القائد متوقفة على عدد رجاله ، ومقدار عتاده ، ومايحقق من انتصار ، وإن كانت المعركة لا تحسم إلا بقتل الخصم ولو بعد حين .

وفي أبريل عام ١٨٩٩م ، تم التوقيع بين ألمانيا و الدولة العثمانية ، على اتفاق ببناء سكة حديد برلين - بغداد ، عبر اسطانبول . والمرحلة الثانية ، تمتد الى مياه الخليج . وحيث إن هذا المشروع سيقطع الطريق البري باتجاه الهند و الشرق الأقصى فإن السلطات البريطانية ، وإن كانت معتمدة على الطرق البحرية ، إلا أنها رأت ضرورة الإسهام في تنفيذه . وأثار هذا المشروع تنافساً بين القوتين الرئيستين الأقليميتين . كما أن روسيا خططت لمد خط حديدي من باكو - أصفهان ، عبر فارس ، وينتهي في بندر عباس على الخليج العربي . كل هذه الأحداث ، أخذت تلقي بظلها على أوضاع الخليج ، ووسط الجزيرة(١١) .

ومنذ البداية ، نهج ابن سعود سياسة التوطيد والتوسع ، تجاوز في نتائجه ، الإطار الضيق للصراع القبلي . بفضل فهمه السريع للعبة السياسية التي مارستها القوى على ضفاف الخليج العربي وإدراكه للنتائج المترتبة على تحركاته . وهذا مايعنيه ويلسرن بقوله :

« عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، لم يكن كأحد من أولئك الأمراء الذين يعتمدون على الأسلحة والذهب البريطاني من أجل أمنهم والحفاظ على حكمهم . لقد ذاق عبد العزيز طعم مرارة المنفى خلال شبابه . . . وفي الكويت سبر غورالسياسة التركية و مقاصدها . وسمع عن مشروعات ألمانية لمد سكة حديد . فأدرك على الفور أن مدّ سكة حديد بغداد حتى الخليج العربي ، يعني أن استقلاله كقائد عربي سيكون محل اتهام كبير »(١٢) .

هوامش التقديم والتمهيد

تقديم المؤلف :

(١) الانصاري (عبدالقدوس) . الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر . الرياض . مؤسسة المكتبة للطباعة والإعلام . ١٩٧٤م .

(٢) Benoist-Méchin . Ibn Sa'ud ou la naissance d'un royaume. Michel Albin, Paris. 1955 .

وقد استقى هذا المُؤلف معلوماته من كتاب : H. L. Armstrong

Lord of Arabia, Ibn Saud, an Intimate Study of a King . London. A. Barker. 1934.

(٣) Ibidem. p.9.

(٤) Derek Hopwood (ed) The Arabian Peninsula. Society and Politics . Bibliographical Survey. Some Western Studies of Saudi Arabia, Yemen and Aden. London, Allen and Unwin, 1972, p. 13.

(٥) Harry St. John Philby (1885-1960)

جاء لأول مرة إلى الشرق الأوسط عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م بصفته « موظفاً سياسياً» لدى «الحملة العسكرية في العراق » . وفي عام ١٣٣٥/ ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧-١٩١٨م تولى رئاسة البعثة البريطانية التي أرسلت إلى ابن سعودفي الرياض . وخلال تلك المهمة ، عبر جزيرة العرب على ظهر جمل ، وقام باكتشافات في وسط الجزيرة . وبعدما شغل مناصب عدة في العراق ، و شرق الاردن، ترك العمل الرسمي عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م وقضى بقية حياته للمتابعة ، والاسهام بكتاباته التاريخية عن السعودية من خلال صداقته لأسرة آل سعود . ومنه عرفنا جيداً تاريخ هذه الأسره وبالتحديد ما يتعلق بابن سعود . أما مؤلفاته الرئيسية فهي :

Saudi Arabia, Arabian Jubilee, Arabia, Forty years in the Wilderness, The Heart of Arabia , Arabia of the Wahhabis et Arabian Highlands,

وجميعها تحتوي على قيمة تاريخية عن المناطق المعنية . ولمعرفة السيرة الذاتية، بالتفصيل، لفيلبي، أنظر دراسة :

d' Elizabeth Monroe, Philby of Arabia , London, Faber and Faber,1973.

(٦) Gary Troeller, The Birth of Saudi Arabia. Britain and the Rise of the House of Sa'ud, London, Frank Cass, 1976.

لخص ترولر مشكلة المصادر ، في ،ص ١١ : « كانت بريطانيا خلال القرن التاسع عشر، وبموجب وضعها المهيمن الذي شغلته في الخليج العربي، القوة الكبرى الوحيدة التي تعاملت بانتظام مع أسرة آل سعود . وبالمقابل فالسعوديون لا يملكون أي ارشيف. وليس هناك أدنى شك كذلك، في أن الوثائق المعروضة في الارشيفات البريطانية بقيت وستبقى المصدر الأكثر أهمية لتاريخ أسرة آل سعود في ذلك العصر » .

(٧) من المؤكد إمكان إستمرار هذه الدراسة حتى عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، وهو تاريخ معاهدة الطائف (العشرون من مايو عام ١٩٣٤م)، المُوقعة بين ابن سعود و إمام اليمن . وفي الواقع، فهذه المعاهدة اعتمدت على الاعتراف بساحل عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية ، وهنا فضلت أن تتوقف هذه الدراسة حتى تاريخ ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، تاريخ إعلان ابن سعود عن توحيد أقاليمه تحت اسم ، « المملكة العربية السعودية» . لأن تلك الثلاثين سنة تشكّل فترة متجانسة ، يجد القاريء تلاحماً فيما بينها، ويغلب عليها بطولة ابن سعود وملاحمه .

(٨) هذه الخطوة التقليدية لدراسة إتخاذ القرار قد وضحّها جيداً قراهام اليسون في كتابه :

Essence of Decision. Explaining the Cuban Missile Crisis, Boston , Little, Brown Company, 1971,

الذي وصف فيه نموذج «العامل العقلاني » ، خاصة في (ص ٣٥) .

(٩) أمين الريحاني ، كاتب وصحفي لبناني، زار ابن سعود في بداية العشرينيات . أما ديكسون، فدبلوماسي بريطاني ،بقي في وظيفته في الخليج العربي خلال العشرينيات

والثلاثينيات من هذا القرن. وخلال تلك الفترة كانت له فرصة ، في بعض الأحيان ، مقابلة ابن سعود و دراسة المجتمع البدوي الذي أولاه جلّ إهتمامه. وللمزيد حول هذين المؤلفين، أنظر المراجع في آخر هذه الدراسه .

(١٠) Thomas Shelling, The Strategy of Conflict Cambridge (Mass), Harvard Univ. Press, 1960.

تمهيـد تاريـخي :

(١) هذه المقدمة التاريخية حررت بناءاً على القاعدة التالية :

أ) كتابات المؤرخين السعوديين المدونة في المراجع في نهاية هذا المؤلف ،

ب) دراسة :

R. Bayly Winder , Saudi Arabia in the Nineteenth Century, op. cit.

ج) كتاب :

J. G. Lorimer ,Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Calcutta, Government Printing Press, 1915. 2 Vols, in-4.

د) The Cambridge History of Islam, Cambridge universtiy Press, 1970, 2 vols.

(٢) إن مصطلح « الوهابية » يبدو - حقيقة - غير دقيق لأنه صدر من أولئك الذين عارضوا حركة محمد بن عبدالوهاب ، ليشيعوا الاعتقاد بإن ذلك يعني وجود مذهب جديد . و من الاصوب استعمال كلمة « الموحّدون» أو « دين التوحيد » ، أو « أهل التوحيد» . انظر :

R. Bayly Winder, Saudi Arabia in the Nineteenth Century, op. cit. , pp . 1-2, note 1.

(٣) W. G. Palgrave, Narration of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia, 1862-1863, London, MacMillan, 1865, 2 vols, vol 1, Ch. 1.

(٤) مباديء هذا المذهب شرحت جيداً وفصلت تفصيلاً في كتاب :

H. Laoust, Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki El Din Ahmed Ibn Taimiyah, Le Caire, Institut francais d'Archeologie orientale , 1939.

(٥) انظر :

Roger Du Pasquier , L'Arabie saoudite , centre mondial de l'Islam " in Rapport final d'un seminaire intitule : Introduction `a L'Arabie saoudite Commission nationale suisse pour l ,UNESCO, Berne, 1978.

(٦) تنقسم الوحدات الإدارية العثمانيّه والرتب والقاب كبار المسؤولين ، على النحو الآتي :

الوحدة الإدارية	لقب المسؤول
الولاية	والي
سنجق	متصرف
قضاء	قائمقام
ناحية	مدير

(٧) Lady Anne Blunt. A Pilgrimage to Najd, the Cradle of the Arab Race. London. John Murray, 1881, 2 vols, Vol. 1, p. 268.

(٨) عن هذا الموضوع انظر :

Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Westmead. Republished by Gregg, 1970. Vol. 1. Historical Part Ib, pp. 1128-1140.

(٩) لمعرفة تفاصيل تلك المعاهدات التي كانت موقّعة بين الحكومة البريطانية وإمارات الساحل المتهادن، وشؤون الكويت ، ومشروع مد سكة حديد برلين- بغداد ، أنظر :

Ravinder Kumar, India and Persian Gulf, 1858-1907. A study in British Imperial Policy, New York, Asia Publishing House, 1965.

(١٠) لقراءة رواية تلك الحملة ، انظر :

Armstrong, Lord of Arabia. An Intimate Study of a King, London, Barker, 1934, et N. N. E. Bary-Mayor, Shifting Sands, London, Unicorn Press, 1934, pp. 282-284.

(١١) من العسير العثور على إحصائية محددة الأرقام لسكان نجد في مستهل القرن العشرين، وقد قدمت الإدارة العثمانية ، التي لم تكن تشرف على هذا الأقليم إلا إسمياً ، في منشوراتها الرسمية الحولية : " Salnames " ، إحصائيات ، هي محل شك لكونها تتعلق بأقاليم بعيدة من اسطانبول . وعدد " Salname " لسنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠-١٩٠١م) مثلاً ، قدر سكان سنجق نجد بثلاثمائة وخمسين الف) نسمة . ومن جهته فإن Shemsuddin Sami ، في كتابه قاموس العالم Istanbul, 1306-1316, 6 (vols.) ، الذي استخدم فيه مصادر أخرى ثانوية ، إضافه إلى الأرقام الرسمية بمائتين وخمسين الف نسمه). في حين أن لوريمر :

(Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, op. cit; Vol IIb,p. 1356 et p. 1593),

فإنه يقدر سكان جنوب نجد ، أوائل هذا القرن ، بإستثناء القصيم، و جبل شمر ، والأحساء الى قطر ، رقماً يصل إلى مائة وسبعة وثلاثين الف نسمة من الحضر ، وثلاث وثلاثين الفاً من البادية . أما مدينة الرياض ، كما يشير لوريمر فكان عدد سكانها ثمانية آلاف خلال سنوات ١٣١٧هـ-١٣٢٧هـ/ ١٩٠٠-١٩١٠م. هذه المعلومات ملخلصة من مؤتمر بعنوان :

Ottoman Sources on Arabian Population

قدمت ، ضمن فعاليات ندوة أقيمت في الرياض عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م حول مصادر تاريخ الجزيرة العربيه ، بواسطة الأستاذ جستن ماك كارتي من جامعة كاليفورنيا، لوس انجليس .

(١٢) A.T. Wilson, Loyalties, Mesopotamia, London, Oxford University Press, 1936, 2Vols. Vol. I, p. 160

الباب الأول



الفصل الأول

أمير الرياض

نعم ، قالها الملك عبدالعزيز : لقد كانت افضل سني حياتي ، هي تلك التي قضيتهافي الكفاح وسط الصحراء ، حيث العطش والجوع والخطر الكامن في كل مكان . لقد كانت مرحلة حاسمة ، ورغم أنها ليست طويلة الأمد ، فلم تزد عن اثنتي عشرة سنة ، إلا أن كل يوم مر علي كنت فيه مفعماً بمقارعة الخطوب ، تمتزج معاناة المخاطر بمتعة الرفقة ، واخلاص الصحاب . أجل : إنها أيام لاتنسى[١] .

إن الحقبة التي تلت إستعادة الرياض ، و امتدت ، في الواقع حتى الحرب العالمية الأولى ، كانت فعلا مرحلة حاسمة لعبدالعزيز . وكان لها أهداف مزدوجة : فقد كانت هذه المرحلة فرصة لعبدالعزيز من أجل استعادة الأقاليم التي كانت فيما مضى تحت حكم أسرته ، فكان لا مناص من مقاومة ابن رشيد من أجل السيطرة على وسط الجزيرة . ومن جهة أخرى ، كان لزاماً على عبدالعزيز أن يواجه لعبة التأثيرات التي تمارس من قبل القوى الأجنبية والدولة العثمانية على الجزيرة العربية . فكان ضرورياً أن يحدد عبدالعزيز منذ البداية غاياته المرسومة ، ويتخذ القرارت اللازمة ، وذلك بعدما يقوِّم نتائج الخيارات المتاحة أمامه حينئذ يسعى الى أن يتصرف بمهارة نحو مصلحة تلك الخيارات ، وباختصار يحدد استراتيجيته ، ومن ثّم ، وبدون توقف يعمد الى التكتيك الأكثر مواءمة .

وبغية شرح القرارات التي اتخذها عبدالعزيز منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م يحسن بنا أن نبدأ أولاً بالحديث عن شخصيته وأهدافه الاستراتيجية منذ أن استعاد مدينة الرياض.

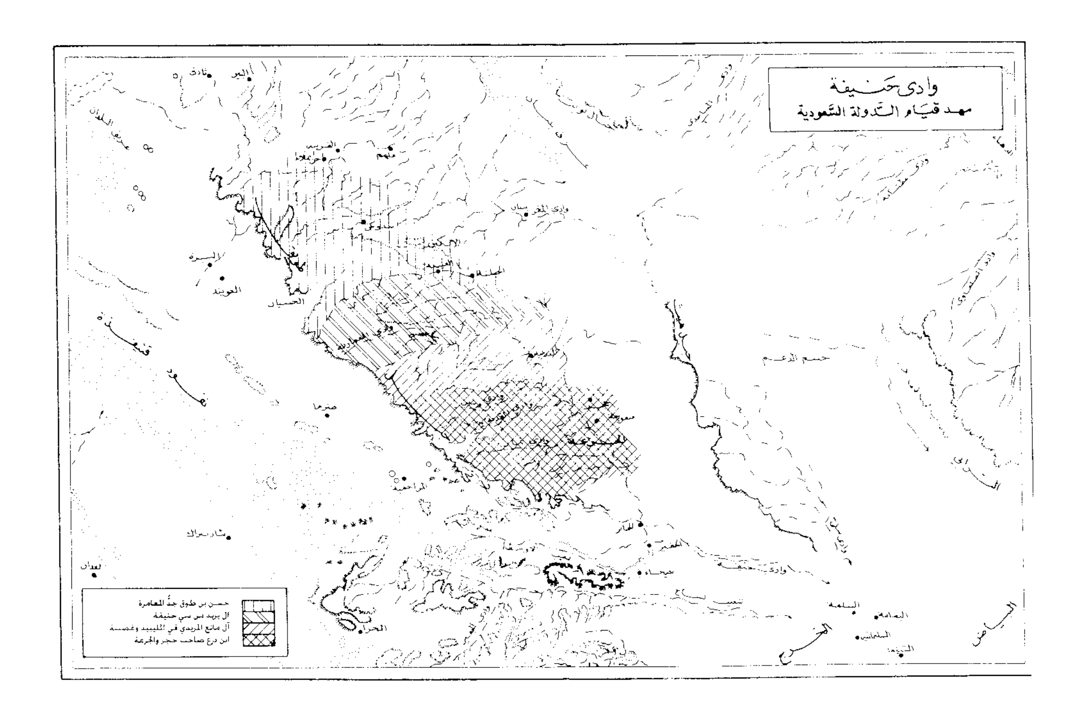
١) شخصية عبدالعزيز ابن سعود وطبيعة حكمه

إن لكلمة « حسب » في العربية معان عدة . فهي مشتقة من الفعل « حسُب حَسَباً وحَسَابةً » ومن المعاني التي يمكن أن نشتقها منها : « حسيب » وهو الذي يتمتع بشمائل نبيلة ، تمت الى محتد أصيل ، وشأو رفيع ، وهو أمر ذو اعتبار لدى البدو ، حيث يحظى الحسيب بنظرة احترام ، يحيطونه بهالة من التقدير ، مما يوحي اليه بأعباء المكانة ، وتقاليد الأسرة النبيلة[٢] . وعبدالعزيز ابن سعود كان مؤهلا لأن يكون ذاك .

وينقسم العرب فيما بينهم إلى مجموعتين رئيستين : « البادية » وهم الذين يعيشون في الصحراء ، و« الحضر» وهم الذين استوطنوا في القرى والمدن . وكلمة «بدوي» جاءت من لفظة «بادية» ومصطلح «بدوي » تعني رحّالة ، وجمعها بدو .

وبين هاتين المجموعتين الرئيستين توجد فئه وسطى تسمى«عرب الدار» أو «عرب المنزل» وهم يعتبرون نصف بدو ، حيث يعيشون في الصيف قرب المدن ، أما في الشتاء فيعودون الى صحرائهم .

ويفتخرالبدو بأرومتهم العربية ، وجذورهم الممتدة إلى يعرب أب العرب . وكل العرب الذين لا ينحدرون من أصول بدويه هم - بنظر البدو - من «المستعربين» الذين اكتسبوا العروبة بمخالطة العرب . وينقسم العرب



والمستعربون على حد سواء ، إلى جماعات تتفاوت حسباً ونسباً . ويطلق على القبائل الرفيعة ذات المكانة العالية أو النبيلة القبائل الشريفية ، أما غيرها من القبائل الأقل منها ، فإنها راضية بهذا التميّز . ومن المناسب هنا الإشارة إلى أن مصطلح «شريف» تطلق كذلك على كل من تنحدرسلالة أسرته أو أي فرد منها إلى النسب النبوي «نسب الرسول محمد ﷺ» (م١) .

وينحدرآل سعود من قبيلة المصاليخ من عنزة . وقد جمع عبدالعزيز ابن سعود بين أصالة الأب ، وعراقة الأم ، فخؤولته من أسرة « السديري » وهم من

(م١) أورد المؤلف أمثلة للقبائل الأصيلة وغير الأصيلة ، وقد تجاوزناها ، لأنه لم يبن حكمه على أساس علمي ، وخلط بينها ، ولأن المقام لا يستدعي إيرادها . (المترجمان) .

الدواسر. وقد ورث عبدالعزيز من جهتي أبيه وأمه نبل الأرومة ، وشرف النسب . والده هو عبدالرحمن بن فيصل بن تركي[٣] . ونشير هنا إلى أنه بعد وفاة فيصل الكبير سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م ، تنازع ابناؤه : عبدالله وسعود على الملك لسنوات طويلة ، كما رأينا ذلك من قبل .

لم تكن الحدود الجغرافية في الجزيرة العربية واضحة المعالم ، الى درجة أن ابن سعود لم يستطع بعد دخوله الرياض تحديد أقاليمه . ورغم أن عبدالعزيز لم يستعد في البداية إلا الرياض ، إلا أنه استطاع أن يحظى بالولاء الذي كانت اسرته تتمتع به في هذه المنطقة ، إذ كانت مدينة الرياض تمثل إلى حدما رمزاً ، تنظر اليه المراكزالحضرية باهتمام .

وفي الجزيرة ، لاتقاس أهمية المراكز الحضرية بمفهوم جغرافي ، بل يتوقف امتدادها الجغرافي ونفوذها السياسي على ولاء القبائل المحيطة . لذلك لم يكن همّ ابن سعود ضم الأراضي ، بل الحصول على ولاء القبائل والجماعات التي كانت تعترف فيما مضى بأسرته زعيمة لها . لقد كان لزاماً على عبدالعزيز أن يبسط نفوذه على جميع الأقاليم التي كانت تنضوي تحت حكم أجداده .

فرضت طبيعة الصحراء أعرافاً تلتزم القبائل بها ، فقد كان لكل قبيلة مراعيها ، وديارها التي كانت تقام حول الآبار[٥] ، وتمكث القبيلة بأفرادها ومواشيها في «الديرة» إذا توافر الكلأ والماء ، أما إذا شحت المياه ، فإنها ترحل الى أماكن أخرى ، حيث يقتضى ذلك ضرورة إيجاد علاقات حسنة مع القبائل الأخرى ، تجنباً لأيةصراعات ، وهذا أوجد تحالفات قبلية .

وكان لكل قبيلة شيخ ، يرث زعامتها ، من أسرة معينة من القبيلة. وإذا رغب الوريث خلافة والده في المشيخة ، فعليه أن يتصف بالشجاعة والكرم والحزم في

معالجة الأمور ، وإذا لم يكن كذلك فإن من الأفضل لأسرته البحث عن شخص كفء . وسلطة الشيخ وقراراته لا تكون قطعية إلا اذا كانت مقنعة لأفراد أسرته واعيان قبيلته ، ولا يتسنى ذلك إلا بعد استشارات طويلة . وأهم صفة يتمتع بها شيخ القبيلة قدرته على الاقناع ، ولا يتأتَّى ذلك إلا بوسائل بينها الكرم لكي يبقى مقبولاً لديهم ، محققاً لرغباتهم . وقد جرت التقاليد البدوية على اختيار شيخ أو أمير ، وهو مايماثل فكرة « القائد » المنبثقة من القرآن والسنة ، وذلك بتأييد من «العلماء » وبإتفاق مع الأمير السابق ، حيث كان من المعتاد أن يُختار الأمير وريثه .

ومن جهة أخرى ، فإن تنصيب الأمير الجديد يتم من خلال مبايعته ، والبيعة هُنا ، ميثاق بين الحاكم والمحكوم ، يستطيع الأمير أن يمارس حقه في الإمارة والولاية ، امتداداً لمبدأ « الخلافة» . وتلزم البيعة الأمير بأمرين هما :

١ـ الدفاع عن القبيلة التي منحته هذا العهد وحماية أراضيها .
٢ـ الحفاظ على النظام الإجتماعي والديني ، وضمان الأمن للجميع .

إن سلطة عبدالعزيزإذاً تستند على القواعد التقليدية لمجتمعه ، و الاجراءات المتبعة لاختيار الأمير ، وتأييد العلماء لهذا الإختيار ، وعلى البيعة ، التي بموجبها يتولى الأمير مسؤولياته تجاه شعبه من بسط العدل واحترام الحقوق التقليدية للمحكومين .

وأخيراً ، فإن السلطة لم تكن في المراكز الحضرية فقط ، بل كانت في عمق البادية ، وظل العنصر البدوي كما هو . وتعتبر كل قرية في الجزيرة ملكاً لشيخٍ أو أمير يتخذ له فيها قصراً ذا أسوار ، يتقي به حرارة الصيف . ويمارس الشيخ أو الأمير كافة السلطات داخل التجمعات السكانية ويحكم بين الناس أمام ابواب

البلد. وإضافة الى ما للأمير من سلطات على مواطنيه المقيمين والتجار، فإنه يتمتع بولاءات البدو الرحل الذين يجوبون أراضيه ، وربما شكل هذا الولاء مساحة أكبر من سلطة الشيخ أو الأمير . وهذا ماينطبق تماماً على سلطة آل سعود حيث لم تكن الرياض سوى رمز، تلتف حوله القبائل في نجد .

إن نجداً في مخيلة بدو الشمال ، هي أرض الأحلام ، تشكلت واقعاً بسلالة آل سعود ، وعبقت أخلاقاً أبية ، صنعت مجتمعاً أصيلاً . . . . إن نجداً تمثل ذكريات حية ، لكثير من القبائل التي هاجرت الى الشمال مثل عنزة وشمر ، وللسكان الذين استوطنوا البصرة وتدمر والدير . . إن نجداً ذات جاذبية أكثر من غيرها . . إنها للعرب أرض الجذور(٦) .

لقد تناول الكثيرون من المؤلفين شخصية عبدالعزيز بالتفصيل وحللوا ملامحه البارزة ، لذلك لن نعيد ما قالوه(٧) . غير أن من المناسب الإشارة هنا إلى نجاح عبدالعزيز في المزج بين الدين والسياسة ، حيث صيره إيمانه الراسخ حساماً يدافع عن الإسلام ، ويطبق مبادئه ، ويحقق إستقلالية العرب . إن مصطلح «الاستقلالية » يختلف هنا عن المفهوم الغربي أو القانوني ، فهو يعني عند أهل الصحراء حرية الحركة ، والانطلاق الى فضاء العفوية والتلقائية. و كل الصور التي رسمت لشخصية ابن سعود من لدن أولئك الذين قابلوه أو عاشروه ، من عرب وأوروبيين ، كانت وليدة انطباع كونته اللحظة والموقف . وكذلك الحال لأولئك الشعراء الذين مجدوا شخصية عيدالعزيز ، فهم يتغنون أكثر مما يحللون (٨). يقدم لورنس شرحا لسجيّة هذا الشعب ،الذي ظهر منه وفيه عبدالعزيز :

«تتسم الرؤية السامية بجلاء الصورة ، ونقاء السريرة من الريب ، وبخلوص من عقد الحيرة الميتافيزيقية(ما وراء الطبيعة) ، إن هذا الشعب يميز بين الخيال

والحقيقة ، والشك واليقين ، دون أن تختلط عليهم الألوان المتداخلة كما الحال لدينا. إن صفاء الرؤية العربية نجدها في نفسية العربي وفي أثاثه . إن هذا الشعب يحب الوضوح ، ويطلق العنان لأفكاره حتى تعانق ذرى آماله. هدوء في التفكير ، مع رباطة جأش . .

شعب يرضى بما وهبه الله ، ويسلم بالقضاء والقدر ، تمتزج في نفوسهم العواطف الجياشة ، والغضب ، مع الحفاظ على الطمأنينة ، وتنوُّر العقلية . عظماؤهم يجمعون بين البساطة والإنسانية والفطرة التي تتحكم في تصرفاتهم وسلوكهم ، يتحدد إيمانهم بالله بأنه ليس كمثله شيء.

لقد منحت الصحراء العربي شمائل أثرت على مخيلته ، فمن المعاناة يبدع ، ومن آفاق محيطه ينسج الهامه . صحراؤه التي يراها الآخرون قاسية ، تضفي عليه مسحة التنسك والتوحد ، وتكسبه الرحلات داخل بيئته رؤى داخلية ، تفتح أمامه فضاء الإبداع ، تصقله تجاربه ليمارس الشجاعة صفة لازمة له [٩](م١) .

في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، تم لقاء نهاية شهر فبراير ، في منزل أمير الكويت الشيخ مبارك ، بين ابن سعود والكابتن وليام شكسبير المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ، الذي كان وقتها قد عاد من رحلة في الصحاري الداخلية . ويقول السياسي البريطاني في تقريره واصفاً عبدالعزيز : « رأيته وعمره واحد وثلاثون عاماً ، حسن المنظر ، بشرته مشرقة ، ذا قامة تعلو متوسط القامات العربية، محياه يوحي بالصراحة والانفتاح ، ورغم تحفظاته في أول اللقاء ، إلا أنه يبدو بشوشاً ، فكره عميق ورأيه مباشر، يتسم بنبل الروح وكرم النفس ، والترفع عن الدنايا»[١٠] .

(م١) تصرفنا بترجمة فقرات لورنس لأنها عبارة موغلة في الفلسفة الوجودية ، وليس لها قيمة علمية أو تاريخية فاختصرناها على النحو السابق . (المترجمان).

أما ديفيد هوارث فيصف ابن سعود بأن قامته تبلغ متراً وخمسة وثمانين سنتيمتراً بخلاف قومه الذين يتسمون يقصر القامة. نحيف الجسم ، مفتول العضلات ، سريع العدو ، يبز أقرانه ماشياً أو راكباً أو رامياً ، نظراته حادة ، تعبر ملامحه عن رجولة عربية أصيلة . لابد لأي شخص ، سواء أكان عربيا أو أجنبيا ، يقابله أن يخرج بانطباع قوي عن قوة شكيمته ، حتى الذين نالهم عقاب عبدالعزيز ، تراهم يخطبون وده ورضاه . إن معظم أعداء عبدالعزيز لم يجتمعوا به مطلقا ، فقد كان غضبه مفزعا ، وإبتساماته مسكّنة لغضبه(١١) .

وفي عام١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦ م ، كان عبدالعزيز قد أمضى حوالى ثلاثين سنة من الحكم ، وكانت علاقاتاته متميزة مع بريطانيا العظمى ، في هذا العام زاره في الرياض الكولونيل ديكسون ، الذي أقُصي من الخدمة من قبل حكومته ، وعندما حدث الملك عبدالعزيز عن المسألة الفلسطينية ، قال له :

«متى تدرك حكومتك ياديكسون ، أننا نحن العرب ، نتحلى بفطرة خيرة ، وبأدب جم ، ولكننا نتحول الى مقاتلين أشداء ضد من يمس كرامتنا ، إننا مؤمنون بربنا ونبينا وعقيدتنا ، لا نقيم على ضيم ، ولا نراهن على شرفنا ، لا نخشى الردى، ولدينا القابلية للجوع والعودة الى معيشة الصحراء مقابل الحفاظ على قيمنا»(١٢) .

وكان عبدالعزيز ابن سعود واحداً من أولئك العرب الذين يرون الحكم وممارسته مسألة مصيرية في حياتهم(١٣) . ذلك لأن آل سعود ، يعتبرون أنفسهم حماة للإسلام الصحيح ، والمباديء السلفية التي أحياها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وهذا ما توحي به الراية السعودية : لا اله الا الله محمد رسول الله .

أصبح ابن سعود بعد دخوله الرياض في عام ١٣١٩ هـ/ ١٩٠٢م ، قائداً للدولة والجيش ، وأخذ ينظم سلطته ، وقد احتفظ لوالده عبدالرحمن الذي أحضره من الكويت بزعامة الأسرة والإمامة ، بحيث جرت عادة آل سعود ، كما هي عادة البادية ، أن يكون عبدالرحمن في المقعد الأول في المناسبات الرسمية ، وقد ظل هذا التقليد متبعاًمع الأكبر سناً ، وإن لم يكن حاكما ، حتى أيامنا الحالية . وتبقى المسؤوليات موزعة في إطار عائلة آل سعود .

قال فيلبي : إن عبد العزيز استطاع أن يمزج في علاقته بأبيه بين بر الوالدين ومسؤولية الحاكم ، وأن يحافظ على ذلك حتى وفاة أبيه عبدالرحمن [١٤] ، أما عبدالله بن جلوي فقد كان دوره فاعلاً مع الرجال الذين شاركوا في دخول الرياض، وكان ذا صوت مسموع لدى عبدالعزيز . و وبالرغم من وجود عبدالرحمن ومستشاريه ، فإن عبدالعزيز كان يتخذ قراراته النهائية فيما يتعلق بشوؤن البلاد ، وذلك بعد أخذ المشورات [١٥] .

٢) الأهداف الاستراتيجية لابن سعود

يتساءل ابن سعود ، من هم العرب ؟ ويجيب على سؤاله وهو يضرب بعصاه الأرض : نحن العرب ، نعرف أنفسنا جيداً ، ونعرف بعضنا بعضاً ، العربي لا يتدخل فيما ليس يعنيه . العربي ذو صفات حميدة وأخرى دون ذلك ، ليس هو الأفضل كما أنه ليس الأسوأ . أتعرفون ؟ علي أولاً أن أهتم بديني وشعبي ، وبإخواني العرب ، وأن أقيم علاقاتي مع الآخرين على أساس صحيح ونزيه[١٦] .

بعد إستعادة مدينة الرياض ، برز هدفان أساسيان لابن سعود ، الدفاع عن ملك أجداده ، ونشر الدين الصحيح[١٧] . على ضوء هذين الهدفين ، أسس ابن

سعود سلطته ، وعلاقاته العربية والأجنبية ، بأسلوب يتناغم مع مقاصده الدينيةوغاياته السياسية(١٨) ، أما بالنسبة لأملاك أجداده فقد نجح ابن سعود في استعادتها أرضاً وولاءاً قبلياً(١٩) ، كما سبق الحديث عنه في المقدمة التاريخية لهذه الدراسة . ومن المفيد ، مراجعة الكيفية التي حدد فيها ابن سعود ملك أجداده ، ويبدو ذلك صعبا و مستحيلا في وقتنا الحالي ، لسبب غياب الوثائق الضرورية ، ويمكن اتخاذ الموقف الذي دافعت عنه المملكة العربية السعودية في بداية الخمسينات ، أثناء النزاع على واحة البريمي بين ابن سعود وبريطانيا ، مثالاً لذلك .

فقد بنت السعودية حججها على ثلاثة أمور أساسية وهي(٢٠) :

١ـ القبائل التي تعيش في هذه الأقاليم قبائل موالية للمملكة العربية السعودية .(٢١)

٢ـ للمملكة العربية السعوية حقوق تاريخية في هذه الأقاليم(٢٢) .

٣ـ قبائل تلك الأقاليم تدين بالولاء للسعوديين بدليل دفعهم الزكاة للدولة السعودية(٢٣) .

أول هذه الحجج واضح لايحتاج الى شرح ، فابن سعود كان يفكر بإعادة ولاء القبائل ، التي كانت منضوية تحت لواء أجداده ، وهذا يعني أنه سيذهب بهذا الاستدلال إلى النهاية ، ومعه الحق في ذلك ، حسب اعتقاده ، مما يقضي بضم كل أجزاء الجزيرة العربية ، ماعدا الأقاليم الجبلية لليمن وباتجاه الشمال حتى تخوم الشام، باستثناء فلسطين ، وبإتجاه الشرق حتى نواحي العراق ، حيث كاد عبدالله ابن سعود أن يسيطر عليها في عام١٢٢٥هـ/ ١٨١١م (م٢) . وكذلك قبائل حوران السورية وتلك التي ترعى في شرق الأردن ، حتى نهر الفرات ، كانو قد قدموا في

(م٢) ظن المؤلف أن الذي بلغ حدود العراق هو عبدالله بن سعود والصواب هو سعود بن عبدالعزيز بن محمد (١٢٠٢ - ١٢٢٩هـ/ ١٧٨٨ - ١٨١٣م) . وذلك سنة ١٢٢٣هـ . ، أنظر : ابن بشر، تاريخه، جـ١ ، ص٢٩٥ . [المترجمان]

الواقع الولاء للدولة السعودية الأولى ، التي بلغت أوج مجدها في عامي١٢٢٥ ، و١٢٢٦هـ/ ١٨١٠ و ١٨١١م . و التزمت بالعقيدة السلفية .

والحجة الثانية تشير إلى إستعادة الأقاليم الوسطى للجزيرة العربية ، والحجاز وبخاصة مكة والمدينة ، وبعض إمارات الخليج العربي ، بغض النظر عن الأراضي البعيدة مثل : صحراء الشام أو بلاد ما بين النهرين .

والحجة الثالثة ، هي تلك المتعلقة بالزكاة ، والتي كانت في رأينا أكثر أهمية نظراً لمصدرها القرآني . فإيتاء الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة . .

« إن من أنشطة الدولة التي تحاول بناء وتجسيد المطالبة بالسيادة الحقيقية على الأرض التي تضفى عليها القيمة المباركة والصالحة والأكثر ثباتاً هي : القدرة على استيفاء تلك الزكاة والمحافظة على الأمن العام » [(٢٤)] .

الزكاة تؤخذ عن طريق الحاكم وتشمل جميع الرعايا ، وهي لا تعني في أي حال من الأحوال إتاوة ولا هدية تطوعية ولا صدقة واجبة توهب للكنيسة ، بل حق معلوم يؤخذ من الأغنياء ويرد على الفقراء [(م٣)] ، و تمثل الزكاة التجسيد الرئيسي للروابط التي كانت توحد الحاكم ورعاياه ، مثل ماود في «مذكرات سعودي » :

«الحكومة السعودية كانت ، ومازال حكومة مسلمة بحق ، تأسست على مبادىء الشريعة . ومن هذا المنطلق تجبي الزكاة من رعاياها كما يأمر الشرع . والمهم هنا ، هو الصفة الشرعية للزكاة ، كواجب ديني . . والذين يدفعون الزكاة هم من المسلمين المخلصين والأتقياء ، وعلى الإمام واجب الحماية والدفاع عن عقيدة هؤلاء المؤمنين ، فهي إذاً ميثاق بين الراعي والرعية »[(٢٥)] .

(م٣) يبدو أن مفهوم " الزكاة " غير جلي في ذهنية المؤلف ، فقد خلط بينها وبين الجزية ، ثم إن المقصود بالزكاة التي تأخذها الدولة هي التي تكون على مواشي القبائل والمحاصيل الزراعية لا على أموال الأفراد . .[المترجمان]

إن مفهوم الزكاة من المسائل التي هي محل النقاش في الفقه الإسلامي[٢٦] وموضوعنا هنا ، ينصب على ملاحظة النتائج السياسية المترتبة على الزكاة ، مثل روابط الولاء التي تجمع من يدفع الزكاة وبين من يجبيها . ومن الصعب التمييز بين ماهو ديني وماهو سياسي لدى السعوديين إذ أن الأمير أو السلطان أو الملك هو في الوقت نفسه ، هو الإمام ومسؤولياته تجاه شعبه محكومة على وجه الخصوص بحكم قراني وشريعة راسخة .

وهكذا شرع عبدالعزيز بتنفيذ أهدافه الاستراتيجية ، المتمثلة بتوسيع رقعته الجغرافية لتشمل البلدان التي كانت خاضعة لأجداده ، والقبائل التي كانت تدين بالولاء لهم . وبعد أن تمكن ابن سعود طوال السنوات السابقة من إعادة تأكيد سلطته في وسط نجد ، وبالتالي لم يعد يخشى أي هجوم من ابن رشيد . عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م ، استغل حرارة الصيف ، التي كانت تعوق أي تحرك عسكري ، فقام بالنزول على تخوم شبه جزيرة قطر . واقام مخيمه على مقربه من مياه العريق ، في إقليم سلوى ، وفي هذا المكان زاره الشيخ جاسم آل ثاني ، الذي كان في صراع مع أخيه أحمد للسيطرة على حكم قطر ، فقدم له عبدالعزيز مساندته ، غير ناس ما قدمه جاسم لأسرته إبان لجوئهم ، الأمر الذي أدى الى هروب أحمد آل ثاني إلى البحرين . ومن هذا المكان بعث عبدالعزيز برسائل الى شيوخ الساحل المتهادن ، واقترح عليهم مقابلته في الربيع القادم[٢٧] .

لقد أثاروصول ابن سعود المفاجيء الى تخوم قطر مخاوف حلفاء بريطانيا العظمى في هذا الإقليم ، فرتب لقاء في أبوظبي بين سلطان مسقط و أمير أبوظبي وبين المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي برسي كوكس ، تمخض عن رسالة تحذير بعث بها كوكس إلى ابن سعود عبر أمير الكويت الشيخ مبارك ، يدعوه فيها إلى وقف تدخله في شؤون الامارات الخليجية . ورد ابن سعود على رسالته عبر الشيخ مبارك في شهر فبراير عام١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ، بالآتي :

«صاحب السعادة يعلم جيداً أن سكان عمان على علاقة بنا مذ كنافي الكويت، وفي الحقيقة أننا كتبنا اليهم ، بروح صافية ، والله شاهد على حسن نيتنا، فلم نبيت شراً ضد أحد »(٢٨) .

وجد ابن سعود نفسه أمام أمرين أحلاهما مر ، بين أن يستعيد جميع الأقاليم التي بلغتها دولة أجداده في الخليج ، وبين التهديد الإنجليزي (٢٩) . وربما قصد ابن سعود من هذا التحرك اختبار الادارة الإنجليزية ، فلما تبين له ذلك تراجع عن المطالبة بحقوقه في الخليج .

وفي رسالة وجهها إلى فيلبي ، حينما كان في مهمة في نجد ، في ٣٠ أغسطس ١٩١٨م/ ١٣٣٦هـ ، أوضح فيها شيئاً من أهدافه الاستراتيجية : « كل شيء يتعلق بأملاك آبائي واجدادي ، في الماضي ، فهو لي إرث لا أطلب المزيد فوقه . وإذا وافقتم إن شاء الله ، ، فأنا مستعد لمناقشته معكم وكل الشواهد والأدلة على خرائطكم ومخططاتكم ، والوثائق هي بين ايديكم »(٣٠) .

من جهة أخرى ، وصف فيلبي طموحات ابن سعود ، مؤكداً على أن عبدالعزيز كان متأثرا بأنموذجين رئيسين مستوحين من تاريخ نجد ، محمد بن رشيد وسعود [بن عبدالعزيز بن محمد]ابن سعود . فالأول نجح في تأسيس مملكة وسط الجزيرة العربية ، بفضل نفوذ قبيلته ، أما سعود فقد فتح أمبراطورية من خلال التلاحم بين الدين والرؤى السياسية . لقد كان هذان النموذجان – حسب فيلبي– مصدر الهام سياسي لابن سعود مستفيداً من عناصر نجاحهما ، ومعتبراً من عوامل الفشل والهزيمة ، مثل ماسوف نرى لاحقا في هذه الدراسة (٣١) .



الفصل الثاني

الخيارات الممكنة

في عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م

نظرياً ، كيف تتحقق أهداف ابن سعود الاستراتيجية ، وقد وجد نفسه أمام ثلاثة خيارات ممكنة :

١ ـ معالجة الأمورمع الدولة العثمانية .
٢- الانزواء عن القوى الاجنبية ونهج سياسة العزلة والاستقلال التام .
٣- التحالف مع بريطانيا العظمى .

ولابد أن يبنى الاختيار ـ ضمن استراتيجية ـ على أسس من الوقائع والحقائق . وأول تلك الحقائق ، بلاشك ، ضرورة تأمين المصادر المالية الكافية ، ذلك لأن طبيعة الصحراء ، المؤسسة على ولاءات القبائل تتطلب ذلك للحفاظ على طاعة القبائل المضطربة ، و استقطاب ولاءات جديدة .

لم يستطع ابن سعود عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م تجاهل ظروفه المالية ، وحيث إن هذه المرحلة تتطلب جيشاً وسلاحاً ، فقد أخذ ابن سعود يفكر في مصادر للتمويل من الخارج ، بدلاً من الاعتماد على امكانات الداخل التي لا تتوافر إلا بإقامة نظام قوي يشيد على المجد والعدل والاقناع . لذلك سعى ابن سعود الى شراء السلاح من أسواقه المعروفة ،أو استلامه ضمن إطار التحالف .

من جهة أخرى ، كان على ابن سعود أن يأخذ في الحسبان أن آل الرشيد في حائل وهم حلفاء للعثمانيين لن يقبلوا بسهولة عودة آل سعود الى الرياض ، ولم يكن احتلالهم للرياض إلا خطوة نحو الغاء حكم آل سعود في وسط الجزيرة ، لذا كان حتماً على ابن سعود أن يستعد لمواجهتهم . فبدأ بنشر عقيدته السلفية .

وأخيراً فإن على ابن سعود أن يأخذ في الحسبان الوضع الجغرافي السياسي لنجد . فلم تكن الجزيرة سوى مجموعة من المنازل محدودة الموارد ، محاطة بصحار كبرى : شمالاً النفود حيث سلطة آل رشيد في حائل ، وشرقاً الدهناء بين نجد الوسطى وأحساء العثمانيين ، جنوباً الربع الخالي ، غرباً الحرات (الدرع العربي) الممتدة الى الحجاز . وتبدو نجد الوسطى سياسياً كما كانت جغرافياً ، بمعنى أنها عبارة عن جزيرة مستقلة محاطة بالصحاري ، تحيط بها المؤثرات العثمانية والبريطانية . ويغلب على السلطة السعودية الطابع الصحراوي ، و لا بد لابن سعود أن يزيل هذه العزلة الجغرافية عن طريق التوسع باتجاه الموانيء ، حيث النشاط الاقتصادي المزدهر ، ولسهولة الاتصال الخارجي ، وتأمين المواد الغذائية ، والأسلحة ، إضافة الى الإشراف المباشر على طرق تجارة نجد البرية حتى البحر .

١) معالجة الأمورمع الدولة العثمانية

اصطدم حكم حكم آل سعود منذ قيامه في منتصف القرن الثامن عشر وحتى القرن التاسع عشر الملاديين ، بقوى الدولة العثمانية في المنطقة . ففي عام١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م ، وفي ظل القلق من التوسع الجغرافي والسياسي للسعوديين ، أرسلت السلطات العثمانية في بغداد حملة إلى الأحساء لإيقاف المد السعودي ، ولكن هذه الحملة فشلت ، مما أسهم في تعزيز توسع سلطة نجد .

«نحن الوهابيين نكره الترك» عبارة قالها ابن سعود لشكسبيرفي مارس عام ١٩١١م [١].

ومن المؤكد اولاً ، أن أي مصالحة مع العثمانيين ستسمح لابن سعود بالتزود بالمال والعتاد اللازم . إضافة الى تجنب خطر القوى العثمانية المحيطة به ، وحلفاء الباب العالي مثل ابن رشيد في حائل ، وكذلك فإن أي تقارب مع العثمانيين يمكن أن يسمح لابن سعود بتجنب قوة كانت دائماً عدو أسرته ، وبصلح ابن سعود مع العثمانيين ، يمكن ضمان عدم تدخلهم حينما يقرر ابن سعود قتال ابن رشيد .

ومن جهة ثانية ، فإن أي مصالحة مع الباب العالي يمنح ابن سعود اعترافاً عثمانياً بحكمه على نجد ، مما سيجعل السلطات التركية تسعى لدى ابن رشيد من أجل قبول عودة الحكم السعودي الى الرياض ، وهذا من الناحية التكتيكية يهيء لابن سعود فرصة كسب ولاءات قبائل جنوب نجد ، مادام قد أمن جانب خصمه في الشمال

ومن ناحية أكثر أهمية ، فإن المصالحة مع العثمانيين ستضفي على حكم ابن سعود شرعية في اوساط وسط العالم العربي والعثماني ، بدل أن يظل السعوديون على هامش العرب والمسلمين الخاضعين للخلافة العثمانية .

ورغم الخلاف العقدي بين السعوديين والعثمانيين ، فقد حدث نوع من التقارب بينهم . ففي عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م ، اضطر عبدالله [بن سعود بن عبدالعزيز(١٢٢٩-١٢٣٤هـ/ ١٨١٣م-١٨١٨م)] أن يقبل بسيادتهم المطلقة ، تحت ضغط طوسون أحد أبناء محمد علي ، ولكن الظروف لا تلبث أن تعود الى سابق عهدها .

ويمكن التأكيد على أن استراتيجية ابن سعود عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، كانت تمتاز بالأسلوب التكتيكي بين رفض السيادة المطلقة للدولة العثمانية وبين التوسع خارج الرياض تأكيداً لقوته أمام القبائل . وإذا كان يلزم على ابن سعود استجداء احدى القوتين المتفوقتين في المنطقة ، فهل عليه أن يخطب ود العثمانيين الذين لهم مواقف سلبية مع اجداده ، وهم يريدون تحجيم سلطته في نجد الوسطى ، واعترافه بسيادتهم المطلقة وبالخلافة ؟

في عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، كان على ابن سعود أن يعيد حساباته ، ويقوم أوضاعه ، ويستعرض نقاط ضعفه وقوته ، انطلاقاً من خبرته في المنطقة ، ومعرفته بالتغيرات السياسية والعسكرية ، إبان وجوده في الكويت ، لقد أدرك ضرورة المنافذ البحرية وأهميتها العسكرية ، أن السياسة العالمية منذ سقوط الدولة السعودية الأولى في بداية القرن التاسع عشر كانت ترتكز على السيطرة على البحار ، وبخاصة بين العثمانيين والانجليز . وكان يعرف جيداً أن الذي منح القوة لجيوش محمد علي ضد اجداده ، كانت قواعدهم المصرية والعراقية والتسهيلات البحرية التي استفادوا منها . وفي بداية القرن العشرين لم يعد لهذه التسهيلات البحرية وجود فالقوة العثمانية أصبحت من جديد قوة برية أكثر من أي وقت مضى . إذاً ما فائدة ابن سعود في التحالف مع الامبراطورية العثمانية ، التي لم تنعم بالسيطرة على البحار ولا على السويس ، ولا على البحر الأحمر ولا في داخل الخليج العربي؟

وأخيراً ، فإن التقارب مع الدولة العثمانية ، تعني أن يتحول ابن سعود الى وكيل محلي لها ، لا يتجاوز نجداً أو جنوب نجد ، وهو في هذه الصفة سيلتزم الدفاع ، وهذا ما يتعارض مع استراتيجيته وأهدافه .

٢) الانزواء عن القوى الأجنبية ونهج سياسة العزلة والاستقلال التام

مثل مارأينا ، فبريطانيا العظمى والدولة العثمانية كانتا إلى حد كبير مهتمتين في شؤون الجزيرة العربية . في نهاية عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، حينما كان ابن سعود في الكويت ، قابل عبدالعزيزالقنصل الروسي في بوشهر وحضر اللقاءالمعتمد السياسي الفرنسي ، وعرض الاثنان عليه المال والسلاح . ولكن ابن سعود أخبر بذلك الكولونيل كمبل ، المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ، ذاكراً له أن يفضل الحماية البريطانية على حماية روسيا وفرنسا [٢] .

لقد كان تدخل القوى في شؤون المنطقة - من أجل مصالحها - في ذلك الوقت أكثر نشاطاً وحيوية ، فهل كان بمقدور ابن سعود تجاهلها أو تفاديها ؟

هناك - فوق ذلك - جانب سياسي ـ نفسي فيما يتعلق بالتحالف مع قوة أجنبية ، لعبت دوراً لايستهان به بالنسبة للأمراء المحليين في الخليج العربي وفي الداخل . فالقوة الأجنبية الحليفة ستساعد حليفها بالمال والسلاح ، ما يجعله أكثر قوة ، تمنح حكمه رسوخاً واستقراراً ، وتمكنه من بسط نفوذه علي القبائل . فور دخوله الرياض ، بدأ عبدالعزيز ينظر في وضعه المالي الحالي ، تارة وفي أهدافه الاستراتيجية تارة أخرى ، مدركاً أن الدعم الخارجي أمر لامندوحة عنه ، لكي يبني جيشاً ، ويلملم وطناً . في عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، وهو التاريخ الذي بدأت فيه الإعانات المالية البريطانية ، أمَّن ابن سعود بفضل اشرافه على بعض الموانيء ومن طرق التجارة دخلاً إضافياً .

إن أكثر العوامل أهمية في نهج ابن سعود سياسة الانفتاح على القوى الأجنبية كان من المؤكد إدراكه أن عزلة اجداده تجاه العثمانيين - في القرن التاسع عشر الميلادي - كانت سبباً من أسباب هزائهم أمام القوة العثمانية التي كانت واثقة من

عدم تدخل أي قوة أخرى لحماية آل سعود . ولكن الوضع تغير عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م وأصبح تنافس القوى العثمانية والبريطانية والروسية الفرنسية في الإقليم واضحاً ، وأدرك ابن سعود ذلك وهو في الكويت ، في منزل الشيخ مبارك الذي كان معلماً لفن المناورات بين المصالح لتلك القوى من أجل حماية حكمه (٣) .

وعلى كل الأحوال ، فإن حكم عبدالعزيز في عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م كان ضعيفاً ، وبحاجة الى مساعدة خارجية ، وكل من حوله يتمتعون بتحالف : خصمه الحالي ابن رشيد كان حليفا للأتراك ، مبارك يتأرجح بتحالفه بين الباب العالي وبريطانيا ، أمراء الساحل المتهادن استفادوا من تلك الحماية . ومن جهة أخرى ، رأى ابن سعود الظلال العثماني ينتشر فوق غرب الجزيرة ، على الحجاز والأماكن المقدسة ، و يمتد إلى الجنوب حتى اليمن . أما نجد الوسطى فكانت جزيرة -كما أسلفنا - جغرافياً وسياسياً ، كذلك لم يكن لدى ابن سعود مصادر اقتصادية ومالية ، أو قاعدة أساسية يقيم عليها سياسة مستقلة بمنأى عن التحالف الاجنبي .

ولكن مثل تلك السياسة المستقلة ربما تسمح له بالاحتفاظ بتثبيته أميراً محلياً على نجد فقط . وسيصبح مقيداً لا يستطيع التوسع ولا تحقيق أهدافه الاستراتيجية كما قلنا سابقاً ، كما أنه لن يقدر على الصمود فترة طويلة في مواجهة المؤثرات الإقليمية ، حيث كان تدخل القوى مُعلناً في الخليج العربي والجزيرة العربية . وكان من الأفضل كذلك بالنسبة لابن سعود اختيار الاتجاه العام لسياسته التحالفية بكل حرية وفي وقت مبكر بدلاً من المعاناة التي كابدها فيما بعد . ففي الكويت ، وبجوار الشيخ مبارك ، تابع ابن سعود المشروعات السياسية التي استهدفت منطقة

الخليج ، من خلال المشروع الالماني ـ العثماني لسكة حديد برلين ـ بغداد . وأيقن ابن سعود وقتها ، أن سياسة المناورة والتوازن التي كان ينتهجها الشيخ مبارك مع المؤثرات الخارجية المختلفة – التي كان من المحتمل فرضها على الكويت – هي الاحتمال الوحيد للابقاء على استقلال ذاتي محدود [٤] . إذاً ، كان على ابن سعود أن يتعامل تكتيكياً مع أطراف عدة ، ويعمد الى التحالف ضد أي اتجاه استراتيجي مضاد ، مادامت فكرة الاستقلال التام مستبعدة .

٣) التحالف مع بريطانيا العظمى

كان ابن سعود يعرف مكانة بريطانيا العظمى وسياستها في الخليج ، وفي العالم العربي وفي الهند ، ولم يكن ذلك النجدي المنزوي في صحرائه ، بل كان فرداً ضمن أسرة تقرأ التاريخ ، وبخاصة الفصول المتعلقة بها . في قصر ابن سعود في الرياض أو خلال سنوات الغربة ، كانت الدروس الدينية والتاريخية تلقى يومياً ، على أسماع الشباب من آل سعود الذين يغشون مجالس الذكر للتعلم واستعراض تاريخ أسرتهم الذي يمتزج بالمسائل الدينية ، وكذا التطرق لما يجد على الساحتين العالمية والإقليمية من أمور ، وثمة أوقات تحدد في «الديوان» لاستقبال الرحالة والزوار عرباً أو غير عرب ، يحملون معهم أخباراً من الخارج . هذه اللقاءات تكسر الرتابة اليوميّة وتعمل على تناسي ألم الغربة من جهة ، ومن جهة أخرى فهي تشكل انفتاحاً على العالم . لقد حرص ابن سعود على حضور مجالس الشيخ مبارك بانتظام واهتمام ، خلال مكوثه في الكويت [٥] .

كان الرحالة والزوار والدبلوماسيون والتجار يأتون الى الشيخ مبارك للسلام ، أو تقديم طلباتهم ، وحيث إن أمير الكويت قد أمضى سنوات عدة في الهند ، تعلم خلالها كثيراً من أنظمة الإنجليز ، فقد تكونت لديه الخبرة السياسية

والدبلوماسية، ويمثل مع ابن سعود ، مدرسة عظيمة . لقد تميزت سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م – بالنسبة للكويت –بأحداث أثارها ابن رشيد والاتراك ، حيث حاول الأتراك جذب الأمير مبارك بقوة إلى جانبهم ، وأن يكون تحت وصايتهم ، ولكن بريطانيا بتدخلاتها السياسية ، وبحريتها ، تمكنت من ردع ابن رشيد ومنع الدولة العثمانيةمن استخدام القوة ضد مبارك [٦] . وهذا ما جعل ابن سعود يعي جيداً أهمية ـ بريطانيا في المنطقة ، ويسعى بجدية الى التحالف معها .»

يمكن أ ن يشكل هذا التحالف بديلا مهماً عن العثمانيين الذين كانوا خلال معظم القرن التاسع عشر المتعهدين الرئيسين بالتمويل والتسليح للأمراء المحليين في الجزيرة . والساحل المتهادن ، ويوفر لابن سعود حماية بريطانيا العظمى ضمن إطار مايسمى "Trucial System" ، أي « نظام الحماية » ويعني التحالف مع إمارات الخليج ضد الخطر الخارجي . ويمكن أن يفيد منه ابن سعود في درء خطر ابن رشيد حليف الباب العالي .

ومن المؤكد أنه بدا غريباً لأول وهلة أن يتحالف أمير وهابي مع قوة نصرانية ، ولكن ابن سعود كان متيقناً أن ذلك لن يخل بأهدافه الدينية ، وكانت بريطانيا تسيطر على الهند وفيها أعداد كبيرة من المسلمين ومع ذلك فإن السياسة البريطانية في المنطقة لم تكن مركزة على الأمور المذهبية ، وهذا جعل ابن سعود الذي لم يكن متعصبا أن يأمن جانب بريطانيا في هذا المجال[٧] .

كان الإطار الاستراتيجي لدى ابن سعود ، يجمع الدين والأهداف السياسية معاً في بوتقة صنع القرارات ، وكان لديه القدرة على الدفاع عما يتخذه من إجراءات : لقد كانت السنوات الأولى لحكم ابن سعود تتصف بمشروعين متميزين أظهر فيهما الحزم . فالمشروع الأول يتعلق بتقوية سلطة آل سعود وإعادة نفوذهم على قبائل وسط نجد وجنوبها من خلال مقاومة ابن رشيد في حائل . ويبدو أن

فيلبي قد أعطى لهذا الكفاح ضد ابن رشيد مابين عامي ١٣١٩هـ - ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٢م و ١٩٠٦م أهمية جوهرية[٨] . ومن جهة أخرى ، فمن المؤكد أنه خلال الفترة نفسها وفي كل سنة ، قام ابن سعود بمحاولات اتصال مفتوحة مع بريطانيا العظمى من أجل التوصل الى صيغة للتحالف معها[٩] . والشيء الأكثر أهمية هنا ، هو السبب الذي قدمه ابن سعود لكل محاولة يقوم بها لتبرير طلبه بالتحالف . ففي عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣ م - على سبيل المثال - أرسل مبعوثا شخصيا إلى الكابتن بريدو الذي كان وقتها المعتمد السياسي البريطاني في البحرين أوضح له رغبة ابن سعود باستعادة الأحساء من أيدي العثمانيين ، و يعتبر الاقليم النهري للخليج العربي ، وكان فيما مضى جزءاً من أراضي أجداده . وخشية من رد فعل البحريةالعثمانية فقد طلب ابن سعود في رسالته للمعتمد البريطاني ، احتياجه للمساعدات البريطانية البحرية في الخليج ، من أجل ضم الأحساء ، وفي حال ذلك فسيكون على استعداد لتوقيع معاهدة مع بريطانيا[١٠] .

لقد تزامن حرص ابن سعود على التحالف مع بريطانيا منذ عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م، مع تحركه لضم الأحساء ، ضمن إطار استراتيجية شاملة ، وكان لتلك الخطوات أهميةلدى الممثلين البريطانيين في الخليج العربي ، ولاشك أن ضم الأحساء يتطلب إيجاد منفذ بحري لضمان وصول المدد الانجليزي ضد أي تحرك ، وقصارى القول إن التحالف مع بريطانيا العظمى سيضمن لابن سعود مكاسب جغرافية وسياسية مهمة ، من بينهاالاعتماد على قوة بحرية تسيطر على مصر وقناة السويس والبحر الأحمر ، والمحيط الهندي والخليج العربي ، وبمعنى آخر على الطرق البحرية التي تمون نجداً وغيرها ، وتلتزم بريطانيا أمام توسع ابن سعود بمبدأ أساسي فحواه :

« لا نية لدى بريطانيا في التدخل في الشؤون الداخلية للجزيرة العربية طالما أن الحوادث التي تجري فيها لاتشكل تهديدا لأمن البحرية في الخليج

العربي »[١١] . ولم يغب عن ابن سعود ، بلاشك ، هذا المبدأ للسياسة البريطانية سواءً عن طريق ماتعلمه لدى الشيخ مبارك في الكويت ، أو من خلال مايعرفه عن الاتفاق التي تم بين عمه عبدالله [بن فيصل] (توفي عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) وبريطانيا العظمى عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م[١٢] وهذا المبدأ ، بعدم التدخل ، يتيح لابن سعود أن يتحرك بحرية داخل الجزيرة العربية ، وبخاصة في الإقليم الساحلي للأحساء ، ضمن حماية بحرية ، مع الاحتفاظ باستقلال ذاتي كبير في الداخل . إن ضم الأحساء ، الذي منحه منفذاً بحرياً على الخليج العربي ، أجبره حتماً في الدخول في نظام الحماية، الذي يشمل أمراء الساحل المتهادن ، ولكن لسيادة ابن سعود عمق داخلي يضمن له مطلق الحرية ، ومثل هذا التطور يمكن أن يعطيه وضعاً فريداً بالنسبة للزعماء العرب في المنطقة ، سواءً على السواحل مثل مبارك والأمراء الخليجيين أو في الداخل كابن رشيد في حائل الذي يعتمد في تسليحه على الأتراك .

ومن المؤكد وقتئذ أن دخول ابن سعود في نظام الحماية يعني موافقته على قمع القرصنة والقبول بمراقبة شؤونه الخارجية عن طريق السلطات البريطانية . نظير ما يجنيه من مكاسب تتجلى في عدم تدخل بريطانيا في شؤون الداخل ، مما يخوله لأن يكون القائد العربي الوحيد المحلي القادر على الاستفادة من سياسته داخل الجزيرة . والخلاصة ، أن تحالف ابن سعود مع بريطانيا العظمى نجم عنه عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، مكاسب استراتيجية في المقام الاول ، خلافا للمصالحة مع العثمانيين الذين لم يقدموا أية مكاسب تكتيكية .

وأخيراً فإن التحالف مع بريطانيا سيترك لابن سعود مساحة من التوسع ، بفضل الامكانات التي سيوفرها التحالف له ، وسيكون بمقدوره أن يغير من استراتيجياته بحسب ظروفه وبقدر كبير من الحرية .

الفصل الثالث

التحالف مع بريطانيا العظمى

من عام ١٩٠٢ الى ١٩١٤

والتقارب التكتيكي مع العثمانيين

من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩٠٥

حاول ابن سعود منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ،وحتى عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م البحث عن صيغة تحالف مع بريطانيا ، وبالذات خلال صراعه مع قبائل جنوب[١] . لقد بدأ ابن سعود اتصالاته في وقت مبكر مع المندوبين البريطانيين الذين يعملون في الخليج العربي . وبعيد دخوله الرياض ، وقبل عودة أبيه عبدالرحمن من الكويت ، أرسل والده رسالة إلى المقيم البريطاني في بوشهر ، ينقل له فيها رغبة عبدالعزيز بإقامة علاقات مع الحكومة البريطانية ، وأن عيون الحكومة البريطانية يمكن أن تنظر اليه بمزيد من الاطمئنان والثقة[٢] .

وفي عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م ، وبعد ماكسب معركة الدلم ضد ابن رشيد ، اتصل بابن سعود كل من القنصل الروسي في بوشهر والمندوب الفرنسي ، ولاجل اطلاع بريطانيا ، قام ابن سعود بمكاتبة الكولونيل كمبل المقيم البريطاني ، وأخبره

بالاتصالات الروسية والفرنسية ، موضحاً أنه يفضل إيجاد خط للمفاهمة مع بريطانيا [٣] .

وفي عام١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م ، وبعد تحقيقه نجاحات جديدة ضد ابن رشيد ، استأنف ابن سعود من جديد اتصالاته مع بريطانيا ، فأرسل مبعوثاً إلى الكابتن بريدو المعتمد البريطاني في البحرين ، مخبراً إياه بعزمه على استعادة إقليم الأحساء، من الدولة العثمانية ، إذ كان هذا الإقليم تابعاً لاجداده ، وقد أبدى ابن سعود رغبته بحماية بريطانية تحول بينه وبين هجوم عثماني متوقع ، وأضاف المبعوث أن العرب قد سئموا من الوصاية العثمانية وأنهم يتحركون لمقاومة الاتراك ، وأن ضم الأحساء الى حكم ابن سعود بداية لهذا التحرك[٤] .

وفي عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وبعد انتصاره على ابن رشيد في البكيرية ، وخوفاً من رد فعل العثمانيين الذين يستطيعون احتلال القصيم بالقوة ، قام ابن سعود من جديد بالكتابة إلى المقيم البريطاني في بوشهر طالباً الحماية البريطانية[٥] .

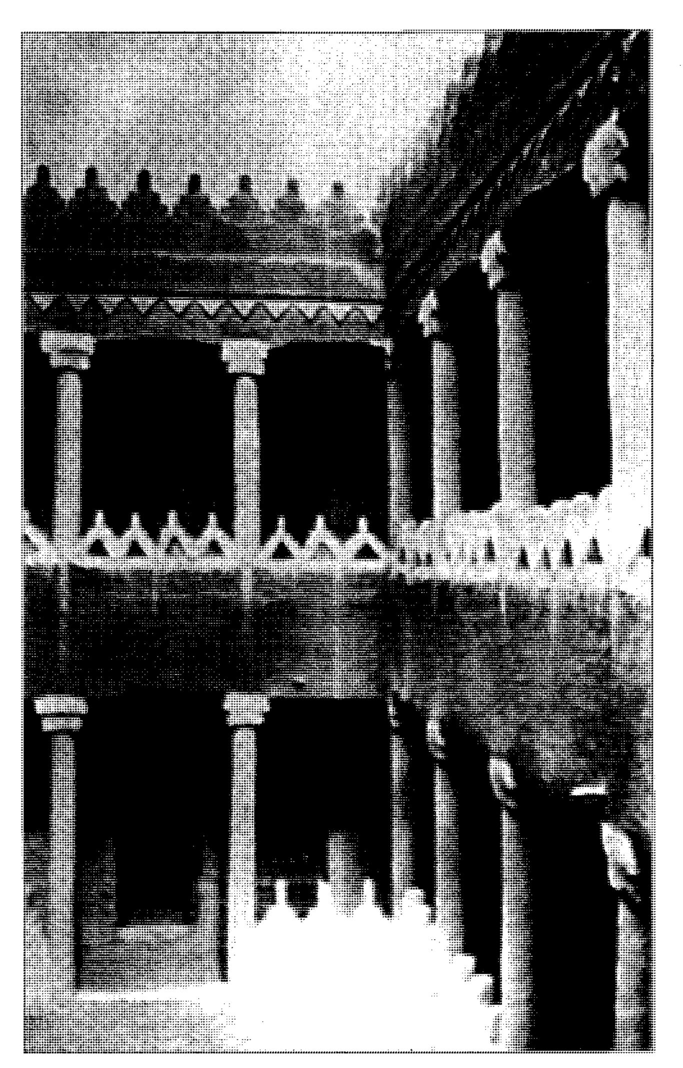
وفي عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ، بعد قتله عبدالعزيز بن رشيد في معركة روضة مهنا ، وبعد تأسيسه سُلطة صلبة داخل نجد ، فتح ابن سعود مع السلطات البريطانية، ثلاث قنوات اتصال : فقد أرسل مبعوثه الشخصي مساعد بن سويلم ، وكان قادما من قطر ، إلى الكابتن بريدو في البحرين ، وتحدث ابن سويلم باسم ابن سعود الى الكابتن البريطاني ذاكراً أنه في حال ضم إقليم الأحساء وطرد العثمانيين، فسيوقع ابن سعود معاهدة بينه شخصياً وبين السلطات البريطانية من أجل صد أي رد فعل للأتراك وذلك بوساطة الأسطول البريطاني . وبعد مغادرة الكابتن بريدو ، سافر مساعد بن سويلم إلى بوشهر ولم يقابل المقيم البريطاني ، بل

أرسل تلغرافاً طويلاً بإسم شيخ قطر قاسم آل ثاني إلى السلطان العُثماني يطلب منه النظر بعين التقدير إلى ابن سعود(٦) .

إن هذا التكتيك الذي يعمد اليه ابن سعود خلال السنوات الأولى من حكمه ، مكنه من التلويح بورقة العثمانيين طالما أنه لم يحصل على الحماية البريطانية التي يبحث عنها ، في الوقت نفسه كان شيخ قطر جاسم آل ثاني يبذل مساعيه لاقناع الحكومة البريطانية بمنح ابن سعود حمايتها ، كان ذلك خلال اجتماع شيخ قطر بالمقيم البريطاني عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ، وفي العام نفسه ، وتحديداً في شهر أغسطس وبناءاً على طلب ابن سعود حاول الشيخ مبارك أن يقنع من جديد الكابتن كوكس الذي كان حينها المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ، في أن مصلحة بريطانيا تحقيق طلب عبدالعزيز (٧) .

وفي عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م قابل ابن سعود ولأول مرة الكابتن وليام شكسبير المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ، ولكن ابن سعود - هذه المرة - لم يتحدث عن السياسة ، بل كان يشكر المولى على عدم تواجد الأتراك قرب عاصمته، والذين كانوا في الاحساء ، وأن الإنجليز طالما أنهم أصدقاء لمبارك فهم في الوقت نفسه وأصدقائه(٨) . وقد خرج شكسبير من هـذه المقابلة بانطباع عميق عن شخصية ابن سعود ، ولاعجابه به فقد ارتبط معه بعلاقة متصلة حتى وفاة شكسبير عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م(٩).

في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ، وأثناء اللقاء الثاني بين ابن سعود و شكسبير في الصحراء ، أوضح أمير نجد أن جدهُ فيصل الكبير[بن تركي(توفي عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م)] دخل في علاقات مع بريطانيا عام١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م عن طريق الوسيط الكولونيل لويس بلي المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ،



منظر داخل قصر أسرة آل سعود كما يبدو أثناء دخول الرياض عام ١٩٠٢

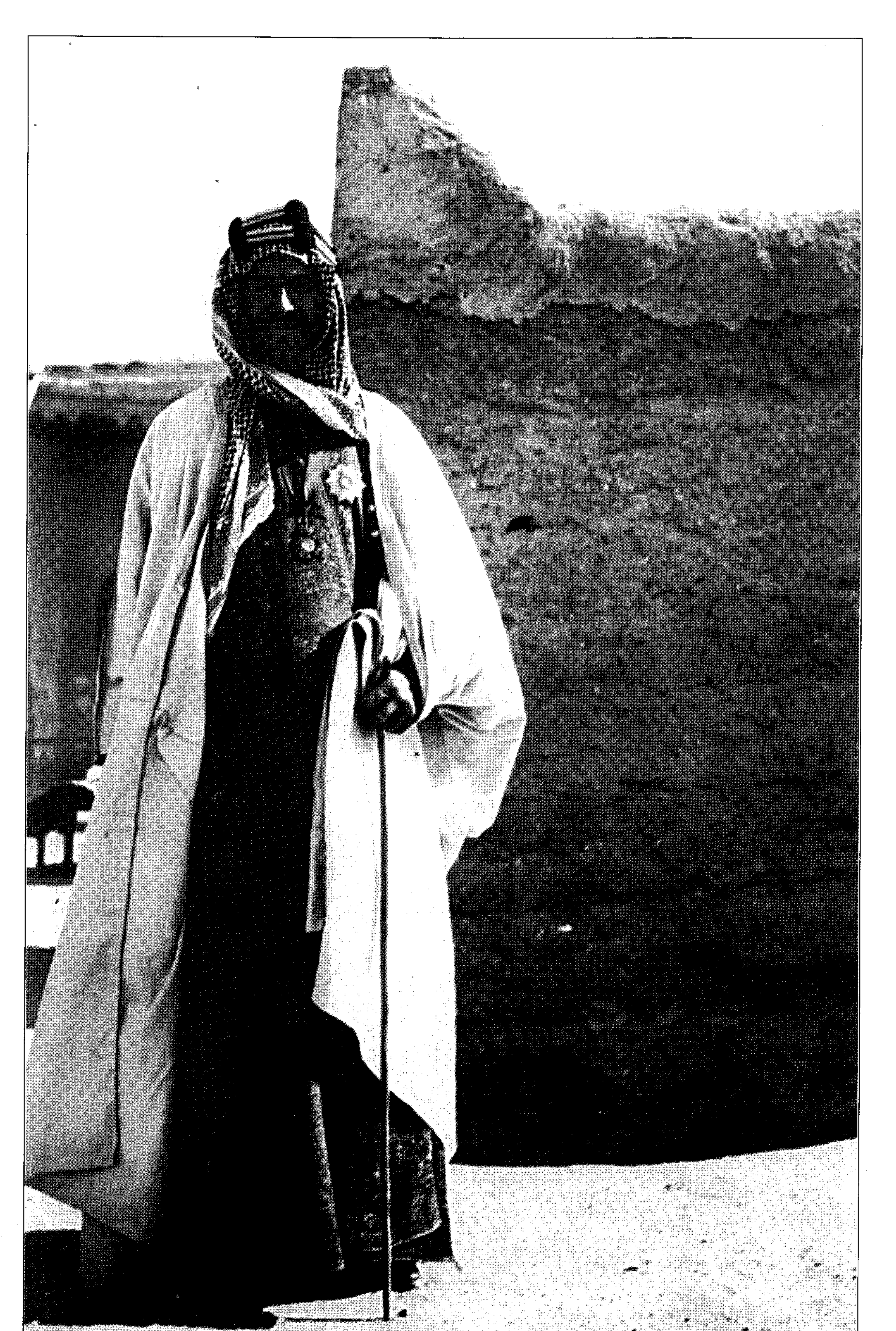
من أجل موازنة التأثير العثماني . وكان جدهُ يرغب - كما يقول ابن سعود - في التأكيد على تجسيد تلك الروابط التقليدية لآل سعود مع بريطانيا والحصول على حمايتها [١٠] .

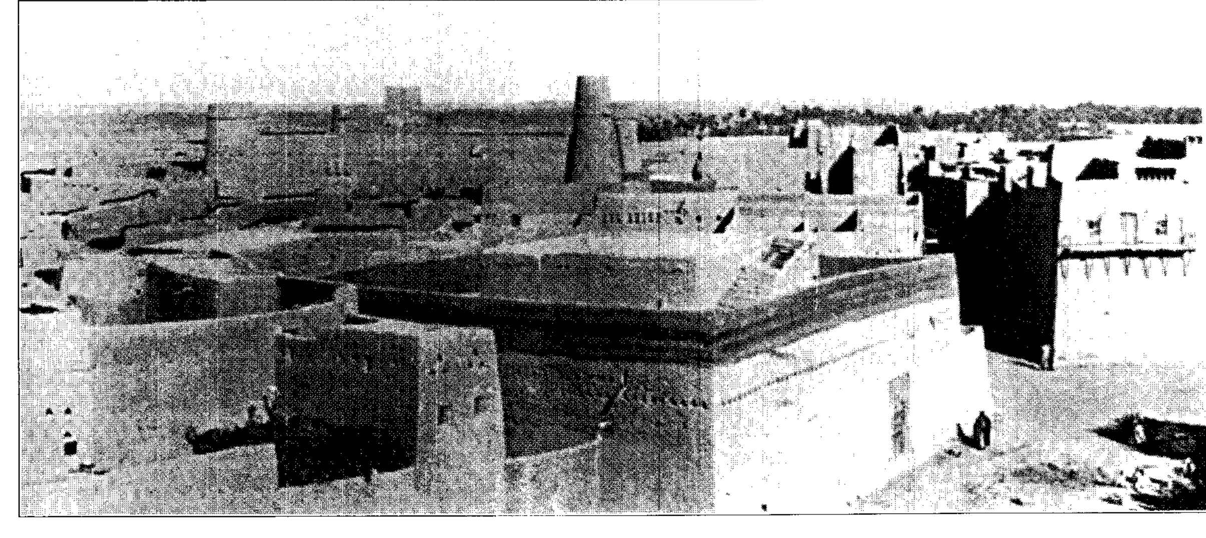
في عام١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ، وبعد استعادة إقليم الأحساء من الاتراك ، كتب ابن سعود إلى السير بيرسي كوكس ، المقيم البريطاني في الخليج العربي قائلاً : جئنا لاستعادة ملك آبائنا وأجدادنا في الأحساء و القطيف ونواحيها ، وبموجب صداقتنا أرغب في الدخول معكم في علاقات مثل تلك التي كانت موجودة فيما مضى بينكم وبين أجدادي ، والتي لابد أن تتقوى في هذه الأيام[١١] .

ومن جديد ألمح ابن سعود إلى الاتفاق الذي أبرمه من قبل مع شكسبير عام١٣٢٩هـ/ ١٩١١م . وفي ختام هذا الاتفاق ، التزم عبدالله [بن جلوي] بعدم مهاجمة قبائل ساحل الخليج العربي ، المرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا ، وتعهد بحماية الرعايا البريطانيين الذين يمرون أو يستقرون في أراضيه ، وتمكن عبدالله من متابعة جباية الزكاة من القبائل ، التي كانت دوماً ملتزمة بدفعها إلى آل سعود[١٢] .

وفي عام ١٣٣١هـ/ ديسمبر ١٩١٣م التقى شكسبير و ترفور المعتمد البريطاني في البحرين ، مع عبدالعزيز في العقير وأبدى عبدالعزيز مجدداً رغبته في حماية بريطانيا ، مع حفاظه على حقوقه الموروثة ، مشيراً الى أنه سيضطر الى المصالحة مع العثمانيين في حال رفض بريطانيا إجابة طلبه . وأكد على استعداده للتعاون في حماية شواطيء الخليج ، ومنع الغارات على شبه جزيرة قطر[١٣] .

وفي عام ١٣٣٢هـ/ ٢٦ فبراير ١٩١٤م ، كتب ابن سعود إلى تروفر ، يستحثه على ارسال الجواب الانجليزي على مقترحاته التي قدمها خلال المقابلة التي تمت في العقير في ديسمبر من العام الماضي [١٤] .





منظر عام الرياض التقطت عام ١٩١٨ من على سطح القصر الملكي وتبدو فيه القلعة الرئيسية

ابن سعود في البصرة في نوفمبر ١٩١٦م

حي من أحياء الرياض خلال العشرينات الميلادية

منظر للرياض التقط عام ١٩١٧ يبدو فيه جماعة تغادر المسجد بعد الصلاة
وفي الخلف تبدو القلعة والقصر

منظر للسوق في الرياض عام ١٩١٧ وفي الخلف يميناً يبدو القصر

وفي عام ١٣٣٣هـ/ بداية شهر يناير ١٩١٥م ، وبعد عودته من بريطانيا ، اجتمع شكسبيرمع ابن سعود مرة أخرى ، بدا فيها ابن سعود مصمماً على التعامل مع الأتراك شارحاً لشكسبير الأسباب التي تدفعه الى ذلك(١٥) ، وبسبب الظروف الطارئة ، وبداية شرارة الحرب العالمية الأولى ، فقد كانت غاية شكسبير جذب ابن سعود إلى جانب بريطانيا ، وتوصل الطرفان الى ضرورة اعتراف بريطانيا بسلطة ابن سعود في نجد والأحساء والقطيف . أما شكسبير فقد قتل في معركة جراب في السابع من ربيع الأول عام ١٣٣٣هـ/ ٢٤يناير ١٩١٥م .

وأخيراً وُقعت في ديسمبر من العام نفسه معاهدة من قبل حكومة الهند وعُدلت في ١٨ يوليو ١٩١٦م ، وبذلك نجح ابن سعود بعد محاولات استمرت من ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م إلى عام١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ، من أجل الحصول على معاهدة مع بريطانيا ، إلا أن ذلك كان يقابل غالباً بالرفض لأسباب تتعلق بالسياسة العليا المبنية على مصالح بريطانيا في المنطقة ، ولم تكن نجد ـ إذ ذاك ـ جزءاً من اهتماماتها(١٦) . ومن المناسب هنا ملاحظة ، أنه منذ دخول الرياض وخلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، حاول ابن سعود التحالف مع بريطانيا ، من أجل تأمين نفسه من الخطر العثماني ، بعد أن قرر مجابهته في الأحساء ، ولكنه في الوقت نفسه أظهر رغبته في التقرب الى السلطان العثماني ، وذلك بغية حث بريطانيا على توقيع معاهدة معها ، وبين عامي ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، و ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م ، كان على ابن سعود أن يجامل الدولة العثمانية ، وفي الوقت نفسه أن يواجه ابن رشيد حليف العثمانيين ، وكان عليه أيضاً أن يستفيد من مبارك باعتباره محمياً من البريطانيين ، ولكن الشيخ مبارك ، بدأ يقلق من توسع سلطة ابن سعود ، خاصة بعد انتصاره على ابن رشيد ، وأخذ الخوف يساور مباركاً من طموحات ابن سعود في شواطيء الخليج ، فسارع الى إبلاغ المقيم

البريطاني بمخاوفه[١٧] . وفي عام ١٣٣٤هـ/ ١٩٠٦م ، راسل مبارك الرشيد في حائل ، عارضاً وساطته للصلح مع ابن سعود [١٨] .

ومهما يكن من أمر ، فقد وازن ابن سعود بين انتظاره التحالف مع بريطانيا ، وبين اظهار التقارب مع العثمانيين ، لكي يستطيع أن يواجه خطر ابن رشيد المعتمد على قوى تركية جاءت تسانده من المدينة . ففي عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، أضطر ابن سعود إلى مواجهة قوة ابن رشيد ، المدعومة بثمانية كتائب تركية ، مُعدة كجيوش نظامية جاء معظمها من ثكنات المدينة المنورة ، تحت قيادة صدقي باشا ، وفرقة أخرى جاءت من بغداد بقيادة فيضي باشا الذي تولى مهمة القائد الأعلى لجميع الفرق العثمانية المرابطة في القصيم ، الذي يمثل مدى حيوياً لابن سعود . ورغم ذلك فقد تمكن ابن سعود من انتزاع عنيزة وبريدة من أيدي ابن رشيد[١٩] . وانتهت حملة ابن رشيد وحلفائه العثمانيين بهزيمة فادحة في معركة البكيرية ليلة الأول من ربيع الآخر عام ١٣٢٢هـ/ ١٥مايو ١٩٠٤م[٢٠] .

وبالنظر الى فشل القوات التركية ، وتعاظم حرارة الصيف عليها، وتفشي الأمراض فيها صدرت أوامر السلطة العثمانية بعد عدة أشهر ا إلى فيضي باشا بالتقدم إلى اليمن لتهدئة الانتفاضة ، و لم يترك القائد التركي في نجد إلا قوة رمزية [٢٢] . وفي غضون ذلك ، نشأت مفاوضات بين ابن سعود والسلطات العثمانية بمبادرة متزامنة من الطرفين[٢٣] . لقد أرسلت السلطات العثمانية في العراق رسالة إلى الإمام عبدالرحمن في الرياض ، بوساطة شيخ الكويت ، فبعث عبدالرحمن برسالة إلى فخري باشا والي البصرة ، باسم ابنه عبدالعزيز ، يطلب فيها مقابلة يتم فيها التأكيد على إذعان عبدالعزيز للعثمانيين ، وقد وافق الوالي على هذا الاقتراح [٢٤] . واعتذر عبدالرحمن في تلك الرسالة عن مهاجمة الوحدات

العسكرية التركية في البكيرية ، طالباً استمرار وصول الإعانات العثمانية لابن سعود. وتذكر بعض الروايات ، ومنها رواية فلبي أن عبدالرحمن قابل بالفعل وفداً عثمانياً في صفوان بحضور أمير الكويت . وخلال تلك المقابلة ، قبل عبدالرحمن بالسيادة المطلقة العثمانية ، والقبول بأن يكون ابنه عبدالعزيز : قائمقام جنوب نجد، وأن تبقى الوحدات التركية كحامية في القصيم ، وفي المقابل تمنع السلطات العثمانية ابن رشيد من التدخل في شؤون آل سعود . وبعد ذلك ، أبلغ عبدالرحمن ابنه بهذا الاتفاق في الحسي ، حيث رجعا معاً إلى القصيم. فما كان من عبدالعزيز إلا أن قابل صدقي باشا وفيضي باشا ، معلناً الغاء التنازلات التي قدمها والده ، وأنه يضمن - فقط - سلامة الأفواج التركية أثناء انسحابها من القصيم ، من هجوم القبائل عليها وحسب فيلبي ، فإن العثمانيين وافقوا على ذلك ، وظل ابن سعود محافظاً على استقلاله عن العثمانيين[٢٥] .

ولكن المؤرخ الأمير سعود بن هذلول الثنيان آل سعود ، يرجح أن عبدالرحمن قد قدم بالفعل تلك التنازلات ، لكي يكسب الوقت ، وفي نيته رفضها لعلمه أن وضع القوات التركية قد تدهور بسرعة بسبب حرارة الجو ، وصعوبة التموين وانتشار مرض «الإسهال» بين الجنود ، فأدرك أنهم لامحالة سيتراجعون[٢٦] . وحسب لوريمر والوثائق البريطانية ، فإن عبدالرحمن وأمير الكويت التقيا بمخلص باشا الذي حلّ محل فخري باشا والياً على البصرة ، وذلك في صفوان عام ١٣٢٣هـ/ ١٣-٨ فبراير ١٩٠٥م في القشعانية . وخلال تلك اللقاءات قدم عبدالرحمن بالفعل التنازلات سالفة الذكر وأن ابن سعود سمي بقائمقام جنوب نجد من قبل العثمانيين . بعد ذلك ، وخلال عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، احتل الأتراك بالفعل القصيم وتمركزوا في بريدة وعنيزة[٢٧] .

وعلى كل حال ، فإن القوات التركية ، واجهت صعوبات وقامت بانسحابات عديدة أكدتها الوثائق البريطانية ، ممايتوافق مع مصداقية رواية سعود بن هذلول(٢٨) ، ورغم ماحدث بهذه القوات من خسائر ، إلا أن ابن سعود سارع الى تقديم اعتذاره ، وتجديد ولائه ، وذلك برسالة وجهها إلى السلطان العثماني في عام ١٣٢٣هـ/ نهاية شهر فبراير ١٩٠٥م (٢٩) ، واستمرت محادثات ابن سعود مع الباب العالي أشهراً ، وكان يخشى من انتقام عثماني بعد هزيمة البكيرية ، وهو بعد لم يحصل على تحالف بريطاني يحميه(٣٠) وظل ابن سعود يتحاشى لقاء مقابلة مخلص باشا ، ويتصرف بحذر فيما يتعلق بالتنازلات ، ويراقب بتحفظ بوادر المستقبل . في عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ، قبل ابن سعودع التقرّب إلى العثمانيين كسباً للوقت ، ودرءاً لذرائع التدخل العسكري العثماني ، ولكي يطيل المسار الدبلوماسي ، وفي الوقت نفسه يمضي بتحركاته في نجد ، سيما وأن معركة البكيرية لم تكن حاسمة ولم تؤد الى إنهاء حكم ابن رشيد ، ومازالت الأفواج التركية مرابطة في القصيم . كان قرار ابن سعود إذاً تكتيكياً صرفاً ، وأنه لا يغيّر من أهدافه الاستراتيجية ، ويبرز قدرته على التكيف مع الظروف ، في ظل اعتراف عثماني بحكمه في وسط الجزيرة . ومن جهة أخرى ، تاركاً الفرصة للسلطات البريطانية بمراجعة أجوبتها السلبية على اقتراحاته ، بعد أن هدد بانضمامه الى المعسكر العثماني ، وأخيراً حصل ابن سعود على النتائج الدبلوماسية دون أن يظهر في الصورة ، حيث تحمل والده مسؤولية تلك التنازلات أمام أعين القبائل .

وفرت الفرقة العثمانية ، المتمركزة بين ابن سعود وبين ابن رشيد ، في القصيم فرصة لابن سعود فذهب في صيف عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ، الى شواطىء الخليج(٣١) . ولكنه ، اصطدم في خطوته تلك ، بصرامة البريطانيين ، فرجع نهاية هذا العام يقاوم على تخوم القصيم . وفي ليلة الثامن عشر من صفر عام ١٣٢٤هـ/

١٣ أبريل ١٩٠٦م[م١] ، وخلال معركة حاسمة ، قتل ابن سعود خصمه عبدالعزيز ابن رشيد في روضة مهنا قرب بريدة . وأسفرت المعركة عن نتائج مهمة أبرزها اختفاء خصم عنيد ، وزوال الوجود التركي الذي تعرض لمشكلات أدت الى فرار كثير من الجنود الأتراك . وإذا كان عدد من قدم منهم من العراق في عامي١٩٠٤م و١٩٠٥م ، أربعة آلاف وخمسمائة رجل ، فإنه لم يرجع منهم سوى أقل من ألف . ولقد كان جلاء القوات التركية عن نجد ضربة شديدة للمكانة العثمانية في الجزيرة ، وترك ذلك أثراً حتى الحرب العالمية الأولى على وجود العثمانيين في الجزيرة العربية قاطبة[٣٢] . وفي السنوات التالية ، ركز ابن سعود على تشديد قبضته على نجد وجنوب القصيم ، وفي هذا المكان - حسب فيلبي - بدأ ابن سعود يخطط لتنظيم حركة الإخوان ، ويضع قواعد انطلاقته اللاحقة [٣٣] ، تحت سلطة مطلقة تتبع اسمياً العثمانيين ، مع الاستمرار في البحث عن تحالف بريطاني .

(م١) ذكر المؤلف أن معركة روضة مهنا يوم ١١ أغسطس ١٩٠٦م ، والصحيح ما أثبتناه ، اعتماداً على مراجع كثيرة . - المترجمان-.



الفصل الرابع

ضم الأحساء عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م

في نهاية سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢، عزّز ابن سعود سلطته في نجد، وفي ادي الدواسر جنوباً حتى تخوم جبل شمر شمالاً، إلى حدود الأحساء شرقاً، وحتى مشارف الحجاز غرباً، وهما منطقتان عثمانيتان. ومنذ انتصاره ضد ابن رشيد في روضة مهنا في عام١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦م، صرف ابن سعود وقته في اخضاع كثير من القبائل [١].

وعلى مسار آخر، فإن شعوراً قومياً ساد العرب، تزامن مع وصول «تركيا الفتاة» إلى السلطة عام١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ولكن سرعان ما تلاشى أمل العرب بالاستقلال الذاتي، إذ استمرت حكومة «تركيا الفتاة» على نهج مركزية السلطان عبدالحميد، و قعّدت سياستها الامبراطورية على القومية التركية، المعتمدة على العلمانية لا على الدين الإسلامي أو الخلافة التي خولت العثمانيين أن يحكموا العرب والمسلمين، وقد ترتب على ذلك تدهور العلاقة بين السلطات التركية والأقاليم العربية[٢]، بل بدأ الغليان القومي العربي من بيروت و دمشق وبغداد[٣]، وحدثت اتصالات بين مختلف القادة العرب في الجزيرة العربية، وبخاصة : ابن سعود، وابن رشيد في حائل، والشريف حسين في مكة وغيرهم، وذلك بهدف التنسيق لمقاومة السلطات العثمانية التي عمدت الى سياسة

«التتريك» الأمر الذي أثار الشعوب غير التركية[٤] ، ولكن هذه المشاورات فشلت بسبب سياسة « فرق تسد » التي اتبعها الأتراك ، ونجم عنها اختلاف الزعماء العرب وتصارعهم : فالشريف حسين واظب على أهدافه الخاصة ، ومبارك كان مريضاً ومتعباً ، وآل رشيد في حائل يبحثون من جديد عن دعم بعض القبائل ، وبخاصة قبيلة مطير ، بينما ابن خليفة والعجمان يتآمرون ضد ابن سعود ، لقد شغلت أوضاع الصحراء ، الزعماء العرب عن مجابهة الأتراك[٥] .

منذ عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م ، نشب صراع بين الدويش شيخ مطير والرشيد في حائل ، وبين شيخ العجمان ضيدان بن حثلين وابن خليفة المتصرف العثماني في الأحساء ، وشكلت هذه القوى جبهات قتالية ضد ابن سعود ، كما أدت الى إضعاف تأثير الشيخ مبارك وتأثيره على الساحة السياسية داخل الجزيرة العربية ، ولكن سياسة التوازن التي نهجها مبارك بين بريطانيا العظمى والدولة العثمانية منحته إستقلالية ذاتية كبرى في إتخاذ القرار ، وفي الوقت نفسه اجبرته هذه السياسة شيئاً فشيئا على ترك طموحاته داخل الصحراء . وحرص على توازن قوى ابن سعود وابن رشيد ، فقام بدور الوسيط لتلافي أي صراع حاسم بينهما[٦] .

ورغم تقدير مبارك لابن سعود بإعتباره تلميذه في السياسة [٧] ، إلا أنه كان يخشى من أن يبسط ابن سعود حكمه على معظم نجد وجبل شمر ، وبسبب تلك اللعبة على الأطراف الثلاثة ، نجح مبارك في سياسة التوازن مند دخول الرياض الى مقتل عبدالعزيز بن رشيد في روضة مهنا ، واستطاع مبارك الاحتفاظ لنفسه بأقصى درجات التأثير على سياسة الصحراء الداخلية . وبينما كان ابن رشيد حليفاً للأتراك ، كان مبارك ، تابعاً اسمياً للعثمانيين ، وحليفاً سرياً لبريطانيا ، ويبقى ابن سعود الوحيد الذي احتفظ باستقلالية ، وإن كانت نسبية كما رأينا .

في عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م اتفقت بريطانيا والدولة العثمانية على تقاسم النفوذ في المنطقة [٨] ، ممـا هدد مباشرة سياسة مبارك التوازنية التي اتخذها في تعامله مع هاتين القوتين . أما ابن سعود فقد أفاد بشكل غير مباشر من التفاهم البريطاني - العثماني ، حيث حدت السلطات البريطانية من طموحات شيخ الكويت إزاءالداخل ، غير أن ابن سعود أدرك أن ضعف الشيخ مبارك سيخلف فراغاً داخل القبائل الواقعة جغرافيا مابين الكويت والجزءالنجدي الذي يحكمه ، وبين الأحساء التي هي نظرياً عثمانية ترابط فيها بعض الحاميات التركية ، الأمر الذي يتيح لتلك القبائل مزاولة نشاطها التقليدي من غارات تهدد حكم ابن سعود ، وبخاصة أن هذه القبائل تتزود بالمساعدات التركية ، فقد أمدت السلطات العثمانية بالأسلحة قبيلتي مطير حليفة ابن رشيد ، و العجمان حلفاء ابن خليفة المتصرف العثماني في الأحساء. يضاف الى ذلك أنه بين عامي ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، و١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ساءت العلاقات بين ابن سعود و الشريف حسين في مكة الذي يخضع للأتراك ، وكانت قواته قد جاست خلال ديار نجد [٩] . وكان الشريف يتذرع بحجة نصرة بعض النجديين الذين لجأوا اليه [١٠] ، ولم تنطل هذه الحيلة على ابن سعود فهو يعلم أن يد العثمانيين هي التي تحرك الشريف ، ذكر ذلك لشكسبير أثناء مقابلته له عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م[١١] .

تقلصت تأثيرات الشيخ مبارك خلال عامي ١٣٢٩-١٣٣٠ هـ/ ١٩١١-١٩١٢م، بسبب التحجيم البريطاني من جهة ، وانتشار التأثير التركي وسط القبائل ، وبخاصة لدى ابن رشيد ، وابن خليفة والشريف حسين من جهة أخرى . وأصبحت الكويت سياسياً كما كانت دائما جغرافياً ، بمعنى أن سلطتها انحصرت في «الكويت الميناء» بعد أن كانت أكثر اتساعاً بسبب ما كان يتمتع به مبارك من فطنة ودهاء[١٢] .

في هذا الخضم من الظروف السياسية والعسكرية ، استولى ابن سعود في جمادى الأولى عام ١٣٣١هـ/ ٨ مايو ١٩١٣م على إقليم الأحساء وطرد الحاميات التركية التي ظلت مستقره منذ عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م ، تم ذلك بسرعة وبأقل خسائر وذلك بمساعدة من السكان . وسبق أن ذكرنا أن ابن سعود أبلغ السلطات البريطانية منذ عام١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م، بعزمه على استرداد هذا الإقليم [١٣] . ولم يحصل ابن سعود على دعم بريطانيا ، رغم الحاحه عليها ، تفادياً لأي رد فعل تركي يأتي من جانب البحر ،وهذا يجعلنا نتساءل : لماذا نفذ ابن سعود مشروعه في الأحساء قبل حصوله على الدعم البريطاني ؟

في صيف عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ، بدأت الحكومتان البريطانية والتركية سلسلة من المفاوضات ، لحل عدد من مسائل الصراع بينهما ، وبخاصة فيما يتعلق باقتسام النفوذ والمصالح في شرق الجزيرة العربية ، و بناء سكة حديد بغداد مع امكان مده إلى شواطىء الخليج ،وقد انتهت هذه المفاوضات بتوقيع اتفاق عام ١٣٣١هـ/ ٢٩يوليو ١٩١٣م [١٤] . والنقاط الرئيسة لهذه الوثيقة تتعلق بالكويت وقطر : في البند الاول ، تبقى الكويت « وحدة إدارية تتمتع بحكم ذاتي » ضمن الدولة العثمانية ، تحدد حدودها بالبندين الرابع والسابع . ويشير البند الحادي عشر إلى أن الباب العالي يتخلى عن كل مطالبه بقطر ويقبل تحديد السلطة القضائية العثمانية في وسط الجزيرة ، واعتبار قاعدة جزيرة قطر ، حدوداً شرقية لسنجق نجد، ورسمت هذه الحدود بالخط الذي يبدأ من ساحل الخليج إلى غرب قطر، مقابل جزيرة زخنونة ، ثم يتجه إلى الجنوب ، الى الربع الخالي . وهذا الخط الذي يعبر تقربيا وسط صحراء الجافورة ، والمرسوم بالازرق على الخريطة ، سُمي «بالخط الازرق» .

إن هذا الاتفاق المشار اليه ، لم يصادق عليه الباب العالي ، وانتهت المدة الممنوحة للتصديق وهي ثلاثة أشهر ، وجدد عدة مرات ،و اندلعت الحرببين الدولتين عام ١٣٣٢هـ/ ٣١ اكتوبر ١٩١٤م ، ولم يتم التصديق عليه . وفي هذه الأثناء ، تبين أن الباب العالي قد قبل هذا « الخط الازرق» حدوداً فعلية لأراضيه من جهة شرق الجزيرة ، مع ربط ذلك بماورد في الاتفاقية الثانية الموقعة بين الدولتين في ٩ مارس من العام نفسه ، وكانت حول الحدود والمناطق المهمة في الجنوب الغربي للجزيرة العربية(١٥) . والأكيد هنا أن ابن سعود كان على علم بتلك المفاوضات في وقت مبكر ، بواسطة شبكة معلوماته(١٦) .

وفي نهاية العام ذاته ، انقسم المسرح السياسي في المنطقة الى ثلاثة مستويات : المستوى الاول : التركي/ البريطاني، حيث حاولت هاتان القوتان تحديد مناطق النفوذ المشترك . والمستوى الثاني : فشل قادة الجزيرة في محاولاتهم في التفاوض فيما بينهم وتحالف بعضهم ضد بعض. وأخيرا المستوى الثالث : محاولة ابن سعود تغليب مصالحه التي تهمنا هنا .

يجري الاتراك غالباً اتصالات مع مختلف قادة الجزيرة العربية من خلال ممثلهم في البصرة : السيد طالب وهو أحد كبارالتجار ، وكان على اتصال مباشر مع القادة العرب في الخليج والداخل ، ومن بينهم ابن سعود(١٧) . في بداية عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م ، أستُدعى السيد طالب إلى اسطانبول للتشاور وتلقي التعليمات . وفي نهاية شهر يوليو ، رجع السيد إلى البصرة حيث أعلن أن لديه النية في مقابلة ابن سعود في أقرب وقت ممكن . وفي خريف العام نفسه ابن سعود . وشرح له فحوى المفاوضات الدائرة بين الأتراك والبريطانيين ، وأبلغه أن لدى السلطات العثمانية - ضمن إطار الحل الشامل الذي تعده مع السلطات البريطانية

حول تحديد مناطق النفوذ المشترك في المنطقة - النية بأن تسمي ابن سعود «متصرف نجد» ، والاعتراف بسلطته في الأحساء ، تحت السيادة المطلقة للعثمانيين [١٨] . فتحدد في هذا اللقاء ماتريده الدولة العثمانية من ابن سعود[١٩] ، وتأكدت لديه المعلومات التي استطاع أن يحصل عليها حول تطور المفاوضات التركية ـ البريطانية ، واستنتج الأمور الآتية :

فأولاً : تحديد مسارات النفوذ المشترك بين السلطات البريطانية والعثمانية في الجزيرة والخليج العربي ، قصر حركة ابن سعود داخل دائرة ضيقة في نجد وهذا ما لا يريده .

وثانياً : لقد أدرك ابن سعود أن لاجدوى من بريطانيا ، بعد أن دخلت في اتفاقيات مع الباب العالي .

وأخيراً : رغم أن الأتراك قد أبدو استعدادهم للتنازل عن الأحساء لابن سعود، إلا أن ثمن ذلك خضوع ابن سعود للسيادة العثمانية المطلقة ، باعتراف من بريطانيا . وسيظل مديناً للعثمانيين بمنحهم إياه إقليم الأحساء . وهذه « الهبة» ستقيده كتابع للباب العالي ، ولن يستطيع الاتصال مباشرة مع بريطانيا ، ولن يتحرك بحرية نحو الخليج ، ولن يقدر على تأمين مرافيء خاصة به ، وإذا حصل على ذلك لن يتصرف بتجارته وموارده المالية لأنه « مجرد وكيل » للدولة العثمانية ، كل ذلك مقابل « إقليم » هو في الأصل جزء من أملاك أجداده ، وكان ابن سعود قبل دخول الرياض قد سعى لتحقيق هدفين رئيسين - ضمن استراتيجية طويلة المدى - : التحالف مع بريطانيا في إطار الاستيلاء على إقليم الأحساء ، وتحاشي الخضوع لسيادة العثمانيين ، وذلك من أجل حرية الحركة والتصرف في دائرة أهدافه .

ولم يكن الوضع عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، مناسباً لتنفيذ هذين الهدفين الرئيسين، ورأى ابن سعود أن يطبق سياسة « التوازن » التي نهجها الشيخ مبارك ، خلال السنوات العشر منتهزاً روح التنافس بين بريطانيا والدولة العثمانية ، ذلك لأنه الفى نفسه أمام تخلي بريطانيا عن دعمه ، وسعي الأتراك الى احتوائه . قال شكسبير خلال لقائه بابن سعود في الفترة من ٣٠ مارس إلى ٤ أبريل ١٩١٣م/ ١٣٣١هـ : إن عبدالعزيز كان محبطاً من سلبية الموقف البريطاني[٢٠] .
لقد اسقبل ابن سعودالكابتن شكسبير في الخفس ، في الصحراء الشرقية ، على تخوم الأحساء، حيث كان معسكراً منذ شهر فبراير ، يعد العدة لاسترداد الأحساء .
مكث شكسبير خمسة أيام في الخفس ، وكتب أن محادثاته مع ابن سعود كانت تدور حول الموضوعات نفسها التي بحثت عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ، وأن ابن سعود، قد رضخ لضغط قوي عثماني ليقبل بالسيادة المطلقة للباب العالي . وفي الواقع ، فالأتراك قد سبق لهم أن طالبوا بن سعود عدة مرات بأن يثبت ولاءه للسلطات العثمانية ويقبل بـ « لقب رسمي عثماني» ، يزاول به حكمه في نجد ، وأن يرسل أبناءه إلى اسطانبول ليتلقوا تعليماً مدنياً وعسكرياً ، وأخيراً يرفع لهم بمحاضر المراسلات التي نشأت بينه وبين السلطات البريطانية .

أبلغ ابن سعود شكسبير بمدى الغضب الذي يعتمل في نفوس العرب تجاه هيمنة الأتراك ، وأن القادة العرب الآخرين -كما يقول ابن سعود - ينظرون اليه كأنموذج لأنه الزعيم الوحيد الذي لا يرعوي لقوة أجنبية . إن ماحصل للأتراك من صعوبات شديدة في البلقان ومع ايطاليا ، يحفز ابن سعود لاغتنام الفرص المناسبة. ويعتب ابن سعود على بريطانيا لأنها لم تطرق أبوابه بعد . ويلخص شكسبير انطباعاته عن شخصية ابن سعود بأنه الرجل القائد الذي يجمع في ذاته أفضل صفات القيادة ، شخصيته قوية مرشحة لأن تفرض نفسها يوماً على كل أنحاء الجزيرة[٢١] .

ولم يكن أمام ابن سعود خيار -وقد يئس من دعم بريطانيا ، وخشي من مغبة اتفاقها مع الباب العالي - إلا أن يقرر خلال شتاء١٣٣١هـ/ ١٩١٢ ـ ١٩١٣م دخول الأحساء ، وفي ٨ مايو من العام نفسه ، عسكر أمام الهفوف ، وفي الوقت ذاته أرسل رسالة إلى السيد طالب في البصرة ، يؤكد فيها ولاءه للباب العالي ، ويبين أن قضية الأحساء ماهي سوى عودة الأشياء إلى حالتها التقليدية لأن القبائل التي تقطن هذا الإقليم جددت ولاءها القديم لأسرته [٢٢] . كما بعث إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ، السير بيرسي كوكس ، يخبرهُ أنه جاء لإستعادة أرض آبائه وأنه يرغب الدخول في علاقات تحالف مع بريطانيا ، مثل ما تسنى لأجداده[٢٣] . ويأمل إخباره فيما إذا أرادت بريطانيا الاحتفاظ بالصداقة القديمة مع آل سعود - وهذا مايرنو اليه - لكي يتخذ الترتيبات اللازمة لحماية مصالحه[٢٤] .

نجح ابن سعود في سياسة التوازن التي اتبعها منذ دخول الرياض ، كما أفلح بدخوله الأحساء في لفت نظر البريطانيين ، ففي عام ١٣٣١هـ/ أغسطس ١٩١٣م، كتب هادرينج نائب الملك في الهند ، الى كرو Crewe أمين الدولة لشؤون الهند يخبره أن ابن سعود قد أصبح ذا تأثير على المصالح البريطانية ، ومن المناسب إتخاذ اجراء حياله[٢٥] .

وفي عام ١٣٣٢هـ/ ٩ مارس ١٩١٤م ، لخصت الحكومة البريطانية في مذكرة دبلوماسية مرسلة إلى السفير التركي في لندن حقي باشا ، تطلعاتها نحو بن سعود الذي أصبح يشرف على ضفاف الخليج ، وعلى بريطانيا منذ الآن التعامل معه[٢٦] . وكان رد الفعل التركي من الناحية العسكرية قد جاء بطريقة سريعة وسهلة، كما يقول فيلبي[٢٧] . حيث تحركت من البصرة فرق تركية ورست في

ميناء العقير ، ولكنها سرعان ما هزمت فقفلت راجعة إلى البحرين وهذا كل مافي الأمر . وبسيطرة ابن سعود على الأحساء[٢٨] . دخل ابن سعود في علاقات دبلوماسية جادة مع بريطانيا .

من جهة بريطانيا ، كان أول جواب من السير بيرسي كوكس على رسالة ابن سعود قد أرسل في ٩ يوليو ، أعلن فيه المقيم السياسي باختصار أن الحكومة البريطانية تقدر شعور الصداقة الذي أبداه الأمير ، ولكنها لا ترى وسيلة يمكن منها التدخل في النزاع الذي حدث بين أمير نجد والحكومة التركية . ومع ذلك ترى الحكومة البريطانية أن من الضروري اتخاذ موقف محايد صارم نحو الطرفين[٢٩] . وبسبب صراعات المصالح بين حكومة الهند و«وزارة الخارجية» في لندن ، لم تستطع الحكومة تحديد موقفها من ابن سعود ، حيث كانت الحكومة أكثر تردداً في القبول بفتح قنوات مع ابن سعود من وزارة الخارجية في لندن ، والتي كانت ـ في خضم المفاوضات مع الاتراك حول منطقة الخليج ـ قد ذكرت ابن سعود ، قبل كل شيء ، بمسألة احترام وحماية السيادة العثمانية[٣٠] . كما أن مشروع الاتفاق الذي نجحت «الخارجية» في ابرامه مع الأتراك لا يشمل أي سلطة لابن سعود على الأحساء بل يمنح الأتراك حق السيادة على نجد[٣١] بالرغم من أن معقلهم العسكري في الأحساء ، قد سقط بيد ابن سعود .

لم يرض ابن سعودعن جواب كوكس الفضفاض غير المحدد ، وطلب تفسيراً له ، وفي الوقت نفسه أرسل مبعوثا جديداً إلى البصرة ، يحمل رسالة إلى الباب العالي ، يؤكد فيها أن دخوله الأحساء كان استجابة لنداء سكانه ، وأنه مازال على ولائه للدولة العثمانية[٣٢] . ومرة أخرى ينجح ابن سعود في امتصاص غضب الأتراك ، وقد سبق له أن استخدم هذا التكتيك عام١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م لكي يطمئن

الباب العالي . وبإختصار ، فإن ابن سعود يمضي في توطيد سلطته في الأحساء ، ويظهر انقياده الصوري للسيادة العثمانية .

وفي عام١٣٣١هـ/ بداية سبتمبر ١٩١٣م ، استلم ابن سعود الجواب الثاني من كوكس ، يقول له :

« باسم حكومتي أستطيع أن اطمئنك أن الحكومة البريطانية عازمة على متابعة العلاقات الودية التي عقدتها في الماضي معكم من أجل أن تتوقفوا من جهتكم عن أي حركة تجلب المتاعب أو تحدث فوضى في الإمارات العربية حيث إن بعض الأمراء على علاقة مع حكومة جلالته ، ومن بينها إمارة قطر التي أعُترف باستقلالها مؤخراً في ظل سلطة الراحل الشيخ جاسم آل ثاني ومن يخلفه من أسرة آل ثاني»[٣٣] . ورغم أن هذا الرد يؤكد العلاقات الودية التي تحرص عليها بريطانيا مع ابن سعود ، إلا أنه لا يتضمن أي تعهد محدد ، كما يتطلع أمير نجد . لذلك طلب ابن سعود مقابلة السير بيرسي كوكس ، لكي يحصل على تعهد من بريطانيا إلى أبعد حد ممكن حتى يستطيع أن يتخذ قرارات متوازنة إزاء طلبات الأتراك التي أرسلت إليه بناءًا على ما أبداه لهم من ولاء صوري . وقد تمت المقابلة في العقير أواخر عام ١٣٣١هـ/ ١٥ ديسمبر ١٩١٣م ، وحضرها كوكس و تروفر المعتمد السياسي في البحرين و شكسبير الذي قدم من الكويت .

وخلال تلك المقابلة المهمة شرح ابن سعود للوفدالبريطاني أنه كان على اتصال دائم مع القادة العرب في اليمن ومسقط ، و أن السلطة العثمانية في الجزيرة آخذةٌ في الأفول ، لأنها سلكت سياسة صارمة ضد العرب ، وقد أدركت ذلك ، وحاولت تفادي النتائج ،بتسليح طرف ضد الآخر كما حدث لابن رشيد في صراعه مع ابن سعود. وكان ابن سعود يرغب بانضمامه الى نظام الحماية البريطانية لكي

يتمكن من الاحتفاظ بحقوقه الموروثة عن آبائه ، وإلا فسيكون مضطراً للتوصل إلى اتفاق مع الاتراك . وأبدى استعداده لوقف الغارات على عُمان ، والساحل المتهادن الى قطر ، شريطة عدم إيواء الخارجين عليه ، وقال ابن سعود إن الأتراك مارسوا ضغطاً عليه منذ شهر أغسطس ١٩١٣م ، للقبول بمعاهدة صارمة وموضحاً أن الأتراك قد سبق أن قبلوا بالمشروع الأول الذي يوضح النقاط الرئيسة ، التي يمكن اختصارها على النحو الآتي :

١- إعادة الوجود العسكري العثماني في الأحساء .
٢- تعيين القضاة والإداريين بـ « فرمان » من السلطان العثماني .
٣- إبعاد كل المعتمدين التجار والتجار الأجانب من نجد .
٤- كل علاقات ابن سعود مع القوى الخارجية يجب أن تتم عبر الباب العالي .
٥- على ابن سعود أن يدفع سنويا ٣٠٠٠ جنيه تركي .
٦- منع الشركات الأجنبية من أي امتياز في مصلحة النقل سواءاً عبر السكك الحديدية أو عبر السيارات .

وإلى جانب ذلك ، أبلغ ابن سعود الوفد البريطاني بأنه مستعد لحماية الرعايا البريطانيين الذين يرغبون المجيء للعمل بالتجارة في نجد والأحساء . وأخيراً ، طلب ابن سعود من بريطانيا إرسال ٤٠٠٠ رشاش وبندقية مع ٤٠٠ رصاصة لكل بندقية .

وفي بداية سنة١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ، أصبح واضحاً أكثر فأكثر أن الأتراك قد قرروا التوصل مع ابن سعود الى حل عبر المفاوضات أو بوسائل أكثر فعاليّة ، كالتدخل العسكري ،وأصبح « ابن سعود» قضية مهمة بين الخارجية البريطانية ، وحقي باشا، السفير العثماني في لندن[٣٥] .

وفي ٩ مارس ١٩١٤م قدمت السلطات البريطانية إلى حقي باشا مذكرة دبلوماسية تتضمن الاعتراف بحكم ابن سعود على الأحساء ، تحت السيادة العثمانية ، شريطة أن يتعهد باحترام الواجبات الرئيسية لنظام الحماية ، فيما يتعلق في القضاء على القرصنة ، وفي الحفاظ على السلام البحري وتجارة الاسلحة ، وأن يقبل بتواجد التجار البريطانيين في القطيف . ويبدو أن الحكومة البريطانية قد قبلت باعتبار ابن سعود « مقيماً » أو تابعاً للدولة العثمانية في الخليج(٣٦) .

وفي ٢٦ فبراير١٩١٤م، كتب ابن سعود إلى تروفر يستعجله بعث إجابته على العروض والطلبات التي قدمها أثناء لقاء العقير ، مشيراً الى أنه لايستطيع أن يجعل الأتراك ينتظرون وقتا طويلا(٣٧) . فأجابه تروفر بأنه لم يتلق بعدُ أيّ تعليمات . وفي ١٦ مارس من العام نفسه ، أبرقت حكومة الهند الى تروفر تطلب منه أن يبلغ ابن سعود أن بريطانيا ماتزال تحاول إيجاد مخرج ما مع الباب العالي ومن مصلحته الانتظار .

وفي نهاية مارس ١٩١٤م ، بدأ الأتراك تحركهم الدبلوماسي من خلال السيد طالب ، الوسيط المعتمد ، المكلف بالاتصال من جديد مع ابن سعود ، بوساطة أمير الكويت(٣٨) . واهتماماً بهذا الأمر ، أرسلت السلطة العثمانية موظفاً تركياً رفيع المستوى إلى البصرة لمقابلة أمير الكويت بغية تنظيم مقابلة له مع ابن سعود ، فرفض مبارك - في البداية - خشية أن يكون ذلك على حساب اهتمام الأتراك بالكويت ، ونتيجة للضغط التركي بعث مبارك إلى ابن سعود رسالة يقترح عليه فيها مقابلة الوفود العثمانية فأجابه ابن سعود :

« أقبل المجيء قريباً من الكويت ، وأطيعك فيما يتعلق بالولاء والامتثال لحكومتنا (الحكومة العثمانية) ، ولكن أنت تعرف جيداً الإهانة التي بدرت من

المعتمدين لتلك الحكومة نحوي . . . والآن ، وبفضل الله ، فأنا في وضع يخولني القيام بأمور كبيرة حتى العراق ، ولكن لن أكون سبباً في تدهور الحكومة (العثمانية) ولا في ثورة يؤججها العرب ضدها ، والآن ، وبعد ما ملكت أرضاً مثلما استطعتَ أن ترى ذلك ، يا مبارك ، فأنا قادر على حماية حقوقي . أمتثل عندما أستطيع الحصول على حمايتي وحماية شؤوني »(٣٩) .

وقبل ذلك بأسبوعين ، كتب أيضا ابن سعود إلى تروفر يطلب منه عقد لقاء مع ممثل بريطاني قبل التقائه وفداً عثمانياً ينتظره في الكويت(٤٠) ، أملاً في تغيير إتجاه السلطات العثمانية في الساعات الأخيرة ، ولكن الكولونيل قري ، الذي خلف شكسبير كمعتمد سياسي في الكويت ، قد قابل ابن سعود في المحلة ، في متصف الطريق بين الكويت والصبيحية ، وهو المكان المحدد لمقابلة الوفد العثماني . وفي هذا الاجتماع قال قري لابن سعود : إن بريطانيا لا تستطيع منحه الحماية المطلوبة وفي هذه الأثناء عرضت بريطانيا وساطتها للعثمانين في نزاعهم مع ابن سعود ، ولكن تلك الوساطة رفضت . وحاول ابن سعود أن يتنزع من قري التزاماً بتأمين حماية بحرية له في حال هجوم قطع تركية على سواحل الأحساء. فرفض قري إلا إذا استخدمت جزرالبحرين قاعدة لإبحار السفن التركية ، وفي آخر المطاف أبدى قري عدم اعتراض حكومته على نشوء مفاوضات مباشرة بين ابن سعود و السلطات العثمانية (٤١) .

وجد ابن سعود نفسه أواخر سنة ١٣٣١هـ/ أبريل ١٩١٤م ، وعلى طريق الصبيحية ، يائسًا من الحصول على موقف بريطاني يسانده ، وكان لزاماً عليه أن يقف وحيداً في مواجهة المطالب العثمانية ،فقابل الوفد العثماني في الصبيحية من ٢ إلى ٤ مايو من العام نفسه . وترأس الوفد العثماني السيد طالب نفسه وتوج اللقاء

باتفاق بين الطرفين (٤٢) ، و اعترف فيه ابن سعود بالسيادة المطلقة للعثمانيين على نجد والأحساء ، وقبل أن يدعى « والي نجد» وهذه الصفة باقية في عقبه الى الأبد . وأشير إلى آبائه باعتبارهم ولاة سابقين . ونصت الاتفاقية على أن الحاميات التركية المكونة من خمسة رجال في كل حامية ، ستظل مرابطة في موانيء الأحساء و الجبيل و القطيف والعقير ، ولكن ليس في الجزء الصحراوي للإقليم . ويخصص لابن سعود ٢٥٠ جنيهاً تركياً كل شهر ، وله أن يجبي الضرائب الجمركية، ليصرف منها على الشؤون الإدارية ، وماتبقى موزع بالتساوي بينه وبين السلطات العثمانية . ويتعهد ابن سعود برفع العلم العثماني وعدم التدخل في الشؤون الخارجية ، وألا يقوم بمراسلة القوى الاجنبية ، أو يمنح أي امتيازات أو تنازلات للأجانب .

وفي ٩ يوليو من عام ١٩١٤م ، أرسل حقي باشا مذكرة إلى «وزارة الخارجية» في لندن أعلن فيها أن قرارا سلطانياً قد صدر بتعيين ابن سعود والياً لنجد ، وليس له الحق في توقيع أي اتفاقيات أو عقد أي تعهدات مع القوى الأجنبية وأن عليه إحترام المعاهدات الموقعة بين الدولة العثمانية والدول الأخرى(٤٣) . وهكذا ، وبعد اثنتي عشرة سنة من المحاولات المتواصلة من أجل قدر أكبر من الاستقلال عن العثمانيين ، أضطر ابن سعود إلى التعامل مع الأتراك وهو وإن لم يقبل بكل شروطهم فعلى الأقل اعترف بسيادتهم المطلقة . وقد تراءى له أن لا محالة من الامتثال (٤٤).

و في عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، روى ابن سعود لشكسبير فصولاً من مفاوضاته مع الأتراك ، قال شكسبير :

«انتهت المفاوضات ظاهرياً بسلسلة من الشروط تضمنت مشروع اتفاق يؤكد على الولاء التام للباب العالي ، وأُرسل هذا المشروع إلى اسطانبول لفحصه

وإقراره. وقد رفض ابن سعود في البداية تلك الشروط ، ولكنه عاد فقبل بهابناءاً على ضمانات رسمية قدمت له بواسطة المندوبين التركيين حيث كانت تلك الشروط ضرورية لحفظ ماء وجه الحكومة التركية . وبالفعل لم تكن للسلطات التركية نيّة الإصرار على تطبيق تلك الشروط(٤٥) .

أما فيلبي فيزعم أن ابن سعود هو الذي بادر الى التوجه نحو الأتراك بعد الاستبدال المؤقت لـ شكسبير في الكويت بالكولو نيل قري الذي أبلغ ابن سعود أن عليه أن يقطع الأمل بأي عون بريطاني إزاء مشكلاته مع الباب العالي ، فكتب ابن سعود إلى سليمان شفيق كمالي باشا ، والي البصرة ، الذي قبل التفاوض ، وبهذه المناسبة ، أعطى ابن سعود لسليمان شفيق تعهداً شفوياً فقط ، بأن يُعتبر «الوالي الوريث لنجد » ، وأن يرفع العلم التركي ، وتكون إدارة أقاليمه تابعة للسلطان ، مع الاحتفاظ بموارده لنفسه وإدارة شؤونه دون العودة إلى الباب العالي ، وعلى جميع مراسلاته مع القوى الأجنبية أن تمر مستقبلاً عبر الباب العالي ، ويتعهد ابن سعود بدعم الأتراك في حال النزاع المسلح ، وأخيرا فإن «مذكرات سعودي» تنفي وجود أي اتفاق مكتوب (٤٦) ، كما يؤكد فيلبي أنه لم يجد أي أثر لذلك الاتفاق في سجلات الرياض(٤٧) .

والطرح السعودي الرسمي اليوم يوضح أن ابن سعود لم يوقع مثل تلك المعاهدة مع الأتراك ، وأن الوثيقة التي وجدت في البصرة من قبل البريطانيين كانت مزورة ، وأن تلك الوثيقة هي جزء من خطة تركية موجهة لكبح رغبات العرب في الاستقلال عن السيادة العثمانية ، لأنه من خلال قبول ابن سعود بالسيادة العثمانية ، يستطيع الأتراك احباط محاولات الزعماء الآخرين في اليمن وعسير الذين يتطلعون على وجل الى الاستقلال (٤٨) . ومهما يكن من أمر ،

فوجود أوغياب تعهد مكتوب من ابن سعود بالنسبة للسيادة المطلقة العثمانية ، لايشكل لنا سوى أهمية نسبية . فإن كان ابن سعود رضخ شفاهة أو كتابة ، فهو إما مضطر الى التنازل ، بسبب صعوبة التعامل مع العثمانيين كما حدث عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م . أو أسلوب تكتيكي من أجل السيطرة على إقليم الأحساء . وبالنظر في قائمة أهدافه الاستراتيجية ، فإن إظهار تنازلاته أفضل من الإحجام عن تحقيق انتشاره بدل أن يظل معزولاً داخل الصحراء . إن قرار ابن سعود دخول الأحساء جاء منقذاً له من شروط الاتفاق التركي ـ البريطاني الذي كان معداً ، ومن قبول الأحساء « هدية عثمانية » ثمنها خضوعه للسيادة العثمانية بمباركة بريطانيا ، كما أن ضم الأحساء يسهل على ابن سعود الحصول على مساندة بريطانية ، وبذلك يحقق أحد أهدافه التكتيكية المهمة . وربما دفعه دخول الأحساء الى سلسلة مفاوضات مع العثمانيين الذين سيطالبونه بقبول سيادتهم المطلقة .

لقد استبعد ابن سعود بادىء ذي بدء أي فكرة لمواجهة عسكرية لأنه لم يحصل على دعم بحري بريطاني ،ولذلك نرى ابن سعود سنة ١٣٣٢هـ/ مايو ١٩١٤م ، يضطر بقبول مبدأ السيادة العثمانية المطلقة ، فالأتراك من جهة اعترفوا في «بنود اتفاقيتهم» بسيادة وراثية لآل سعود على نجد وهذا أمر لا يستهان به ، ولكنهم من جهة أخرى قيدوا علاقات ابن سعود مع القوى الخارجية إلا من خلالهم، وتركوا له حرية الحركة في نجد ، ومع القبائل في الداخل . ومن المناسب هُنا ، أن نشير الى أن السيادة العثمانية على نجد عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م كانت اسمية، ذلك لأن ابن سعود لم يصل بعد الى السواحل البحرية ، فلم يستقطب اهتمام الأتراك لتنفيذ تعهداتهم الرسمية التي تكرس سيادتهم المطلقة .

ومن الناحية العسكرية ، كان بإمكان ابن سعود مقاومة العثمانيين أشهراً في معركة صحراوية لاتكون فيها الأفواج العثمانية مستعدة من الناحيين العسكرية والمعنوية ، ولكن لا يحبذ الانسياق الى خطوة لهاسابقة مؤلمة لأجداده . والقبول بالسيادة العثمانية المطلقة سيكون ورقه رابحة كبيرة في علاقاته مع الأتراك لضمان رضاهم ، والإفادة من وزنهم في إدارة شؤونهم العربية . وأخيراً ، فإن ابن سعود لم يخضع للسيادة العثمانية إلا بعد أن ضم الأحساء بوساطة قدراته الخاصة ، ولا يمكن اعتبار توسع أقاليمه هدية له من العثمانيين مقابل ولائه لهم .

إن ابن سعود يعتبر إعتراف الباب العالي بحكمه في الأحساء هو إقرار بالواقع لا نتيجة تسوية في الصبيحية . وانطلاقاً من ذلك ، فإن ابن سعود لم يعط قيمة لحدود الأحساء ونجد التي عُلِّمت بـ «الخط الازرق» ضمن إتفاقية ٢٩ يوليو ١٩١٣م ، بين الدولة العثمانية وبريطانيا ، وحجته في ذلك أن ضمه الأحساء تم قبل توقيع الاتفاق ، لذا لم يعد للعثمانيين سلطة في هذا الإقليم منذ شهر جمادى الأولى عام ١٣٣١هـ/ مايو ١٩١٣م ، ولم يكن للباب العالي أيّ شرعية تذكر لتوقيع اتفاق يتعلق بحدود أراض لا يسيطرون عليها(٤٩) .

خاتمة الباب الأول

« القبائل العربية ، تتجمع فوق الرمال ، تجمعهم مصافحة وقتاً قصيراً ، ولكن متى ماانتهى العناق ، تفرقوا كحبيبات تضيع من بين الأصابع ، منتشرين على هيئة وحدات صغيرة ، منعزلة ، ومستقلة تماماً»[١] .

هذه الفترة من كفاح ابن سعود ، كانت مشحونة بالمعارك ، ضد ابن رشيد ، والقبائل المثيرة للفتن والقلاقل ، متبعاً استراتيجية ، تقوم على استعادة ملك آبائه وأجداده ، متخذاً السلفية ، عقيدة صافية ، باعتبارها « الإسلام النقي» ، ثم اتجه ابن سعود الى تنظيم حدوده ، لإعادة الأمور الى طبيعتها .

وفي الخليج الفى ابن سعود ، القوة العثمانية ، و التأثير البريطاني ، فكان عليه أن يتخذ سياسة متوازنة معهما . فسعى الى ايجاد تحالف مع بريطانيا ، دون أن يغضب الباب العالي . في عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ، تنافست بريطانيا العظمى ، والدولة العثمانية على الجزيرة العربية ، وهذا أنهى سياسة التوازن التي انتهجها ابن سعود مع الدولتين ، عندئذ تقدم ابن سعود ، وضم الأحساء ، وأمن له منفذاً بحرياً على الخليج ، قبل أن تقر الدولتان له هذه العملية في اتفاقية معه . ولم يجد ابن سعود دعماً بريطانياً ، ليحقق استقلاله في إطار حدود أجداده ، ولم تجد الدبلوماسية مع الباب العالي . غير أن اندلاع الحرب - بعد أشهر - بين الدولتين العثمانية والبريطانية ، هيأ الفرصة لابن سعود للشروع في انجاز مالم يسطع انجازه .

هوامش الباب الأول

الفصل الأول

(١) H. St. J. Philby, Arabian Jubilee, London , Robert Hale, 1954 ,p. 32.

(٢) هذه نعوت ، يمكن حصرها ، بنسب عريق يمتد عبر سلسلة من الآباء والأجداد. مكونين شجرة مرتبة حسب القدم.

(٣) عبدالعزيز ابن سعود ، وأسرته الحاكمة اليوم ، هم من فرع « فيصل بن تركي». والفروع الأربعة الأخرى هم « جلوي » و « سعود الكبير » و« عبدالله بن تركي » و « ثنيان » .

(٤) عن هذا الموضوع ، أنظر :

Philby ,Arabian Jubilee, op.cit.,p.15, pp. 25-29 .

(٥) للتعرف على أحوال البدوالاجتماعية والسياسية في عهد ابن سعود، أنظر :

H. R. P. Dickson,The Arab of the Desert, London, Allen and Unwin, 1949.

(٦) Lady Anne Blunt, A Pilgrimage to Nadjd, the Cradle of the Arab Race, op.cit. Vol.1, pp. 1-2

(٧) أنظر المراجع الرئيسة في نهاية هذا الكتاب.

(٨) أنظر : عبدالقدوس الانصاري، الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر .

(٩) T. E. Lawrence, Les sept Piliers de la sagesse, Paris, Payot,1969, 2 vols. Vol. I, pp. 37-43.

أنظر النسخة الأصلية من كتاب لورنس بالانجليزية :

T. E. Lawrence, Seven Pillars of Wisdom. A Triumph , London, Jonathan Cape, 1935, pp. 38-42.

(١٠) H. V. F. Winstone, Captain Shakespear. A Portrait, London ,Jonathan Cape, 1976 , pp. 84-85 .

(١١) David Howarth, The Desert King. A Life of Ibn Sa'ud, Beyrouth, Librairie du Liban, 1974, p. 31 .

من أجل تكوين صورة كاملة عن ابن سعود ، أنظر :
Amin Rihani , Ibn Sa'ud of Arabia. His people and his Land, London, Constable, 1928, Ch. VII, pp. 50-57.
Muhammad Asad , Le chemin de la Mecque, Paris, Fayard, 1976, pp. 21-25 et pp. 152-169.

(١٢) H. R. P. Dickson, Kuwait and her Neighbours, London, Allen and Unwin, 1968, pp. 388-389 .

(١٣) Ibidem. p. 570.
حول تجربة ابن سعود في الحكم ، واسلوبه المتبع فيه . أنظر :
Muhammad Asad , Le chemin de la Mecque, op. cit., ch. V1, pp. 152-169
لقد أورد محمد أسد ، لقاءات عدة مع ابن سعود خلال العشرينيات ، وكان له آراؤه الخاصة .

(١٤) H. St. Philby, Saudi Arabia, Beyrouth, Librairie du Liban, 1968, p. 240.

(١٥) يقول فيلبي ، إن ابن سعود كثيراً مايردد هذه الآية : « وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين» آية ١٥٩ سورة آل عمران .
Philby, Ibidem. p. 292.

(١٦) أنظر : حديث ابن سعود لأمين الريحاني .
Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia. His People and his Land, op. cit., pp. 39.
هذا الكلام كان في عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م ، بعد أكثر من عشرين عاماً على دخول ابن سعود الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، مما يعني استمرارية منهجه، وفكره ، ورؤاه .

(١٧) في رسالة موجهة إلى وزارة الخارجية في ١٦ مايو١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ ، يعبر أوكونور ، السفير البريطاني في اسطانبول عن الرأي القائل بأن الهدف الأساسي لابن سعود هو إنشاء امبراطورية سلفية ضمن الحدود الإقليمية التي وضعها أجداده . وأبدى بعض الأفكار حول عودة السلفية الى وسط الجزيرة ، وانعكاس ذلك على مصالح بريطانيا العظمى في الخليج :
India Office Records, Political and Secret Department, Home correspondence, 26698/04.

(١٨) أنظر : في الفصل الثالث من الباب الأول من الكتاب، بعض المؤشرات الوثائقية حول أهداف ابن سعود الاستراتيجية من عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م حتى عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

(١٩) أنظر :

Philby, Saudi Arabia, op. cit

عرض فيلبي في كتابه هذا، قصة مفصلة وذات رسم تخطيطي فيما يتعلق بالتوسعات السعودية المتتالية ، والانتصارات والتراجعات لأسرة آل سعود ، منذ نشأتها حتى حكم عبدالعزيز .

(٢٠) هذاالطرح السعودي ، نشر تحت اسم :

(٢١) " Arbitration for the settlement of the Territorial Dispute between Muscat and Abu Dhabi on One Side and Saudi Arabia on the Other, Memorial of the Government 20 . (انظر أيضا الملاحق، والمجلد الثاني)

(٢٢) Ibidem. ch. IV.

(٢٣) Ibidem. V. II, Appendix B, et vol. 1 ch. V1.

(٢٤) Saudi Memorial, Vol. I, Ch. VI. Paragraphe 37.

(٢٥) Saudi Memorial, Vol. II,Appendix B, pant 2

(٢٦) أنظر:

J. B. Kelly, Eastern Arabian Frontiers, London, Faber and Faber, 1964, pp. 237-239 et 293-304.

(٢٧) Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, op.cit. Vol. I, pp. 746-747.

(٢٨) United Kingdom Memorial : Arbitration Concerning Buraimi and the Common Frontier Between Abu Dhabi and Saudi Arabia , London, HMSO 1955, 2 vols

أنظر: Vol II ملحق D ، رقم١ .

(٢٩) عن حقوق ابن سعود ،أنظر :

Le Memorandum of Interview with Bin Saoud on December 15 and 16, 1913, No 11820 F.O. 371/12244.

(٣٠) أنظر: رسالة ابن سعود إلى فيلبي ، مؤرخة في ٢٢ ذو القعدة ١٣٣٦هـ:
Philby's Papers. Box XV, File 5 .

(٣١) Philby , Draft Report on Najd Mission. Philby's Papers. Box XV, File 5

الفصل الثاني

(١) H.V.F. Winstone, Captain Shakespear, op. cit., p. 102

(٢) برقية من المقيم في بوشهر إلى سكرتير الإدارة الخارجيةلحكومة الهند ، رقم ٦٩في ١٤ مارس ١٩٠٣ م :
India Office Records , L. F.I. , 364/03.

(٣) Philby, Saudi Arabia, op.cit. , p.373.

(٤) A. T. Wilson, Loyalties-Mesopotamia, op. cit., 160-161.

(٥) بالإضافة إلى شهادة فيلبي ، استطعت أن أحصل على معلومات من شخصيات سعودية التقيت بهم في الرياض ، حول مجالس ابن سعود ، وما كان ينعقد فيها من تلاوة وقراءة في كتب التفسير والحديث والتاريخ ، كان لها أكبر الأثر في تهذيب الأمراء الشبان الذين كان لزاماً عليهم حضورها .

(٦) حول تلك الأحداث وموقف السلطات البريطانيه منها، أنظر :
Lorimer, Gazetteer of the Persain Gulf, Oman, and Central Arabia, op.cit. Vol.I, Historical Part, Ib pp. 1029-1038.

(٧) A. T. Wilson , Loyalties-Mesopotamia, op .cit., Vol. II, 1917-1020, p.192

(٨) Philby, Saudi Arabia, op. cit., pp. 237-250.

(٩) أنظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(١٠) أنظر الفصل الثالث (من الباب الأول) .

(١١) J. B. Kelly, Eastern Arabian Frontiers, op. cit., p. 68.

(١٢) أنظر الفصل الثالث من الباب الأول.

الفصل الثالث

(١) لتفاصيل أكثر أنظر :

Philby, Saudi Arabia, op. cit. pp. 237-250.

(٢) أنظر رسالة وراتسلو، القنصل البريطاني في البصرة، إلى سفيره في اسطانبول، السير أوكنور، المؤرخة في ٢٣يونيو١٩٠٢ :

Political and Secret Department. Home Correspondence, 1890-1911. India Office Records, 2386/02.

(٣) أنظر الفصل الثاني من الباب الأول.

(٤) أنظر برقية بريدو إلى المقيم في بوشهر في ٧ نوفمبر ١٩٠٣ :

F.D.S.P. n^0 207, June 1904,

R. Kumar, India and the Persian Gulf Region, op. cit., p. 201.

(٥) Lorimer, op. cit. Vol. I, Historical Part, Ib p.1158.

(٦) Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, op.cit., Vol. I, Historical Par t, Ib p. 1160.

(٧) Ibidem.

(٨) Winstone, Captain Shakespear, op. cit., p. 85.

(٩) قُتل شكسبير في معركة جراب بين ابن سعود، وابن رشيد، في عام ١٣٣٣هـ/ يناير ١٩١٥م، وكان عمره ست وثلاثين سنة.

(١٠) Winstone, Captain Shakespear,op. cit. , p. 104.

(١١) U. K. Memorial, Vol . II, Annexe D , no .2

أنظر : رسالة ابن سعود الى كوكس في ٨ رجب ١٣٣١هـ.

(١٢) نص ذلك الاتفاق، أنظررقم .282- FO 371/11438

(١٣) رسالة من المقيم في بوشهر إلى حكومة الهند، في٤ يناير١٩١٤، ملحق رقم ١ :

رسالة من I.O إلى F.O. في٩ فبراير ١٩١٤ / رقم no 251, F.O. 424/251

(١٤) رسالة من ابن سعود إلى المعتمد السياسي في البحرين، في ٢٦ فبراير ١٩١٤، ملحق

(١٤) رسالة من ابن سعود إلى المعتمد السياسي في البحرين، في ٢٦ فبراير ١٩١٤، ملحق رقم ٣ برسالة :

from I.O to F.O., 21.4.1914, no 17636, F.O. 424/252.

(١٥) أنظر الفصل الرابع من الباب الأول .

(١٦) عن السياسة البريطانية تجاه ابن سعود من عام ١٩٠٢ حتى عام ١٩١٤أنظر :

Gary Troeller, The Birth of Saudi Arabia . Britain and the Rise of the House of Saud, London, Frank Cass, 1976, pp. 1-72,

B.C. Bush, Britain and the Persain Gulf,1894-1914, Berkeley and Los Angeles University of California Press, 1976, pp. 340-345

R. Kumar, India and the Persian Gulf Region, op.cit., pp. 195-215

(١٧) Memorandum on Interview between the Resident and cheikh Mubarak , 7 mars 1906

دونّها

Kumar, India and the Persian Gulf Region, op. cit., p. 205-206.

(١٨) Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, op. cit., p. 1044

(١٩) أنظر رسالة توانسلي ، المستشار في سفارة بريطانيا في اسطانبول ، موجهة إلى اللورد لانسداون ، سكرتارية الخارجية ، في ٢ يناير ١٩٠٥ :

no 2, F.O.C.P., Vol , I, p. 6, no 12.

أنظر أيضاً :

Philby, Saudi Arabia, op. cit., p. 245.

(٢٠) أنظر تقرير نائب القنصل البريطاني في كربلاء عن تلك المعركة : ملحق رقم ٢ برسالة القنصل البريطاني في بغداد إلى تاونسلي : في ٢ يناير١٩٠٥ :

F.O.C.P., Vol. I, p. 9, no 12.

(٢١) أنظر رسالة تاونسلي إلى اللورد لانسداون رقم ٢ ، في ٢ يناير ١٩٠٥

F.O.C.P., Vol. I, p. 6, no 12.

(٢٢) أنظر :

Philby, op.cit., p. 248-249.

Lorimer, Persian op.cit., p. 1149-1150,

والبرقيه رقم ٣ من القنصل البريطاني في دمشق الى ـ تاونسلي ، والملحقة ببرقية تاونسلي إلى لانسداون ، رقم ٢١ ، في ٢٤ يناير ١٩٠٥ :

F.O.C.P.,op.cit., Vol. I, no 53, p.71.

(٢٣) أنظر :

Lorimer, op.cit., p. 1148; Philby, op.cit., pp. 248-249,

Kumar, op.cit. p. 204.

(٢٤) أنظر برقية تاونسلي إلى لاندسداون رقم ٣٢ ، في ١٠ فبراير ١٩٠٥م :

F.O.C.P. Vol. I, ,p. 130,no 81..

(٢٥) Philby, op.cit., p. 248-249.

(٢٦) سعود بن هذلول آل ثنيان ، تاريخ آل سعود ، ١٩٦١م/ ١٣٨٠هـ ص ٢١٨ .

ومثلما ستكون الفرصة سانحة لنا لاحقاً في هذه الدراسة ، فإن رؤية مسألة التقارب التكتيكي مع العثمانيين ، الذي قرره ابن سعود بين عامي ١٩٠٢م/ ١٣١٩هـ -١٩١٤ م/ ١٣٣١هـ ، و هي مسألة خطرة جداً . والشهادات الشفوية التي استطاع المؤلف جمعها تؤكد جميعاً أن ابن سعود لم يقبل مطلقاً بالسيادة المطلقة للعثمانيين . وفي الحالة الراهنة فإنه من الصعب ، بل من المستحيل ، إلقاء الضوء على المصادر المتوافرة وفي ظروف أخرى ، وبخاصة في عامي ١٩١٣م/ ١٣٣١هـ ـ ١٩١٤م/ ١٣٣١هـ ، كما سنرى لاحقاً ، فإن المصادر البريطانية هي الأكثر تفصيلاً ، والأكثر توضيحاً ، وربما أكثر إقناعاً ، لإثبات أن ابن سعود أضطر فعلاً للإمتثال للعثمانيين .

(٢٧) Lorimer, op. cit., pp. 1148-1150

وبرقية توانسلي لـ لاندسداون رقم ١١١ ، ١٤ فبراير عام ١٩٠٥

F.O.C.P. ,Vol. I, p. 142, no 102.

(٢٨) أنظر برقية توانسلي إلى لاندسداون رقم ٩٩ ، ٧ فبراير ١٩٠٥ :

F.O.C.P. ,Vol. I, p. 134, no 88..

(٢٩) أنظر برقية توانسلي إلى لاندسوان رقم ٤٣ ، ٢٤ فبراير : ١٩٠٥ :

F.O.C.P.,Vol. I, p. 148, no 110.

(٣٠) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., p.19.

(٣١) أنظر الفصل الأول من الباب الأول .

(٣٢) عن تفاصيل تلك العمليات ، أنظر :

Lorimer, op. cit., pp. 1150-1157.

(٣٣) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., pp. 21-22.

الفصل الرابع

(١) مزيد من التفاصيل عن هذه العمليات ، أنظر :

Philby, Arabian Jubilee, pp.23-30 .

(٢) حول هذه المسألة ، أنظر :

Z. N. Zeine, Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism, Beirut, Khayat, 1958,

G. Antonius, The Arab Awakening, Beirut, Librairie du Liban 1969 (5e `ed.)

(٣) Ibidem

(٤) Winstone, Captain Shakespear, op.cit., p.103 et p.126.

أنظر كذلك رسالة شكسبير إلى كوكس في ٨ أبريل ١٩١١ :

no 899, India Office Records,Vol. 248 .

(٥) Philby, Arabian Jubilee, pp. 23-30.

(٦) أنظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(٧) Philby, Saudi Arabia, op. cit., p. 273.

(٨) أنظر الفصل الرابع من الباب الأول .

(٩) حول شخص الشريف حسين ، أنظر الفصل الثالث من الباب الثاني .

(١٠) أنظر رسالة Monaghan ، القنصل البريطاني في جدة، إلى Lowther ، في ١١ يونيو ١٩١٠ : no 23946, F.O. 424/224

(١١) Winstone, Captain Shakespear, op. cit., p. 103.

(١٢) حول الأنشطة العثمانيه في الخليج في تلك الفترة ، أنظر :
Muhammad Morsy Abdullah, The United Arab Emirates. A Modern History, London, Croon Helm, 1978 ,p. 24. et p. 168.

(١٣) أنظر مقالة الدكتور عبدالفتاح حسن أبو عليّة، دراسات تاريخيه لموقف الأحساء من الاستراتيجية العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وأيضا Ibidem. وأيضاً :
Philby, Saudi Arabia, op. cit., pp. 265-270.

(١٤) أنظر النص الكامل لهذه المعاهده في :
Gooch and Temperley (eds), British Documents on the Origins of the War, 1898-1914, op. cit., Vol. X , pp. 190-194.

(١٥) Gooch and Temperley (eds) Documents on the Origins of the War,1898-1914,op. cit., Vol.X p. 341,
Kelly, Eastern Arabian Frontiers, op. cit., p. 111.

(١٦) A.T. Wilson, Loyalties-Mesopotamia, 2 vols., London, Oxford University Press, 1936,Vol.I,p.2.
من أجل تفاصيل المفاوضات التي إنتهت بالتوقيع على المعاهدة في٢٦ يوليو ١٩١١ أنظر :
B.C. Busch, Britain and the Persian Gulf,1894-1914, Berkely and Los Angeles, University of California Press, 1967, pp. 322-347.

(١٧) عن شخصية السيد طالب ، أنظر :
S. H. Longrigg, Iraq 1900 -1950, London, Oxford University Press, 1953, p. 45.

(١٨) Winstone; Capain Shakespear., op. cit. p .134.

(١٩) حول الضغوط التي مارستها السلطات العثمانيه على ابن سعود . أنظر رسالة المقيم البريطاني a.i في بوشهر إلى حكومة الهند ، ملحق ٤ في رسالة المكتب الهندي إلى مكتب الخارجية ، في ٩ فبراير ١٩١٤ : ٢٤٥١/ ٤٢٤ .

(٢٠) رسالة شكسبير إلى كوكس ، في ١٥ مايو ١٩١٣ ملحق رقم ٢ ، ضمن رسالة .I.O إلى .F.O ، في ٢٥ يونيو ١٩١٣ :

no 22076/29150, F.O. 371/1820.

(٢١) رسالة شكسبير إلى كوكس ، في ١٥ مايو ١٩١٣ . ملحق رقم ٢ ، ضمن رسالة المكتب الهندي إلى مكتب الخارجيه ، في ٢٥ يونيو١٩١٣ :

no 22076/29150, F.O. 371/1820.

(٢٢) رسالة كرو إلى لوثر ، ١٨ مايو ١٩١٣ ملحق رقم ١ برسالة لوثر إلى قري ، ١٧ يونيو ١٩١٣م :

no 22076/28326, F.O. 371/1820.

(٢٣) أنظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(٢٤) رسالة ابن سعود إلى كوكس في الثامن من رجب ١٣٣١هـ

UK Memorial, II, Annexe D, no 2

(٢٥) برقية من حكومة الهند إلى كرو ، في ١٠ أغسطس ١٩١٣ ، ملحقة برسالة مكتب الهند إلى وزارة الخارجية ، في ١٣ أغسطس ١٩١٣ :

no 22076/37510, F.O. 371/1820.

(٢٦) مذكرة دبلوماسية أرسلت إلى حقي باشا في٩ مارس ١٩١٤م :

no 10569, F.O. 424/251.

(٢٧) Philby , Saudi Arabia, op. cit., p. 269.

(٢٨) Political Diary of the Persian Gulf Residency for May 1913, n 3126/1913: P.S.D.S.F., India Office Records , 2297/1919.

(٢٩) رسالة من كوكس إلى ابن سعود ، في ٩ يوليو ١٩١٣ ، ملحقة برسالة مكتب الهند إلى وزارة الخارجية :

no 22076/31971, F.O. 371/1820.

(٣٠) عن الجدل حول ابن سعود بين (Foreign Office) وحكومة الهند في عامي ١٩١٣-١٩١٤ أنظر:

Gary Troeller, The Birth of Saudi Arabia, op. cit. , pp. 44-65.

(٣١) Gooch and Temperley, British Documents on the Origins of the War, 1890-1914, op.cit., Vol. X , Part II ,p 341.

(٣٢) برقية من كوكس إلى حكومة الهند ، في ١١ يوليو ١٩١٣م:
from , I.O. to F.O .371/1820 (12.7.1913).

(٣٣) رسالة من كوكس إلى ابن سعود ، في ١١ سبتمبر ١٩١٣م:

no 22076, F.O. 371/1820.

(٣٤) Memorandum of Interview with Bin saud, 15 et 16 decembre1913 no. 11820, F.O.371/12244.

ورسالة المقيم .a.i إلى حكومة الهند ،في ٤ يناير ١٩١٤م:
from , I.O. to F.O. 9 .2.1914, F.O. 424/251.

(٣٥) Troeller, The Birth of Saudi Arabia, op.cit. , pp. 54-58.

(٣٦) Memorandum on British Commitments to Bin Saud, 16 novembre 1918, no 11820,-F.O. 371/12244.

(٣٧) رسالة ابن سعود إلي المعتمد السياسي في البحرين ، في ٢٦ فبراير ١٩١٤ ملحق رقم ٣ في رسالة .I.O إلى .F.O في ٢١ أبريل ١٩١٤م :
from , I.O. to F.O .21 .4.1914, no 17636, F.O. 424/252.

(٣٨) برقية من Mallet، السفير البريطاني في اسطانبول ، إلى Grey، في٢ أبريل عام ١٩١٤م:

no 1990/14632, F.O 371/2123.

(٣٩) رسالة ابن سعود إلى مبارك ، في ١٦ أبريل عام ٩١٤ ملحق ٣ برسالة قري (المعتمد السياسي في الكويت) إلى المقيم السياسي ، في٢٩ أبريل عام ١٩١٤م:
no 1990/24823, F.O. 371/2124.

(٤٠) رسالة ابن سعود إلى تروفر ، في ٢ أبريل عام ١٩١٤م ملحق رقم ١ برسالة تروفر إلى

نونكس (المقيم السياسي .A.I) في ١٠ أبريل عام ١٩١٤م ملحقة بـ (مراسلات بوشهر للتاسع عشر من أبريل):

no 1990/22424, F.O. 371/2124.

(٤١) رسالة قري إلى المقيم السياسي في بوشهر، في ٢٩ أبريل ١٩١٤م:
no 1990/24823, F.O. 371/2124.

(٤٢) United kingdom Memorial,(op. cit).

تشير هذه المذكرة، المؤرخة في ١٥ مايو عام ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ إلى أن ابن سعود بعد ضمه الأحساء، وحتى يحافظ على وضعه، وقّع معاهدة رسمية وسريّة مع الأتراك اعترف بالسيادة المطلقة للدولة العثمانية والسلطان. ونص المعاهدة وجد ضمن الإرشيفات التركية التي أخذت من البصرة (مجلد ١ ص ٨٠) . بالإضافة إلى ملحق A لهذه الوثيقة (مجلد ٢، رقم ٨)، وأعيد نسخ النص لهذه المعاهدة باللغة العربية، من النص الأصلي الذي وجد في البصرة. بينما، نرى أنه من السائغ طرح عدة تساؤلات بخصوص موضوع هذا النص. فأولاً، هذا النص مؤرخ في الرابع من رجب عام ١٣٣٢هـ/ ١٥ من مايو ١٩١٤م، وفي ذلك خطأ قرابة أسبوعين لأن اليوم الأول من رجب عام ١٣٣٢هـ، صادف ٣٠ مايو ١٩١٤م. وإذا كانت السلطات البريطانية وجدت النص الأصلي في البصرة الذي يفترض أن يكون مكتوباً بالعربية، لأن ابن سعود، لا يعرف اللغة التركية، ولن يقبل بالتأكيد التوقيع على وثيقة حررت بتلك اللغة، فلماذا اعتبرت « مذكرات المملكة المتحدة »، هذا النص العربي على أنه ترجمة؟ وأخيراً فالنسختان، العربية والانجليزية، التي وضُحتا في هذا الملحق A، تشيران إلى أن ابن سعود وسليماني شفيق كمالي باشا، والي البصره، قد وقعا على هذه الوثيقة. بينما أمين سعيد، مؤلف «تاريخ الدولة السعودية» يعطي ما يمكن تسميته « بالنص الكامل للاتفاق (وليس المعاهدة) والذي استطاع إيجادها في الارشيفات السريّه لحكومة الهند (المجلد الثاني ص ٥٨-٦٠). وللأسف فإن أمين سعيد لا يحدد إذا كان النص الذي وُجد بواسطته مكتوباً بالعربيه أو بالانجليزيه. وروايته، التي كانت ربما ترجمته العربية

الخاصة من النص الانجليزي أو التركي ، تختلف كثيراً، في الشكل، عن تلك الرواية العربيه التي قدمت في الملحق A من « مذكرات المملكة المتحدة ». وبالإضافة إلى ذلك، فإن أمين سعد يعلن أن الوثيقة التي وجدها لا تحمل سوى توقيع والي البصرة وليس توقيع ابن سعود ، مما يعني مشروع اتفاق أُعدّ من طرف والي البصرة ، موجه إلى ابن سعود للتوقيع عليه ، و رفضه أمير نجد في نهاية الأمر. ويظل من الصعب التثبت إن كان هناك وجود حقيقي لمعاهدة الصبيحيّة أو أن ذلك لا يعدو كونه اتفاقاً شفوياً .

والمؤلف مدينٌ في تلك النقاط المشار إليها أعلاه إلى جورج رنتز الذي أولى إهتماماً بنقد « مذكرات المملكة المتحدة » .

(٤٣) ملاحظة حقي باشا إلى وزارة الخارجية ، ٩ من يوليو ١٩١٤م :
no 1990/31123, F.O. 371/2124.

(٤٤) أنظر الفصل الرابع من الباب الأول .

(٤٥) رسالة شكسبير إلى المقيم السياسي ، في ٤ يناير لعام ١٩١٥م
no 975, P.S.D.S.F. (India Office Records) 2182/1913

(٤٦) Saudi Memorial , op. cit., I, p. 391.....

(٤٧) Philby, Saudi Arabia, op. cit. ,p. 269 et Arabian Jubilee, op. cit., pp .37-38.

(٤٨) هذه الآراء حصيلة مناقشات أجريتها مع مختلف الشخصيات السعودية ، خاصة مع سعادة السفير مدحت شيخ الأرض .

(٤٩) J.B. Kelly, Eastern Arabian Frontiers, op.cit., pp. 122-128 .

هامش خاتمة الباب الأول

(١) Benoist- Mechin, Ibn Sa'ud ou la naissance d'un royaume, Paris, Albin Michel, 1955 .p. 162.

الباب الثاني



الفصل الأول

حركة الإخوان

« إنهم رجال يجوبون ماحولهم باعتداد ، مترجلين وفرساناً ، يرفعون سيوفهم ، هاتفين : « سامعين ، لامعين » بمعنى أنهم على أهبة الاستعداد . وبريق سيوفهم تغني عن الطبول والأبواق والموسيقى . مكتفين بالسيف والكتاب «القرآن» . لم يكن مشهدهم ينبيء بجيش قادم ، ولكنهم بدايات لذاك ، يطوف حولهم ، صبيان المدرسة القرآنية في الساحة الرئيسة ، وكأنهم طلائع كشافة . إنهم يحتفلون بختم القرآن الكريم . هل دار في خلدهم أن هتافهم : « سامعين لامعين » هو استهلال صيحة حرب الإخوان » [١] .

ومن المناسب قبل أن نتحدث عن سياسة ابن سعود خلال الحرب العالمية الأولى أن نسلط الأضواء على أصل حركة الإخوان ، التي على ضوئها بنى أميرنجد آنذاك استراتيجيته [٢] .

في عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٩م ، انتهت الدولة السعودية الأولى ، فضعفت الدعوة السلفية في نجد . وأصبحت الدرعية العاصمة الأولى لثلاث وعشرين سنة تابعة لأتراك مصر . وعلى الرغم من أن العثمانيين بدوا أمام أهالي الأحساء ، والقصيم، وجبل شمر ، كمحررين من قيود السلفية ، إلا أن السكان أضمروا لهم العداء بسبب اغتصابهم الحكم . وقامت الانتفاضات المحلية ضد الحكم العثماني

في عامي ١٢٣٨هـ ، و١٣٤٠هـ/ ١٨٢٢م ، و١٨٢٤م ، تحت قيادة تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (١٢٣٦-١٢٤٦هـ/ ١٨٢٠-١٨٣٠م) ، وحققت تلك الانتفاضات بعض النصر . وتفاقمت العداوة بين السكان و الأتراك ، وقوي الحماس السلفي بقيادة آل سعود ، ضد كل قوة خارجية ، حتى عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م ، عندما تمكن ابن رشيد من الاستيلاء على الرياض ، عندئذ خبا وهج السلفية من قاعدة آل سعود ، بل ومن وسط الجزيرة . لكن عبدالعزيز ، استعاد الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، مما عد حادثة سياسية مهمة داخل إطار سياسة الصحراء ، لأنها تعني عودة الحكم الى آل سعود ، وتجدد المد السلفي .

لقد كان بدوي الصحراء ، متذبذباً في مواقفه ، لا ينساق الى مفاهيم غير تقاليد قبيلته ، تفكيره لا يتجاوز مضارب عشيرته ، وتلك أقصى نظرته الى الوحدة والهوية . يختلف عن جيرانه العرب ، رافضاً لأي تنظيم مؤسس على الدين . وهذا الوضع يجعله أكثر تقبلاً للتعصب لأي فكرة . يقول موزيل : « وسط الجزيرة عالم ، له خصوصيته ، ومن الصعب فهمه» [٣] .

يقول فيلبي [٤] : إن ابن سعود بعد أن انتصر على ابن رشيد في روضة مهنا عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ، وقتله ، أخذ يفكر في السبل التي تكفل بناء حكمه على قواعد جديدة تأخذ بعين الاعتبار المباديء السلفية ، وتصحيح الأوضاع التقليدية للمجتمع الصحراوي . وفي الوقت نفسه ، كان مقتل عبد العزيز ابن رشيد ، إيذاناً ببداية صراع بين أفراد أسرته في حائل . وبينما يؤكد فليبي أن ابن سعود خطط في إشاعة المباديء السلفية ، والاعتماد عليها في عمليته الوحدوية ، نجد معظم المؤلفين والدبلوماسين البريطانيين مختلفين حول هذا الأمر : فالكونوليل ديكسون على وجه الخصوص ، الذي عمل وقتاً طويلاً في البحرين ، وفي

الكويت، ذكر أن ابن سعود ، حينما كان يستعد لدخول الأحساء خلال عامي ١٣٣٠ ، و١٣٣١هـ/ ١٩١٢ م و ١٩١٣م، اهتم بقوة الإخوان ، مفيداً من ثقلها العسكري والسياسي ، وكان ديكسون يرغب التثبت من ابن سعود نفسه حول صواب هذا التحليل(٥) .

ومهما يكن من أمر ، وعلى الرغم من انتشارها تلقائياً ، أو بايعاز من ابن سعود ، فإن حركة الإخوان ، قامت بدور أساس في تكوين المملكة العربية السعودية . إنها حركة سلفية ، ظهرت في بداية القرن الرابع عشر الهجري/ نهايةالتاسع عشرالميلادي ، بتأثير من شيخ يدعى عبد الكريم المغربي ، أحد العلماء المقربين من فالح السعدون ، شيخ قبيلة المنتفق . وكان عدد الإخوان آنذاك قليلاً ، ولم يكن لهم دور في استعادة الرياض على يد ابن سعود عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، ولا في العمليات العسكرية التي قام بها ابن سعود لجمع القبائل ، بعد دخول الرياض .

كان الإخوان في البداية ، مجموعة تنضم الى الحلقات الدينية في الرياض ، تستقي معلوماتها عن دينها من علماء « آل الشيخ» أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الذي ظلت مبادؤه حية في سلوك الناس ومعيشتهم من بدو ومن حضر . تلك المثل التي نشأ عليها ابن سعود الذي وظف هذه الحركة سياسياً وعسكرياً تحت قيادته . لأنه لا يريد أن يعتمد على عناصر أجنبية ، وكانت علاقة ابن سعود بهذه الحركة مثار مفاوضات مع بريطانيا ، كما سيتضح لاحقاً في هذه الدراسة ، فإنه بحث احياناً عن الانفصال أو على الأقل الابتعاد عن الإخوان .

في عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ، وصل موزيل الى الجوف عبر وادي السرحان ، ولاحظ أن المباديء السلفية قد عمت المنطقة بسبب وجود الإخوان (٦) ، الذين نزحوا اليها من نجد ، بإتجاه شمال الجزيرة . لقد قام ابن سعود بين

عامي١٣٢٤هـ، و١٣٣٢هـ/ ١٩٠٦م، و ١٩١٤م ، بتحويل الإخوان الى جهاز حكومي ، نجمل خصائصه بالآتي : (٧)

أنشأ ابن سعود مجمعات ، خاصة بالبدو ، وخصص علماء يفقهونهم بالدين، ويشيعون بينهم القيم الاسلامية ، والحسن من الأعراف والتقاليد. وفي هذا الوسط الديني ترعرع الإخوان الذين تأثروا بالمطاوعة أو كما يسميهم بلجريف «المتحمسين». هؤلاء « المطاوعة » كانوا في أعين البدو أنموذجاً لحياة السلف الصالح، يدعون الى الفضيلة ، ويكافحون الجوانب السيئة لأعراف الصحراء ، يغرسون في نفوس الناس حب العقيدة ، والشهادة في سبيل الله ، لأن الآخرة خير وأبقى . وشجع « المطاوعة» البدو الرحل على الاستقرار في « هجر» يزرعون ويتعلمون. وفي هذه التجمعات السكانية ، حلت روح الأخوة الدينية محل الروابط القبلية التقليدية . واستطاع الإخوان أن يزاوجوا بين الإخاء الديني ، والولاء القبلي في علاقاتهم مع بعض ، أو مع أفراد من قبائل أخرى وإن كانت معادية .

لقد أعلن الإخوان الجدد ، المفعمين بعقيدتهم ، قطيعتهم مع من لم ينضو تحت لواء حركتهم . وهذه النزعة حاربها ابن سعود ، وأذكى فيهم روح الترابط بين أفراد القبائل . وحررهم من التزاماتهم تجاه شيخ القبيلة ، ومنهم ، ومن العناصر الحضرية بنى سلطته .

ونتيجة لذلك ، توقفت الغارات بين القبائل ، واستثمر ابن سعود طاقاتهم القتالية لتأسيس الدولة ، والدفاع عن العقيدة الصحيحة . ووزع عليهم ما حازه من أسلحة وذخيرة . إنهم جند رائعون تأصلت البداوة فيهم ، وتأثروا بعوامل الاستقرار الحضري . ومكنوا ابن سعود من موازنة أموره المالية دون أن يخسر الكفاءة .

وباختصار ، فإنه من الممكن القول: إن أهداف ابن سعود في إذكاء حركة الإخوان قد دعمت الخدمة العسكرية التي طالت أكبر عدد من رعاياه ، وأدت الى

تلافي عناصر الضعف التي تميز بها المجتمع البدوي ، من عدم الاستقرار ، وضعف الوازع . وأخيراً وفر ابن سعود مصادر مالية ، لأن حركة الإخوان في مجملها تطوعية من أجل الدفاع عن الاسلام . ويجب أن يُفهم أن ابن سعود ، قد استخلص العبر من الكوارث التي حلت بأجداده - كما يقول فيلبي[٩] ، بسبب قوتهم التي نشأت في وسط بدوي لا يعرف الاستقرار ، فأراد أن يصنع قوة تتجاوز الحاجز القبلي الى الإطار الديني . ومن أجل تحقيق أهدافه الاستراتيجية ، كان عليه أن يبني جيشاً موالياً ، ينسجه من أبناء البادية ، بعد تهذيبهم وتدريبهم :

« فقد كان البدو ، لا يركنون الى مبدأ ، يطالبون دوماً بالمزيد ، يهبُّون نحو الغنيمة ، وفي حال هزيمة شيخهم يسهمون في نهب أمواله لأنهم أولى من الغرباء»[١٠] ، ولتبديل تلك الطبيعة ، وتغيير هذا السلوك ، كان لابد من اللجوء الي التوعية الدينية ، فالدين وحده هو الذي يروض نفوس البدو ، لأنه كما يقول لورنس : العنصر الأكثر نجاعة ، والمصدر للشجاعة ، وعقيدتهم واحدة[١١] .

وكما قال روم لاندو عام ١٩٣٦م : فإنه كان مستحيلاً على ابن سعود أن يفصل الإسلام عن سياسته : « كل سياسه عادلة وطيبة يجب أن تُؤَسَّس على الدين ، وإلا لن تكون عادلة وطيبة . ولا يمكنكم فصل السياسة عن الأخلاق . ولا أعتقد أنه يوجد فصل بين الاثنين . ولم أر أبداً كيفية لفصلهما . إن الإسلام يمثل سلطة مهمة جداً في وجودنا . . . وداخل سياستنا . . . ولكن الإسلام تحّول . ولم أسع إلا الى عودة القيم الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم وسنة رسولنا ﷺ . وهما المصدران اللذان تقوم عليهما أمورنا في المملكة العربية السعودية . إني أحاول تطبيق منهج الرسول ﷺ في الحياة ، وهو الأنموذج الذي التزم بتعاليم القرآن»[١٢] .

قال ابن سعود للكونوليل ديكسون عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م :

« اليوم ، نـرى العقيـدة السلفية ، تتجدد لدى الإخوان ، إنها أكثر نقاءاً بين عقائد العالم ، وأردف قائلاً : يا ديكسون ، لا تقلق ! الإخوان هم أنا ، لا غيري»[١٣] .

الفصل الثاني

معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م

مع بريطانيا العظمى

في صيف عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ، كان الوضع مستقراً لابن سعود ، ولم يكن مشروعه في التحالف مع بريطانيا موضوع الساعة ، وتمت معالجة الأمور مع العثمانيين في اتفاق الصبيحية . ولكن الدولة العثمانية أعلنت عام ١٣٣٢هـ/ ٣١ اكتوبر ١٩١٤ الحرب على بريطانيا العظمى ، مما أثر على حركة ابن سعود ، وفي خريف هذا العام ، تفجرفجأة صراع عسكري بين تلك القوتين ، وأصبحت الفرصة مهيأة لابن سعود ، للإفادة من الطرفين معاً ، والتعويض عما فقده جراء اتفاق الصبيحية .

في هذه الأثناء ، قام سعود بن رشيد ، أمير حائل ، بحشد قواته قرب الزلفي ، بمساعدة ضباط أتراك ، وبانضمام مجموعة من مطير الدويش . وكان هذا التحرك - حسب تقرير شكسبير- جزءاً من خطة تركية ترمي إلى إعادة الاستيلاء على القطيف ، والعقير وعدد من المراكز الاستراتيجية في الأحساء ، على الرغم من اتفاق الصبيحية ، والاتفاق العثماني - البريطاني الذي يعترف بأن تلك الأقاليم هي جزء من نجد . وكان على ابن رشيد أن يشغل ابن سعود من الشمال بينما يتحرك الاتراك نحو الشرق ، الى الساحل [(١)] .

وفي لندن ، أدركت الحكومة البريطانيه في الفترة نفسها ، أنه إذا حارب العثمانيون إلى جانب الألمان - وهذا متوقع - فإن بلوغ الممالك العثمانية في الشرق سيكون متاحاً لهم [٢] ، مما يعني في حسابات بريطانيا ضرورة إيجاد حلفاء لها في الجزيرة العربية ، وهذا ماسعت اليه من خلال اتصالات عاجلة : كان شكسبير في إجازة في بريطانيا ، فأرسل في مهمة إلى الجزيرة بوساطة « مكتب الهند » مع تعليمات للبدء في حوار مع ابن سعود [٣] . وفي أكتوبر من عام ١٩١٤م ، وبناءًا على تعليمات وزارة الخارجية أبرق سكرتير الدولة لشؤون الهند إلى المقيم السياسي في بوشهر ، ليبعث رسالة مباشرة إلى ابن سعود عن طريق الشيخ مبارك ، الذي كتب بدوره الى ابن سعود يقول له :

« يابني ، حفظك اللهُ . أرفق لك مع هذا الخطاب رسالة من السير برسي كوكس الذي كان من قبل المعتمد البريطاني في بوشهر وهو يتولى اليوم مهمة الشؤون الخارجية لحكومة الهند . وأنت تعرف هذا الرجل أكثر مما أعرفه وتعلم أنه صديق . وستقرأ رسالته بعناية وتدرس محتواها . والذي استطعت أن أعرفه ، هو أن الحرب التي اشتعلت هي خطأ الألمان الذين يسعون الي جر الأتراك إلى صفهم . أخزاهم الله . يابُني : إن الألمان سيقدمون للأتراك الوسائل الكفيلة للهيمنة علينا جميعاً ، أنت ، وأنا وكل العرب . . . . أما الإنجليز ، فإنهم لا يرغبون في محاربة الأتراك إلا إذا أعلن الأتراك الحرب عليهم ، أو إذا لم يمكن تفادي الصراع بينهم . عندئذ سيزول الأتراك ، ويحكم الإنجليز أقاليمهم القديمة . وسيكون هذا عقوبة الهية على موقفهم السابق ضد العرب . لكل هذه الأسباب يابني ، علينا : أنا ، وأنت ، أن نخضع لرغبات الحكومة البريطانية المجيدة لأن مصلحتنا تكمن في ذلك»[٤] .

وفي ١٤ اكتوبر ١٩١٤م كتب مبارك من جديد إلى إبن سعود :

« اليوم ، الحكومة المجيدة محتاجة إلينا للحفاظ على السلام . وسنبعث إليك الكابتن شكسبير ، المعروف لدى كل العرب ، من أجل أن يزودك بسياسة الحكومة البريطانية ونواياها . وسيكون في البحرين في ١٥ نوفمبر ، فإذا وصل اليك ، استقبلهُ بما يليق فيه ، وأعطه الجواب الذي يرضيه ، لكي يعود سعيداً ، لأن نجاح مهمته لصالحك وصالحي ، فاستجب لطلباته »[٥] .

فأجابه ابن سعود :

« فهمت ما تود قوله لي . لقد أخبرتني بالحرب التي اندلعت بين الأمم وأن الإنجليز وحلفاء هم سَيغلبون . و تقول لي : إن الحكومة التركية أصبحت مضطربة. نصر الله الطرف الذي يحقق الفائدة . وتقول لي أيضا : إنه من المحتمل أن الحكومة التركية وهنت أيَّما وهن . إعْلم أن علاقاتي معك تبقى ثابتة وأنني سأطيع أوامرك في كل ما يغيّر الوضع الحالي . . . وأضع ثقتي أولاً في الله ثم فيك»[٦] .

وفي ٥ نوفمبر ١٩١٤م كتب مبارك إلى ابن سعود يقول له : إن تركيا وبريطانيا العظمى دخلا في حرب[٧] . ومنذ تلك اللحظة ، حاول العثمانيون ضم القادة العرب إلى جانبهم باعتبار ذلك جهاداً ضد المنافقين . وبقي ابن سعود وغيره من الزعماءالعرب ينتظرون عروضاً ، ومساوامات يقدمها لهم الطرفان . في ٣ نوفمبر من العام نفسه ، تسلم ابن سعود رسالة من المقيم البريطاني في بوشهر يطلب منه الانضمام ، في حال اندلاع الصراع العثماني - البريطاني ، وطلب من شيوخ الكويت والمُحَمَّرة مساعدة البريطانيين في احتلال البصرة . وبالمقابل ، فإن

بريطانيا العظمى تتعهد بالاعتراف به أميراً مستقلاً لنجد والأحساء ، وحمايته ضد أي هجوم من البحر أو انتقام عثماني ، وتوقيع معاهدة معه[٨] . فأجاب ابن سعود في ٢٤ نوفمبر على هذه العروض المحددة من بريطانيا مفضلاً مناقشة هذا الشأن شخصياً مع شكسبير[٩] .

لقد مر بنا في الباب الأول ، جواب قري المفوض السامي البريطاني في الكويت الذي اتسم بالجفاف ، وتضمن إبلاغ ابن سعود بأن بريطانيا لن تقدم له شيئاً، وليس لديها معارضة حول تعامله مباشرة مع الأتراك ، توافق هذا العرض مع ما كان يطلبه ابن سعود منذ دخول الرياض . وبعد ستة أشهر من هذا الجواب ، عادت بريطانيا الى ابن سعود بعروضها الجديدة ، وهي ماكان ينتظره ابن سعود منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م. في الوقت نفسه علِمَ ابن سعود بقرب وصول السيد طالب مرسلاً من السلطات العثمانية . وكان وضع ابن سعود قد تغير جذرياً مقارنة بما كان عليه الحال قبل أشهر عدة . وهذا جعله يختار بحرية الجانب الذي يحقق مصالحه ، فقد كان ابن سعود منذ عام ١٩٠٢م الى ١٩١٤م ، هو الذي يطالب بريطانيا بتقديم العون له ، بينما أصبحت بريطانيا في شتاء ١٩١٤ - ١٩١٥م هي التي تخطب ودَّه . لذلك جاء القرار الذي إتخذه عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م بالتحالف مع بريطانيا العظمى في ظروف ملائمة لم تتهيأ له مطلقاً من قبل .لقد اغتنم ابن سعود الفرصة ليحصل على تحالف بأقل تكلفة . ومنحه الصراع العثماني - البريطاني تحللا من الالتزامات المُبرمه مع العثمانيين في الصبيحية . إن قراره يحقق أهدافه الاستراتيجية ، بأقل التكاليف .

١) قرار عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥ م

في عام١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣ م ، حدد ابن سعود لنفسه هدفاً أولوياً ، هو ضم الأحساء وحائل . وكان وراء هذا الاختيار أسباب سبق وأن تناولناها بالتحليل ،

فإن البدء بحملة ضد ابن رشيد ، سيحرك الأتراك لتعزيز القوة العسكرية لابن رشيد . وقد وعا ابن سعود ذلك جيداً من تجربة معركتي البكيرية والشنانة عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م ، إذ فضل بعدهما التعامل مع العثمانيين . يضاف الى ذلك أن ضم الأحساء لن يعارضه إلا الأتراك وحدهم ، أما القبائل القاطنة في هذا الإقليم فقد ضمن ولاءها . والأحساء تمثل منذ عام١٣١٩هـ/ ١٩٠٢ م الخط الأقل مقاومة ، ونقطة الضعف للخصم الذي كان هدفاً استراتيجيا له . وعلى الرغم من أن ابن سعود لم يحظ بمساندة بريطانية عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م لأسباب سبق شرحها ، فقد تمكَّن من دخول الأحساء وفي خريف عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤ م ، وبسبب الحرب الناشبة بين تركيا وبريطانيا العظمى ، أعلن ضمه النهائي لإقليم الأحساء . والفى نفسه مؤهلاً لأن ينتقل الى مرحلة أخرى من مراحل استراتيجيته ، إما نحو ساحل الخليج حتى عُمان ، أو صوب جبل شمر حيث ابن رشيد .

بعد دخول الأحساء ، وتحديداً في مايو ١٩١٣م ، كان قد توفي الشيخ جاسم آل ثاني ، الذي أنقذه ابن سعود حينما نازعه أخوه أحمد في الحكم ، وكان ثمة روابط بين أسرتي آل سعود وآل ثاني ، كما أن معظم قبائل قطر تربطها بقبائل نجد روابط قبلية ودينية . وإزاء الوجود التركي في قطر ، اقترح ابن سعود على عبدالله آل ثاني ، الذي خلف أباه على إمارة قطر ، أن يلتقيا ليتفقا على أسلوب لطرد العثمانيين (١٠) ، وهذا التحرك السعودي ، قوبل بتخوف من شيوخ أبو ظبي ، وأبلغوا البريطانيين ، خشيتهم من توسع ابن سعود الى واحة البريمي التي كانت تابعة لأجداده في القرن التاسع عشر الميلادي (١١) .

في مستهل شهر سبتمبر ١٩١٣ م ، تسلَّم ابن سعود جواباً طالما انتظره من السير برسي كوكس ، فحواه أن الحكومة البريطانية كانت مستعدة لاستمرار العلاقات الودية معه - كما رأينا - شريطة أن يكف عن أي عمل يؤثر على إمارات

الخليج العربي بما فيها قطر ، لأن بينها وبين بريطانيا معاهدة[١٢] . ويبدو أن تحذيرات بريطانيا ، وما نجم عن ضم الأحساء من مصاعب مع العثمانيين ، وموضوع الدعم البريطاني ، كل ذلك جعل ابن سعود يُحّول وجهته عن الساحل حتى لا يصطدم بالمصالح البريطانية . .

في شتاء عامي ١٩١٤ - ١٩١٥ م ، وجد ابن سعود نفسه بين خيارين : التحالف مع بريطانيا ، أو الوقوف الى صف العثمانيين ضد المنافقين[١٣] ، لكنه أدرك أن المصالح التي تدافع عنها بريطانيا العظمى قد أصبحت حيوية ، ومن الحكمة أن لا يصطدم بها ، وإن حظي بدعم الأتراك . ذلك أنه يعرف التفوق البحري البريطاني على الدولة العثمانية . فكان عليه أن يصرف اهتمامه عن ساحل الخليج ، كسباً للدعم البريطاني .

٢) فوائد التحالف مع بريطانيا العظمى في عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥ م

الفوائد التي جناها ابن سعود من تحالف عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥ م ، هي التي كانت وراء حرص ابن سعود على هذا التحالف منذ عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م وحتى عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ، عبر مراحل عدة :

أ - كانت بريطانيا في وضع يحتم عليها كسب ابن سعود اليها ، الأمر الذي جعله يحدد مطالبه .

ب - منذ دخوله الى الأحساء . أدرك ابن سعود أن دعم بريطانيا له ضد أي هجوم بحري تركي ، ممكن بسبب نشوب الحرب بين الدولتين ، ولأنها تدافع عن مصالحها الحيوية في الخليج العربي . ولأن اقتسام التأثير بين الجانبين قد انتهى ، بعد أن سيطر ابن سعود على أوضاع المنطقة من عام ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م الى عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ، وقُنن ذلك بالمعاهدات العثمانية - البريطانية من سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م إلى سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤ م .

جـ - الاختيار الذي عُرض على ابن سعود سيكون أمرًا مقضيًا ، لأن الحرب بين بريطانيا العظمى والباب العالي ستسفر عن منتصر ومهزوم . وإذا كانت بريطانيا إبّان فترة السلم بين عامي ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، و١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ، قد وقعت على معاهدة معهُ ، فإنها كانت - قبل الحرب - تتفاوض سراً مع الباب العالي لتجنيب ابن سعود التزامات للدولة العثمانية عليه . أما أثناء الحرب ، فلم يكن ثمة مشكلة لدى ابن سعود لأن تحالف مع بريطانيا سيضمن مصالحه ، في إطار المصالح البريطانية في الخليج التي ألقت بظلالها على استراتيجية الحرب البريطانية. واتخاذ قرار بالقطيعة مع العثمانيين عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م لن يؤثر على أمير نجد ، ولو حدث ذلك قبل عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ، لاضطر ابن سعود الى الدخول في « نظام الحماية البريطانية » ، وكان لديه الحق في قبول العروض البريطانية التي قدمت له بين عامي ١٣٣٢هـ ، و ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م ، ١٩١٥م .

لكل هذه الاعتبارات ، و استمراراً لأهدافه الاستراتيجية . كان على ابن سعود اتخاذ قرار تكتيكي جوهري ، يلزمه بتعامل طويل المدى مع بريطانيا العظمى من خلال عروضها في عامي ١٣٣٢هـ ، و ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م ، ١٩١٥م . مما سيجعل أقاليمه الشرقية تحت حماية بريطانية من أي خطر تركي يأتي من جانب البحر . إن هذه الحماية تستمد قيمتها من كونها ضمن إطار الصراع العالمي ، حيث تدافع بريطانيا عن مصالحها ، وفي الوقت نفسه يتحقق لابن سعود مارسمه من أهداف منذ عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م .

٣) ثمن التحالف مع بريطانيا العظمى في عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م

بخلاف ما أشرنا إليه من قبل في هذا الكتاب ، فإن من المناسب استعراض الأعباء التي ترتبت على ابن سعود جراء تحالف عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م .

أ - من المؤكد أن يشارك ابن سعود في المجهود الحربي البريطاني ضد العثمانيين ، وهذا يؤدي الى حدوث أمور لم يقررها بنفسه ، ولكنه أدرك حتى قبل الحرب أن أهدافه الاستراتيجية لابد أن تصطدم بالمصالح التركية ، فانضمامه الى المعسكر البريطاني رغم أعبائه الحربية ، سيتيح له الدفاع عن مصالحه . .

ب- وقوفه الى جانب البريطانيين في الحرب ، جاء عن ثقته بانتصار بريطانيا ، ولأنه أدرك منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ضعف الدولة العثمانية ، وانحسارها من الخليج بخاصة ، و الجزيرة العربية بعامة. لذا اختارابن سعود في عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م الإستناد المؤقت على بريطانيا العظمى في مواجهته مع العثمانيين. لأن ثمة عداءاً عثمانياً تقليدياً ضد آل سعود ، ولأنه أراد أن ينضم الى قوة أصبحت الدولة العثمانية ذاتها تهابها ، لكي يستطيع الدفاع عن مصالحه .

جـ - لقد نجم عن القبول بالعروض البريطانية ، عدول ابن سعود عن مشروعاته في الخليج ، التي سبق أن خطط لها عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، وبعد ضم الأحساء. ذلك لأن منطقة الخليج الخاضعة للحماية البريطانية ، كانت عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م خطوطاً ساخنة ، مما جعل خط الاهتمام يتجه نحو الداخل ، حيث لا مصالح بريطانية ، ولا سيادة تركية فعلية .

٤) معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م

لقد أرجأ ابن سعود عملياته التكتيكية داخل الجزيرة ، وقبل أخيراً العروض البريطانية التي ستؤمن الحماية لإقليمه الشرقي «الأحساء» ، مستفيداً من ظروف الحرب بين الدولتين ، للتحرك نحو الداخل في الوقت المناسب . في٧ ديسمبر ١٩١٤م ، وصل الى الكويت الكابتن شكسبير ، موفداً من حكومته الى ابن سعود ، و تلقى الكابتن في الكويت رسالة من أمير نجد يعلمه فيها أن السيد طالب

قد زارهُ في الرياض وحدّد له موعداً على طريق الحفر . وفي ٣١ من الشهر نفسه ، وصل شكسبير إلى معسكر ابن سعود . حيث كان ابن سعود يقود حملة من ستة آلاف رجل ، ضد سعود ابن رشيد ، ومعه آلاف من الإبل ، وأسلحة و ذخيرة . أورد شكسبير في تقريره الوصف الآتي :

« حينما وصلت الى ابن سعود ، أدركت تماماً عدم ارتباطه بالحكومة البريطانية . . . . » ، وذكر ابن سعود له أن الحكومة البريطانية هجرته ، غب تفاهم الصبيحية مع الأتراك ، وكان مضطراً اليه . ويضيف شكسبير : إن أمير نجد وجد رسالة السير برسي كوكس المؤرخة في ٣ نوفمبر ١٩١٤م ، غامضة ، ولم تحدد التطمينات الواردة فيها ، إن كانت فترة الحرب فقط ، أم أنها ممتدة في المستقبل . واعتبر ابن سعود هذه الرسالة « وثيقة خاصة ملزمة للطرفين مستقبلاً»(١٤) . مكث شكسبير ثلاثة أسابيع ضيفاً على ابن سعود ، قضاها في تدوين انطباعاته ، ورصد تطلعات أمير نجد بحضورمستشاره ابن جلوي ، . وفي ١٤ يناير ١٩١٥م ، بعث شكسبير إلى كوكس طلبات ابن سعود التي ارفقها بالتعليق التالي :

« ليس لدى ابن سعود النية في التخلي عن موقفه الحيادي ، وربما توجه الى اتفاق منفصل مع الأتراك وهو واثق من أنه في مثل هذا الاحتمال يستطيع الحصول على فرص لتحقيق مصالحه » طالما أنه لم يحصل على معاهدة موقعة حسب الأصول مع الحكومة البريطانية . وهو من جانب آخر غير مستعد للاسهام في مجهود الحرب القائمة ، سواءاً في تسهيل الأمور لبريطانيا ، أو عرقلة التحرك التركي . إنه ينتظر أن تقوم حكومة صاحب الجلالة بتوقيع معاهدة معه ، توفر له السيادة المطلقة» (١٥) .

ويلخص شكسبيربعد ذلك ، تطلعات ابن سعود (١٦) ، ومن المفيد هُنا عرض كل تلك المطالب لأنها تختصر الأهداف الاستراتيجية لأمير نجد

الاستراتيجية، وتصور وضع قوته خلال الصراع التركي - البريطاني :

١ - على الحكومة البريطانية الاعتراف في أن نجداً ، والأحساء ، والقطيف ، وماحولها ، وملحقاتها على شواطى الخليج تابعة لي باعتبارها ملك آبائي وأجدادي. وعلى الحكومة البريطانية الاعتراف بزعامتي واستقلالي ، أنا ومن يخلفني من أبنائي . وأخيراً يجب على الحكومة البريطانية السماح بأن تكون الأقاليم المشار إليها مستقلة لا يحق لقوة أجنبية التدخل في شؤونها .

٢ - على الحكومة البريطانيه أن تُحدد موقفها المتعلق بحدود تلك الأقاليم من ناحية الشمال ، والجنوب ، و الشرق ، و الغرب ، في البر ، و البحر . وأن يحل كل خلاف متعلق بالسكان المتنقلين بين المدن الرئيسة ، المجاورين لتلك الأقاليم ، سواءاً أكانت تلك المدن خاضعة للحماية البريطانية أو مستقلة عنها ، يجب حلّ ذلك بيني وبين زعماء تلك المدن حسب الأصول والمفاهيم ، التي تحدد الولاءات المتعارف عليها أيام أجدادي .

٣- أن يجري العدل والقضاء في أقاليمي وفق قواعد الشريعة الإسلامية ، وبخاصة مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وسيتقيد سكان الأقاليم بهذه القواعد ، وبأعراف بلدانهم.

٤- لا يحق لأجنبي التملك في أقاليمي إلا بتصريح مني .

٥ - بعد قبول الشروط السابقة ، على بريطانيا التعهد بمنع أي عدوان على أقاليمي، من البحر أو البر ، مهما كان حجمه .

٦ - تلتزم بريطانيا بعدم إيواء ، مُتهم بجريمة ، يهرب اليها من أقاليمي ، حضرياً كان أم بدوياً.

٧- على بريطانيا حماية رعيتي ، واحترام حقوقهم ، ومعاملتهم بما تعامل به رعاياها . .

٨- إذا وافقت بريطانيا على الشروط المشار إليها أعلاه ، فإنني التزم من جهتي بعدم إقامة علاقات مع قوة أخرى في أي مجال سواءًا أكان «تنازلات ، أم تدخلات أم ارتباطات » دون الرجوع مسبقاً إلى الحكومة البريطانية .

٩ - أتعهد بتأمين أمن التجارداخل أقاليمي وأن أعامل الرعايا البريطانيين مثل معاملة رعيتي ، ممن يتعاملون مع الحكومة البريطانية ، أو يتعاطون التجارة داخل أقاليمها ، وكذا من تكون مسؤولة عنهم .

١٠ - أتعهد بحماية الرعايا البريطانيين ورعايا الدول الأخرى ، الذين يتمتعون بالحمايه البريطانية ، ضمن حدود سلطتي البرية والبحرية .

١١ - التزم بمكافحة تهريب الأسلحة والذخيرة ، ومنعه ، مهما كانت جهة التهريب حكومية أو تجارية خاصة ، وذلك على الأراضي الخاضعة لي . شريطة أن لا تمانع الحكومة البريطانية بتزويدي بالسلاح حين أطلبه .

نلحظ أن النقاط الأولى والثانية والثالثة هي الأكثر أهمية لأنها تشير بوضوح إلى أن ابن سعود مصر على استقلاله « النقطه الأولى » ، على اعتبار أن كل خلاف حدودي يجب حله « حسب الأصول والمفاهيم ، التي تحدد الولاءات المتعارف عليها أيام أجداده » ، مما يعني أن ابن سعود يحتفظ بحقوقه الموروثه ، ويراعي طموحاته الإقليمية « النقطة الثانية » ، وفي النقطة الثالثة يتجلى حرصه على عقيدته كقضية جوهرية .

لقد كُتب نص المعاهدة نفسه على مرحلتين : فمطالب ابن سعود المنسوخة من قبل شكسبير ، المرُسلة إلى كوكس في يناير ١٩١٥م ، قد عُدلت وحُررت من جديد بوساطة السلطات البريطانية ، التي أعادتها الى ابن سعود رسمياً في صيغة مشروع معاهدة (١٦) . وفي ٢٤ أبريل من العام نفسه ، تسلّم كوكس جواب ابن

سعود الذي أعاد إليه المشروع البريطاني مُعدلاً قائلاً : إن تلك التعديلات «طفيفة» ولكنها ضرورية لأسباب ملحة ، أملتها ظروف محلية ، و تطميناً للأهالي ، وأسرة آل سعود ، ومراعاة لما برز على الساحة العربية »[١٨] . وفي ٢٩ يونيو أرسل كوكس إلى سيملا المشروعين : البريطاني ، والذي عدل من قبل ابن سعود ، مكتوبين باعمدة متوازية[١٩] . ونحن هنا لا نشخص الموقف البريطاني وتطوره بالنسبة لنص المعاهدة المزمع توقيعها ، لأن ذلك درس من قبل مؤلفين آخرين[٢٠] ، ولكننا سندرس موقف ابن سعود من مختلف النقاط المستخلصة من تلك النصوص الواردة في مشروعي ابن سعود وبريطانيا ، وكذا النص النهائي[٢١] ، إذ تشير هذه النصوص إلى أن ابن سعود قد ركز في الأساس على النقاط الآتية التي لا يشملها المشروع البريطاني :

أ - في التمهيد ، أصر ابن سعود على اعتباره أميراً كذلك على الجبيل والأحساء والقطيف ، والموانيء ، والمدن التابعة لنجد ، بينما يشير النص النهائي إلى تجاوز هذه النقطة . ومن المحتمل أن ابن سعود أراد في هذا النص أن يفرض مفهومه الجغرافي الخاص بالأقاليم التي يطالب بها منذ عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، حتى لا يحصر نفسه داخل المفهوم البريطاني أو العثماني ، الذي برز في المعاهدة العثمانية - البريطانية في يوليو ١٩١٣م . وحول هذه النقطة ، أشار النص النهائي إلى أن ابن سعود يحتفظ كذلك بالكفاءة الشخصية لتقدير مساحة أقاليمه حسب الأعراف القبلية .

ب - البند الأول من النص النهائي ، تضمن إبراز ابن سعود زعيماً مطلقاً للقبائل التي تسكن تلك الأقاليم ، وهذا لم يسجله البريطانيون في مشروعهم . وهذه النقطة مرتبطة بقائمة الأقاليم التي أُعترف به أميراً عليها كما ورد في الديباجة ، ومستهل البند الأول . ويترتب على الاعتراف بابن سعود زعيماً على القبائل ،

سيادته على الاراضي التي تعيش عليها تلك القبائل ، وهذا المفهوم لا يتفق مع وجهة النظر البريطانية . وقد نجح ابن سعود في الانطلاق خارج «مفهوم الحدود» نحو آفاق مصالحه المستقبلية .

ولكن بريطانيا أصرت في نهاية البند الأول ، على حقها في المصادقة على اختيار خليفة ابن سعود . وهذا ما تحاشاه ابن سعود في مشروعه .وقد أثارت هذه النقطة بالذات صعوبات جمة . واعترف النص النهائي بالصفة الوراثية لحكم آل سعود وأكد على :

« أن اختيارالأمير الوريث يجب أن يكون بناءًا على قرارمن العاهل السابق أثناء حياته ، شريطة أن لا يكون معادياً للحكومة البريطانية ، وأن يلتزم ببنود المعاهدة الحالية » .

لقد حافظ ابن سعود على استقلاليته ، وحظي باعتراف الحكومة البريطانية به وريثاً لحكم آل سعود ، له الحق في اختيار خليفته . ولا تحمل هذه النقطة المُسلَّم بها نتيجة كبيرة ، سوى تحقق ركن من أركان استراتيجية عبدالعزيز التي رسمها منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، وهو إقامة صداقة مع بريطانيا مع الحفاظ على استقلالية أسرته في مجال الحكم .

جـ- وفي البند الثاني . طالب ابن سعود بضمان حماية لحكمه هو ومن يخلفه ، في حال أي اعتداء خارجي . وهذا الضمان المقُدم في النص النهائي يحمل في طياته تحفظات ، اضطر ابن سعود الى قبولها .

د - وتضمن البند الرابع شروطاً ، نجح ابن سعود في تقييد قبولها بعدم الاجحاف بمصالحه . وهذا التحفظ أثبت في النص النهائي .

و - تعهد ابن سعود في البند السادس ، باحترام دول الخليج التي كانت جزءاً من « نظام الحماية البريطانية » بينما أدخل المشروع البريطاني في قائمة تلك الدول «قبائل أخرى وزعماء آخرين »، وهو مفهوم عائم وعام رفضه ابن سعود. أماالنص النهائي فقد أغفل هذه الإشارة.

ومن هنا ، حافظ ابن سعود على المفهوم القبلي للأقاليم ، باعتبار قبائله وزعمائها ، القاطنين جغرافياً في أراضي تلك الدول المُشار إليها ، رعايا من رعاياه. وهذا يتعارض مع المفاهيم البريطانية للحدود ، مما جعل بريطانيا تحاول إضافة «قبائل أخرى وزعماء آخرين » وبرفض ابن سعود هذه الإشارة ، أنقذ مستقبل استراتيجيته من دائرة المفاهيم القانونية التي تخالف مفاهيمه ، مع تسليمه بمفهوم الدول ، وهذا أمر مشروع كما رآه شكسبير ، الذي لخص القانون غير المكتوب لحدود الصحراء : « أسس شيوخ العرب أقاليم حكمهم على مدى احترام نظامهم من قبل القبائل المجاورة ، ومواضع جباية الزكاة من البدو ، وقضايا الثأر والجرائم والغارات التي تحدث بين البدو الرحَّل الذين يرعون مواشهم في تلك الأقاليم»[٢٢].

لقد قامت الدولة السعودية على ميثاق بين الحاكم والمحكومين ، وهو ميثاق يرمي أساساً إلى تأمين الدفاع والأمن للمواطنين. وهو عقد تنص عليه البيعة ، ملزم للحاكم ، وللأمة. لهذا طالب ابن سعود على حذف الإشارة ، لأن لها تبعات ثقيلة ، شعر بها لاحقاً أثناء مسألة واحة البريمي [٢٣] . وبحسب مفهومه للدولة ، وحدوده التي احتفظ بها ، حررالديباجة والبندين الأول والرابع. تلك هي النقاط الرئيسة التي اختلف حولها النصان المرسلان من كوكس ٢٦ يونيو ١٩١٥م ، الى حكومة الهند لتمييزهما.

في ١٨ صفر عام ١٣٣٤هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م ، وقعت المعاهدة ، وفي ١٨ يوليو ١٩١٦م أقَرتها حكومة الهند . وفي النص النهائي ، عدا النقاط التي تحفظ ابن سعود عليها ، نجح ابن سعود في تحقيق أهدافه الأولى التي حددها في بداية انطلاقه عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، كاعتراف بريطانيا بحقوقه الموروثة في نجد والأحساء ، مع استبعاد الحدود الجغرافية لهذين الإقليمين ، وحصوله على الحماية البريطانية لشريطه الساحلي الشرقي ، والمكاسب التي جناها من خلال تحالفه مع بريطانيا ، وقد تحدثنا عنها سابقاً . وأخيراً ، فإنه لم يترتب على ابن سعود التزام عسكري في الصراع العثماني - البريطاني .

ويؤكد قري ترولر(٢٤)، أن النص النهائي للمعاهدة ، كان في مصلحة ابن سعود أكثر منه لمصلحة بريطانيا العظمى . لقد حرص ابن سعودعلى تحالف مع بريطانيا من أجل مكاسب محددة شرحناها وحصل عليها . بينما حاولت بريطانيا إقحام ابن سعود داخل أتون الصراع ضد الدولة العثمانية ، أو على الأقل صرفه عن الانضمام إلى المعسكر العثماني . ولكنها لم تنجح إلا في عزل ابن سعود نهائياً عن الأتراك . وربح أمير نجد ما كان مُستعداً للتنازل عنه عام١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، في وقت لم يكن الصراع بين الباب العالي وبريطانيا مسألة مطروحة . ولكن ماهي التنازلات من جانب ابن سعود ؟ . باختصار ، الدخول عملياً داخل « نظام الحماية البريطانية » الذي يربط أمراء ساحل الخليج من مسقط إلى الكويت ، وانضمت قطر إلى هذا النظام في نوفمبر ١٩١٦م ، وهي رابطة يديرها السير برسي كوكس . المقيم البريطاني .

يقول بوش عن معاهدة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م(٢٥) : « إنها كانت أكثر مرونة من تلك التي وقعتها بريطانيا مع أمارات الخليج العربي » . لقد تعهد ابن سعود بعدم

الدخول في اتصالات أو في علاقات أو اتفاق أو معاهدة مع دولة أخرى ، وعدم التنازل ، والبيع ، والتأجير أو التصرف بصيغة أخرى في أقاليمه أو أجزاء من أقاليمه ، أو منح تنازلات في أقاليمه لقوة أخرى أو لرعايا دولة أخرى ، دون موافقة الحكومة البريطانيه « البند الثالث والرابع » . كما التزم ابن سعود بحماية الحجاج العابرين من أراضيه إلى الأماكن المقدسة « البند الخامس » و أخيراً نص « البند السادس» على عدم التدخل في شؤون دول الخليج الخاضعة لنظام الحماية البريطانية . وبالنسبة للعقلية الغربية ، فإن تقييد البندين الثالث والرابع يمثلان بالتأكيد حصراً ضيقاً للسيادة ، وبالنسبه لابن سعود ، فإنه يبدو أن انحصاره -في ظل استراتيجيته - هو أقل التنازلات . كما أن تحالفه مع بريطانيا ، وهي القوة الأجنبية ، المعنية ، والمؤثرة في المنطقة ، يهيء له الظروف للدفاع عن مصالحه ومكاسبه . وبهذا نجح ابن سعود في الالتفاف حول مصطلح « السيادة المطلقة التابعة» الذي استخدمناه على العموم لتحديد الروابط الثنائية بينه وبين بريطانيا من خلال معاهدة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، باعتباره غير واضح ، ولأن بريطانيا ليست قوة إسلامية ، كالدولة العثمانية . بينما « السيادة المطلقة» العثمانية ، مصطلح يحمل جوانب دينية تتجّسد أساساً في مفهوم « الخلافة » ، ويصبغ روابط التابع بالسيد الحاكم ، صبغة دينية ، ولا يتفق مع أنفة ابن سعود . وعلى الرغم من كون بريطانيا قوة نصرانية كانت حينها في حرب مع دولة مسلمة ، وهذا ما أثار انتقاد البعض ، إلا أنها لم تقيد سلطة ابن سعود ، بهذا المعاهدة ، بصورة جلية معلنة [٢٦] .

وفيما يتعلق برسم حدود ابن سعود ، فقد أجِّل النظر فيه ، ولم يتطرق كوكس الى مسألة الحدود الغربية لابن سعود ، لأن بريطانيا كانت في الفترة نفسها تفاوض الشريف حسين لاعلان الثورة العربية ضد العثمانيين ، كما قال فيلبي [٢٧] . وعلى أي حال ، فالذي لم يذكره فيلبي هو أن صمت كوكس عن الحدود الغربية أثناء

مفاوضاته مع ابن سعود ومعاهدة عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م نفسها ، يمكن أن يخدم مصالح ابن سعود ، لأن ترك هذه المسألة معلقة ، يبرر له السير بأهدافه الاستراتيجية صوب الحجاز. وربما كان ابن سعود على علم - من خلال مخبريه الذين بعثهم الى الشريف - بالمراسلة المتبادلة منذ عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م بين شريف مكة ، والسير هنري ماكماهون الذي عُين مفوضاً سامياً في مصر والسودان(٢٨) ، ولم يكن في مصلحته أن يطرح كوكس هذه المسألة. يضاف إلى ذلك ، أن ابن سعود غير مستعد لمناقشة هذه القضية ، ويبدو ذلك من تحفظاته التي أدخلها على نص المعاهدة ، بخصوص هذا الموضوع ، كرفضه القبول بالمفهوم البريطاني للحدود الجغرافية.

ونخلص الى الاعتقاد بأن التنازلات التي قدمها ابن سعود في معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م كانت ضئيلة بالنسبه للمكاسب التي حصل عليها. وأنها أقل بكثير من التنازلات التي كان مستعداً لتقديمها عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، ولو تمت المعاهدة قبل اشتعال الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ، لأملت بريطانيا شروطها على ابن سعود مقابل اعترافها الكامل بحكم آل سعود ، وقيدته بتعهدات عسكرية ، والتزامات أمنية بحرية ، وضوابط تجارية لبيع الأسلحة وشرائها ، ومنح رعاياها مكانة متميزة كما هو الحال في « نظام الحماية البريطانية» لإمارات الخليج.

وباختصار ، فقد حصل ابن سعود من هذه المعاهدة على المكاسب الاستراتيجية التي يبتغيها ، دون أن يتنازل عن مفهومه الخاص بـ« الدولة والحدود» ، ودون التعهد بالتزامات عسكرية مقيدة. وعلى خلاف ما ذهب اليه المؤلفون الآخرون(٢٩) الذين تناولوا هذه المعاهدة ، فإن تلك المعاهدة كانت بالأحرى لمصلحة ابن سعود حينما ننظر اليها في إطار استراتيجيته ، فقد وفرت له

منذئذ ، مساعدة مالية ، وأسلحة وذخيرة ، من بريطانيا ، وهذا أمر ضروري لتوطيد حكمه . فمنذ عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م ، إستقر أوائل الإخوان في الأرطاوية . ولابد من معونات مالية ، تصرف على عملية التوطين ، والتطوير ، وهذا ما قدمته بريطانيا له. ومنذ صيف عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م تَسلَّم ابن سعود من السلطات البريطانية الإرسالية الأولى وهي الف بندقية ، وعشرون الف جنيه استرليني ، وسمحت له بالتزود بالذخيرة ، مباشرة من سوق البحرين.

الفصل الثالث

سياسة ابن سعود
خلال الحرب العالمية الأولى

أكد ابن سعود على أنه لا يوالي الكافرين ، وبخاصة النصارى ومنهم البريطانيون ، ولكنه رمى من صداقتهم الى فائدة المسلمين . لذا كانت سياسته استغلال تلك الصداقة من أجل المنافع الممكنة للمسلمين . ثم إن الحكومة البريطانية ، وابن سعود اتفقا منذ وقت طويل على مبدأ « أعطني أعطك »[1] ، ولم يقحم ابن سعود نفسه في « الحرب المقدسة » التي أعلنتها الدولة العثمانية ، وخير المتعاطفين معها بينه وبينها ، مؤكداً أن قانون الصحراء مع الغالب[2] .

لقد تزامن ظهور ابن سعود مع بروز القومية العربية ، وعنفوانها . وتبني بريطانيا للثورة العربية ، وذاعت فصول المغامرة (اللورنسية) ، ممتزجة مع رومانسية الرمال ، فكانت حديث الصوالين اللندنية . وتناولها المحللون من جميع جوانبها العربية ، وبخاصة العلاقة بين الشريف حسين ، وابن سعود الذي بدا في عيونهم عنصراً مهماً على المسرح العربي في تلك الفترة ، وبالذات داخل الجزيرة العربية ، وانقسم المؤلفون حول هذه المسألة الى معسكرين : البعض مثل (فيلبي ، وويلسون ، وربما جلوب ، الذي لا يعبر عن رأيه بوضوح[3] ، قد أدعوا بأن مقتل شكسبير المفاجيء في معركة جراب كان السبب الأول لارتكاب الحكومة

البريطانية أغلاطاً سياسية ، من أجل دعم الشريف حسين وأبنائه ، داخل إطار الثورة العربية، على حساب ابن سعود .

وحول مصير شكسبير ، كتب فيلبي :

وكان موت شكسبير في يناير ١٩١٥م [٧ ربيع الأول عام ١٣٣٣هـ]كارثة لبلاده كما هو لابن سعود ، ولو بقي على قيد الحياة ، لأحدث عملاً ، يمكن تصنيفه ضمن الأعمال الفردية الكبيرة التي غيّرت مسار التاريخ . ولما ترك مجالاًلمغامرات لورانس غرب الجزيرة . ولو أن مهمة شكسبير لم تنته بهذه الفاجعة ، لحصل ابن سعود على دعم قوي من بريطانيا ، بالسلاح والمعونات[٤] .

أما ويلسون ، فقد قال :

« لو ظل شكسبير حياً ، لجنَّب العالم ملحمة ، ووفرت الخزينة البريطانية ملايين الجنيهات الاسترلينية ؛ ولم يخرج الهاشميون من الحجاز ، ومن حضن الدولة العثمانية ، التي فاوضوها بحيوية حتى أبريل ١٩١٦م ، ولظلت فلسطين عثمانية ، وبقيت الصهونية حلماً لم يتحقق . ولكن سارت الأحداث على غير هذا المنوال . وتحتم الاعتمادعلى السلطات العسكرية المرابطة في مصر ، من قبل حكومة الهند ، وكان يمكن أن يؤدي ابن سعود هذا الدورمع مساعدتنا» [٥] ، ولعل في رأي فليبي شيئاً من المبالغة ، لأنه يصعب الاعتقاد في أن شكسبير قد استطاع تركيز اهتمام السلطات البريطانية لوضع قاعدة للتعاون مع العرب ضد الشريف حسين . بينما رجح آخرون ومنهم ويلسون ، وفيلبي أن بريطانيا قد « لعبت دور الحصان السيئ » وذلك بدعمها الشريف حسين ، بدل ابن سعود خلال الصراع بين عامي ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، و١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م[٦] .

ولكن عدداً من من المؤلفين ، من بينهم جورج أنطونيوس ، وقري ترولر ، يعتقدون « أن ابن سعود - باستخدام المعاييرنفسها ، الدينية ، والسياسية ، والعسكرية - كان أقل أهمية من الشريف حسين في بداية الصراعات الدولية ، وماتلاها من سنوات»[٧] ، وعلى الرغم من اقرارهم بالنجاحات التي أحرزها ابن سعودفيما بعد ، إلا أنهم يخطئون قرار بريطانيا البريطاني باختيار ابن سعود بدلاً من الشريف في عامي ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، و١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، لأسباب استراتيجية، ودوافع عسكرية ، ودينية ، واجتماعية . وكل مؤازرة للشريف - بنظر هؤلاء المؤلفين - تعزز من السياسة العربية لبريطانيا عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م .

أما بوش فهو مع الرأي القائل : « بما أن هناك رغبة عميقة لانضمام العرب في مجهود حربي ضد العثمانيين ، ومساعدتهم على نيل استقلالهم لا تحقيق وحدتهم ، فليس ثمة خيار آخر سوى الشريف حسين »[٨] .

هذه الآراء المتعددة ، بالإضافه إلى غالبية الأعمال التي ركزت على دراسة السياسة العربية « أو بالأحرى السياسة العربية لبريطانيا العظمى » خلال الصراع العالمي الأول ، أخطأت كلها من البداية في التحليل ، حينما ركز أصحابها على مراجعة سياسة ابن سعود . بينما السؤال الذي يجب أن يطرح : أما كان على بريطانيا أن تختار ابن سعود بدلاً من الشريف كمحور لعملها في الشرق ؟ ، وبصيغة أخرى : ألم يكن مُمكناً لبريطانيا التصرف مع ابن سعود - وقد اتخذت قرارها لصالحه - بالأسلوب نفسه الذي عاملت به الهاشميين في إطار مجهودها الحربي ضد الدولة العثمانيه ؟ .

ومن السهولة معرفة ما إذا كان ثمة خلاف مع ابن سعود بعد الحرب ، سوغ الدعم البريطاني للهاشميين . ولكن كل شكل من الاستدلال ، والتحليل يجب أن

يتم في إطار السياسة البريطانية في الشرق ، ومصالحها في المنطقة ، التي كان لها أثر في إعلاء شأن الهاشميين . ومع تباين وجهات نظر المحللين والمراقبين للمسرح العربي خلال الحرب العالمية الأولى وبعيد ذلك ، إلا أنهم يجمعون على كفاءة كل من ابن سعود والشريف ، ولكنهم يتساءلون بعقلية البريطانيين : ما الاختيار الأفضل ، أو القرار الأصوب لتحقيق أمل العرب باستقلالهم ، وصرف نظرهم عن الدعوة العثمانية لـ « الجهاد » ضد المنافقين «بريطانيا بالذات» ، وتعزيز حملات اللنبي عسكرياً ؟

وبالنسبة للمشتغلين بدراسه حركة ابن سعود خلال تلك الفترة ، وكذا حركة الشريف حسن ، فإن تساؤلهم المطروح : ما المصالح التي يدافع عنها ابن سعود أو يرتقي بها في ظل الظروف الجديدة التي جدت في الجزيرة العربية ، على ضوء السياسة التي انتهجها منذ عام١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م حتى عام١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ؟ .

لقد تمخض عن العناصر المكونة لسياسة ابن سعود خطتان مختلفتان : إحداهما متعلقة بالصراع بين الدولة العثمانية وبريطانيا العظمى ، والأخرى الخاصة بسياسة الصحراء . فالخطة الأولى مؤقتة ولكنها حاسمة ، تؤثر بقوة على الخطة الثانية ، التي هي أكثر قدماً و استمرارية . ويجدر بنا أن نحلل تلك الخطتين ، لنستخلص العناصر التي كون منها ابن سعود سياسته خلال تلك الفترة .

١) أثر النزاع العثماني ـ البريطاني :

إن بداية العداء بين بريطانيا العظمى والدولة العثمانية ، وتوقيع أمير نجد المعاهدة مع القوة الأولى ، آذنت بنهاية « المرحلة التدريبية » لسياسة ابن سعود . وإزاء توافر معطيات جديدة ، كان لزاماً على ابن سعود أن يغير من سياستة . وأن

يدخل في حلف مع بريطانيا وهو مايبحث عنه منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م . ولكنه منذ عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، الفى نفسه في تحالف مع دولة متورطة في حرب عالمية . كما أن معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥ م ، كانت غير متكافئة ، ولا هدف لها ، في ذهنية السلطات البريطانية التي قررتها و وقعتها ، سوى انضمام ابن سعود إلي معسكرهم في خضم الصراع مع العثمانيين . علماً بأن ابن سعود ربط هذه المعاهدة بقيمه ، وحدد تطبيقها بمدة وميدان يتجاوز كثيراً حدود الصراع العثماني - البريطاني . لقد اتخذ ابن سعود من نص المعاهدة قاعدة تنفيذية لطموحاته ، على الرغم من تباين غايات الطرفين اللذين وقعاها ، وعلى الرغم من تضارب أهداف حرب بريطانيا العظمى التي بدأت تنفذ تدريجياً في المشرق العربي مع أهداف ابن سعود الاستراتيجية .

منذ عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، كانت سياسة بريطانيا تجاه أمير نجد ، تتجلى في تعاون عسكري متزايد ، يحفزه الى مقاومة ابن رشيد في حائل ، باعتباره حليفاً للدولة العثمانية [٩] ، وهذا الهدف يتفق تماماً مع مصالح ابن سعود . لقد شكل حكم ابن رشيد تهديداً لأمير نجد منذ عودته الى الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م . وسيعتبر عمله ضد ابن رشيد ، اسهاماً منه في المجهود الحربي البريطاني ، فضلاً عن تحقيق مصلحة من مصالحه ، ومسوغاً موجباً للحصول على مساعدة بريطانية متزايدة . وفي يونيو ١٩١٥م ، وأثناء تشاور زعماء الجزيرة العربية حول موقفهم من الصراع العثماني - البريطاني ، وَقّع ابن سعود مع ابن رشيد اتفاقاً ، قبل بموجبه ابن رشيد أن ينحاز إلى بريطانيا العظمى ضد العثمانيين . ولكن أمير حائل لم يلبث أن نقض هذا الاتفاق ، عندما تقدم الى القصيم لمنازلة ابن سعود[١٠] .
يخبرنا الريحاني أن ابن سعود علق على هذا الاتفاق بقوله :

« وقعت على سلام هش مع ابن رشيد ، كل منا قرر عدم احترامه» (١١) .

لم يقدم ابن سعود خلال سنة١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، شيئاً للمجهود الحربي البريطاني (١٢) . وفي١١ نوفمبر من العام نفسه ، التقاه برسي كوكس في العقير ، بغية تشجيعه على قتال ابن رشيد ، وتحسين علاقته بالشريف حسين . ولكن ابن سعود أخبر الدبلوماسي البريطاني بأن الصراع مع الشريف واقع لا محالة ، أما ابن رشيد ، فلكي يحاربه ، لابد من توفير المال والسلاح له من قبل بريطانيا (١٣) ، وبمناسبة الحديث عن لقاءات العقير ، فإن ما أورده الزركلي من محاورة - لم تثبت صحتها - بين ابن سعود والسير برس كوكس ، تصور جلياً نمطية التخطيط التي كان يفكر بها ابن سعود آنذاك .

كوكس : الا تشعر بالخطر من مساعدة الأتراك لابن رشيد ؟

ابن سعود : لم أنس ذلك .

كوكس : ألم تلحظ حركة التمرد ضد الأتراك ، التي يقوم بها العرب في العراق ، وسوريا ، و الحجاز؟

ابن سعود : بلى .

كوكس : رؤيتك تختلف عن رؤيتهم . بإمكانك أن تصبح ملك العرب ، وإذا شئت خليفة المسلمين ! »

ابن سعود : لا .

كوكس : فلم لا تغتنم الفرصة وتثور أيضاً ؟

ابن سعود : لا . حتى لا يقال : إن عبد العزيز بن سعود أسس دولة على حساب دولة الخلافة (١٤) .

وفي٢٠ نوفمبر ١٩١٦م ، اجتمع في الكويت كل من ابن سعود والشيخ جابرأمير الكويت ، و خزعل شيخ المحمرة والسير برسي كوكس ، بالإضافة إلى

عدد من شيوخ قبائل الأحساء وجنوب العراق ، تحت رعاية السلطات البريطانية . وقلد ابن سعود بهذه المناسبة وسام « فارس الامبراطورية - الهند " K.I.E " » . وألقى خطاباً غير متوقع أدان فيه العثمانيين ، وأثنى على الحكومة البريطانية ، وعلى الشريف حسين ، مشيراً إلى وجوب التعاون بين العرب من أجل قضيتهم . ولقي هذا الخطاب ، استحسان البريطانيين لأنه تضمن تأييد حركة الشريف حسين . غير أن أمير نجد رفض الاعتراف بمنح الشريف لقب « ملك العرب » ، كما رفض أن يرسل قوات من نجد إلى شريف مكة . وشرح ابن سعود سلبيات الحصار الذي فرضه - بناءاً على طلب البريطانيين - على التجارة بين سوريا وشمال نجد مما أثار احتجاج سكان في القصيم ، وسبَّب له مشكلة مالية (١٥) .

وبعد مراسم الاحتفال في الكويت ، دُعيَ ابن سعود إلى البصرة حيث شاهدلأول مرة ، المعدات العسكرية الحديثة للجيش البريطاني . وفي هذه الزيارة ناقش كوكس وابن سعود مشكلة العجمان ، مع الشيخ جابر أمير الكويت (١٦) ، وتحدث الدبلوباسي البريطاني مع ابن سعود حول الدور الذي ترغب حكومته في أن يقوم به ابن سعود ضد ابن رشيد في حائل ، وقد قبل أمير نجد هذا العرض ، مقابل مساعدة مالية ، و أسلحة منتظمة من بريطانيا ، لمراقبة تحركات ابن رشيد ، وتجهيز أربعة آلاف رجل في القصيم ، للقتال تحت قيادة ابن سعود . وإذا حاول ابن رشيد التقدم نحو العراق ، فإن ابن سعود سيتدخل حالاً بمساعدة قوات من الكويت . أما إذا بقي في حائل ، فإن ابن سعود سيظل مرابطاً في القصيم يتحين الفرصة للايقاع به (١٧) .

وفي خريف عام١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م ، « لم يقدم ابن سعود شيئاً للمجهود الحربي »(١٨) ، لذلك قرر مكتب القاهرة والسلطات البريطانية في بغداد إرسال

بعثة إلى الرياض مزودة بتعليمات ، لدعوة أمير نجد الى تبادل المبعوثين مع الشريف حسين لكي يستطيع كل منهما معرفة أهداف الآخر(١٩) . وقام السير برسي كوكسي بابلاغ ابن سعود عن توجه بعثة بريطانية اليه ، مُكونة من فيلبي ، من الفرع المالي للقسم السياسي البريطاني في العراق ، و الكلونيل كنلايف أون ، المختص بتقويم احتياجات ابن سعود من السلاح والذخيرة للهجوم على حائل . وأسرع الى الرياض كل من الكونوليل هاميلتون ، المعتمد السياسي في الكويت ليدافع هناك عن وجهة نظر شيخ الكويت ، و السير رونالد ستورز ، منتدباً من من مكتب القاهرة ، لكي يقدم وجهة نظر الشريف حسين .

وصل فيلبي إلى الرياض مطلع عام ١٣٣٦هـ/ نوفمبر ١٩١٧م . حاملاً تعليمات لتحسين العلاقات بين ابن سعود والشريف ، وتشجيع ابن سعود نحو حل نزاعه مع العجمان والعوازم الذين وتّروا علاقته مع الشيخ سالم أمير الكويت ، وبحث اسهام ابن سعود في مجهود الثورة العربية(٢٠) . أمضى فيلبي بعض الوقت متنقلاً في أرجاء الجزيرة ، وبجوار ابن سعود ، من أجل تحريضه على مهاجمة حائل(٢١) ، ولمس فليبي من أمير نجد استعداده من حيث المبدأ لتنفيذ هذه الحملة شريطة مده بالمال و السلاح اللازمين(٢٢) .

وتردد ابن سعود كثيراً أمام مطالب فيلبي ، وأخيراً ، كتب الى فيلبي في ٣٠ أغسطس ١٩١٨م ، يقول له : « سبق أن شرحت لكم الصعوبات المادية ، الضرورية لتسهيل مشروعاتكم . فضلاً عن متطلبات السياسة التي أتبعها مع شمّر وحائل ، التي ترمي إلى امتثالهم لي خطوة خطوة . ولكن ، بما أنكم تصرون على أن أعمل المزيد ، بعيداً عن تلك السياسة ، ومن الدفاع عن مصالحي ، الآن وفي إطار مصلحتكم ، فإني مستعد لمحاربتهم . . . وسبق أن قلت لكم الذي احتاجه لهذا المشروع »(٢٣) .

ومن المهم التوقف قليلاً عند وصف ابن سعود سياسته تجاه ابن رشيد ، التي تتسم بالتريث ، وتتوافق مع الدفاع عن مصالحه الخاصة . وأخيراً ، وبعد أن نال ابن سعود مايرجوه من مساعدة بريطانية ، قرر التحرك بإتجاه حائل في صيف عام١٣٣٦هـ/ ١٩١٨ م[٢٤] . وكسب غنائم كثيرة من مجموعات من شمّر ، قابلها في الطريق ، لكنه لم يصطدم مباشرة بابن رشيد الذي اعتصم بالجبال . وتجنب بلد حائل ، خوفاً من المدافع كما يقول الدبلوماسي البريطاني فليبي، الذي مكث في بريدة ، انتظاراً لعودة ابن سعود ، حيث نقل اليه أخباراً جديدة ، تتمثل بقرب هزيمة تركيا ، وعندئذ فلن يكون في مصلحة بريطانيا سيطرة ابن سعود على حائل ، ولذلك فلن تصله الأسلحة الموعودة[٢٥] .

هنا انتهت مهمة فيلبي الذي صرح قائلاً :

« لم أفهم أبداً هدف ايقاف الحماس الحقيقي الذي أثبته ابن سعود بالنسبة لحملته ضد ابن رشيد ، ونحن الذين طلبنا اليه تنفيذها لمصلحة مجهودنا الحربي ، ولإزالة خصمه »[٢٦] . ومن المناسب أن نلحظ أن بريطانيا خلال فترة العداء مع الأتراك ، حاولت جر ابن سعود الى عمل عسكري ضدهم ، ولكنها لم تفلح إلاّ في النتيجة التي حصل عليها فيلبي، المتمثلة بالحملة الموجهة الى حائل ، التي اسفرت عن كسب ابن سعود أموالاً وأسلحة ، لكنها لم تؤد الى إنهاء حكم ابن رشيد . وتريث ابن سعود في هذه المسألة مرده ضآلة المعونات التي وهبتها له السلطات البريطانية ، مقارنة بما أغدقته على الشريف حسين ، لذلك كيَّف تحركاته مع كمية المساعدة التي يتلقاها . وعموماً فإن ابن سعود لا يقدم على خطوة إلا بعد أن يتأكد من أنها تسير نحو تحقيق مصالحه في إطارسياسة الصحراء .

٢) تطور سياسة الصحراء :

يجب الإشارة هنا الى أن ابن سعود عانى كثيراً من قبيلة العجمان خلال عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، وإبان شطر كبير من فترة الحرب ، وهم قبيلة قوية تقطن في إقليم الأحساء الذي ضمه عام١٣٣١هـ/ ١٩١٣م . غير أنهم ترددوا في تقديم الولاء له ، لأنهم كانوا متحالفين مع ابن رشيد . وقد عارضوا فكرة «حركة الإخوان» التي أراد ابن سعود تطبيقها عليهم . ومع ذلك فقد انضم الى ابن سعود عدد كبير من العجمان ، وشاركت مجموعات منهم في معركة جراب ضد ابن رشيد في ربيع الأول عام ١٣٣٣هـ/ يناير ١٩١٥م ، لكنها انسحبت في وسط المعركة والتحقت بمعسكر ابن رشيد ، مما منع ابن سعود من احراز نصر حاسم . عندئذ رأى ابن سعود لزاماً عليه إخضاع العجمان قبل توجيه حملة أخرى ضد ابن رشيد . يضاف الى ذلك أن ثمة مناوئين لجأوا الى هذه القبيلة ، وحرضوها على مقاومة ابن سعود(٢٧) .

في عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، قاد ابن سعود حملتين ضد العجمان وأخضعهم ، مؤقتا في سبتمبر من عام ١٩١٦م ، بعدما فقد أخاه سعداً في الحملة الأولى ، ولجأت فلول العجمان الى الكويت لدى الشيخ جابر الذي ولي الإمارة بعد موت أبيه مبارك في المحرم عام ١٣٣٤هـ/ نوفمبر ١٩١٥م ، لذلك ساءت العلاقة بين ابن سعود ، و جابر ، واستمرت على هذا الحال حتى عهد أخيه سالم(٢٨) .

ولكن أمراً جللاً غشي الساحة العربية صيف عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، إذ أعلن في مكة ، الشريف حسين في الرابع من شعبان/ ٥يونيو من العام نفسه ، اندلاع الثورة العربية (٢٩) . الأمر الذي جعل ابن سعود يأخذ في الاعتبار القوة النامية للشريف حسين ، من المدعومة من السلطات البريطانية ، التي تحمست للدور

العربي الذي يقوم به الشريف ، مما قادها الى الاعتراف به زعيماً عربياً . وإزاء هذه التطورات ، كتب ابن سعود رسالتين متتاليتين في يوليو وفي أغسطس من هذا العام إلى السير برسي كوكس يُعبر له فيهما عن مخاوفه على نجد من طموحات الشريف . مشيراً الى عبارة « العرب » التي وردت في البيان النهائي لمفاوضات الشريف مع السلطات البريطانية ، وكأنه يمثلهم جميعاً .

ولكن من هو الشريف حسين وما طموحاته ؟ ، إنه الحسين بن علي ، من بني هاشم ، تنتمي اسرته الى فاطمة بنت محمد ﷺ (م١) ، حامي الأراضي المقدسة في الحجاز . كانت طموحاته مذ كان شاباً مثار ريب لدى العثمانيين الذي يشرفون على الحجاز . وفي عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م ، جيء بالحسين بن علي الى اسطانبول ، تصحبه أسرته وأبناؤه الثلاثة ، ليكون تحت مراقبة الأتراك ، ولكي يقل تأثيره المتعاظم في الحجاز .وتمكن أبناؤه علي ، وعبدالله ، وفيصل ، وزيد الذي ولد في اسطانبول ، من تعلم لغة الأتراك وثقافتهم خلال خمس عشرة سنه قضتها أسرتهم في اسطانبول .وفي عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م ، أعيد حسين أثناء ثورة تركيا الفتاة ، إلى الحجاز وسُميَ شريفاً لمكة بموجب أمر سلطاني . وقد أهلته فطنته السياسية ، وخبرته الدبلوماسية المستوحاة من الباب العالي ، لأن يهيمن على الحجاز . لكن أهدافه لم تتضح قبل عام١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، فهو يظهر مساندته للسلطات العثمانية ، وفي الوقت نفسه يخطط لارساء دعائم لحكم مستقل ، لقد خدم العثمانيين بطريقه ضمنت له حجماً أكبر .

وفي عام١٣٢٩هـ ـ١٩١١ / م ، وخلال ذلك المخاض السياسي الذي هزَّ الأوساط العربية من بيروت إلى الخليج العربي ، اختار ابن سعود – بسرية –

(م١) ينسب الأشراف الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكرم وجهه . [المترجمان] .

الجانب المناويء للأتراك[٣١] ، منتظراً الظروف المناسبة للاعلان عن ذلك . ولا يدخل ابن سعود في معرض حديثنا هُنا عن أصول الثورة العربية التي أشعلها الشريف حسين بوقود بريطاني[٣٢] . ولابد هُنا من دراسة العلاقات بين الشريف و ابن سعود ، لما لها من تأثير على سياسة أمير نجد ، خلال تلك الفترة وبعدها .

وفي عامي ١٣٢٨ ، ١٣٢٩هـ/ ١٩١٠ ، ١٩١١م ، بعد سنتين من عودته إلى الحجاز ، أسهم الشريف حسين مع الأتراك في إنهاء تمرد إمام اليمن يحي ، ومحمد الإدريسي صاحب عسير . وأسهم في رفع العلم العثماني باتجاه نجد ، وكاتب المعارضين لابن سعود . وفي صيف عام١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، طالب الشريف حسين، ابن سعود بدفع الإتاوة السنوية من إقليم القصيم ، وهي إتاوة - كما يقول - قد وجبت منذ ثلاثين سنة ولم تدفع .وقام بمراسلة أهل القصيم حضرهم وبدوهم ،يحرضهم ضد ابن سعود ، ويزين لهم الانضمام إلى المعسكر العثماني[٣٣] .

وفي مستهل عام١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م - وحسب فيلبي - أوعام١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، حسب الوثائق البريطانية [٣٤] ، تقدمت قوات الشريف حسين نحو نجد، وبلغت منطقه القويعية ، وكان يقطنها الفرع الرئيس من قبيلة عتيبة التي كان ولاؤها متأرجحاً .واشتبكت مع فرقة يقودها سعد بن عبد الرحمن ، أحد أخوة ابن سعود ، الذي وظف في هذا المكان رجالاً لجبي الزكاة ، وتأصيل الولاء لابن سعود . ولكن فرقة سعد منيت بهزيمة أمام القوات الشريفية التي باغتتها ، وأسرت سعداً . وكما أبداه ابن سعود للشيخ مبارك فيما بعد ، فقد كان مُضطراً للتعامل مع الشريف من أجل إطلاق سراح أخيه ، ودفع فدية كبيرة والقبول اسمياً بالسيادة العثمانية على حكومة نجد والقصيم .ولكن ابن سعود بعد تحرير أخيه ،تحلل من

التزامه ، لأنه حدث جراء الابتزاز والإكراه [٣٥] ، وأبلغ الشيخ مبارك في رسالة كتبها اليه ، بعزمه على شكوى الشريف الى السلطات البريطانية ، لكن مباركاً نصحه بألا يفعل ، لأن مثل هذه الشكوى ، ربما تدفع الأتراك الى تحريك الشريف في حملات جديدة نحو نجد. قال مبارك : «اليوم ، الباب مغلق . ولكن إذا فُتح من جديد ، حتى ولو قليلاً ، فالله وحده يعلم متى يغلق هذا الباب»[٣٦] وأخذ ابن سعود بتلك النصيحة.

و في ربيع الأول عام ١٣٣٣هـ/ يناير ١٩١٥م ، وحينما كان ابن سعود متجهاً للقاء ابن رشيد في جراب ، أخبرشكسبير ، بأنه لا يثق في الشريف حسين. وبعد أيام ، رأى شكسبير رسولاً من الرياض يصل الى معسكر ابن سعود ، يخبره بأن عبدالله نجل الشريف حسين ينوي التقدم بجيش الى الرياض ، مُستغلاً إنشغال ابن سعود مع ابن رشيد [٣٧] ، لذا قرر ابن سعود أن يشن معركة في جراب على ابن رشيد في أسرع وقت ممكن ومن ثَّم العودة الى الرياض. ومحاولة عبد الله بن الحسين اختراق غرب نجد لا تختلف في أسبابها عن حملة أبيه عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، من أجل ضم عتيبة تحت اللواء الشريفي. بعد رجوع ابن سعود الى الرياض ، بعث رسولاً الى عبد الله بن الحسين في فصل الخريف ، فتقهقر عبدالله إلى الحجاز .ثم إن ابن سعود فاوض السلطات البريطانية من أجل التوقيع على معاهدة تحالف ، وهدد في حال أن هذه السلطات لم تقيد تحركات الشريف ، بأنه سيتولى ذلك بنفسه [٣٨] .

وهنا نتساءل لماذا لم يتم في خريف عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م توقيع معاهدة بين بريطانيا وابن سعود أو الشريف حسين. والجواب الصحيح هو أن ابن سعود أدرك ميول الشريف ، حين عرض عليه الانضمام الى الجانب البريطاني ، كما أن

ابن سعود يعتبر المناطق الغربية لنجد تابعة له ، وأنه سيصد أي إختراق شريفي لها ، وعلى المسؤولين البريطانيين مراعاة ذلك في مفاوضاتهم مع الشريف .

في نهاية عام ١٣٣٤هـ/ سبتمبر١٩١٦م ، تسلم ابن سعود رسائل عدة من الشريف يطلب اليه التحالف معه ومساعدته من أجل الثورة العربية .فأجابه ابن سعود بأن ما يتعلق بمساعدته ، فإنها تتحدد بمقدار امكاناته المتاحة . وبخصوص التحالف ، قال ابن سعود : إن للأشراف سوابق في إثارة القبائل الموالية لآل سعود، وتنظيم غارات في تلك الأقاليم التابعة له .لكن أمير نجد ، ابدى استعداده للتحالف مع الشريف ، شريطة أن يتعهد بوقف كل تدخل في ارأضيه أو لدى رعاياه .بعد ذلك كتب ابن سعود إلى كوكس يزوده بالتطورات ويُعلمه بعدم رغبته في الارتباط مع الشريف حسين [٣٩] ، الأمر الذي جعل إجابات الشريف تعج بعبارات السباب، متهماً ابن سعود بعدم التعقل ، فما كان من ابن سعود إلا أن أعاد الرسالة الصاخبة الى الشريف «لكي تتمكن من رؤية نفسك في السخافات التي كتبتها لي » [٤٠] . وفي أوائل عام١٣٣٥هـ/ ٥ نوفمبر ١٩١٦ ، أعلن الشريف حسين نفسه « ملكاً للعرب » بمباركة من وجهاء مكة . مما يعني أن النزاع واقع لامحاله بين الرجلين .

بعد اجتماع الكويت [٤١] عمدت السلطات البريطانية الى الضغط على الشريف حسين لكي يتبنى موقفاً أكثر تصالحاً مع حلفاء بريطانيا من العرب وبخاصة أمير نجد . فبادر الشريف بالكتابة الى الزعماء العرب المعنيين ومنهم ابن سعود[٤٢] . رغم الطابع الاحتفالي لاجتماع الكويت نهاية عام ١٩١٦م ،ورغم صدى الوسام الذي تقلده ابن سعود ، إلا أن ظلال الشريف حسين وابن رشيد ، كان مهيمناً على هاجسه [٤٣] ، أما ابن رشيد ، فمع أنه حليف للأتراك ، إلا أنـه لـم يستجب لدعوات العثمانيين الذين طلبوا منه مساعدة بغداد التي تعرضت عام

١٣٣٥هـ/ مارس ١٩١٧م ، لهجوم بريطاني . وبالنسبة للشريف حسين ، فإنه تلقى دعماً مالياً ومادياً من بريطانيا ، بلغ أكثر من مائتي ألف من الجنيهات شهرياً ، وأخذ يطالب بالمزيد لتحقيق هدفه المعلن وهو تعزيز الثورة العربية ، ولكنه في الحقيقة يكرس طمعه في وسط الجزيره العربية(٤٤) .

ظهر في قلب الجزيرة ، مثلث متصارع ،من ابن سعود ، وابن رشيد والشريف حسين، متزامناً مع الصراع العثماني - البريطاني ، وبالثورة العربية التي كانت أهميتها تفوق لدى الزعماء العرب المعنيين المجهود الحربي البريطاني ضد العثمانيين .علماً بأن ابن رشيد لم يتبعه كل زعماء شَّمر في تحالفه مع الدولة العثمانية ، مثل ضاري بن طوالة ، شيخ جماعه الأسلم من شمر ، قد أنضمو إلى معسكر بريطانيا عام ١٩١٦م . وسعود بن صالح السبهان نسيب أسرة آل رشيد قد أعلن كذلك أنه في صف بريطانيا ، مما شجع السلطات البريطانية على تحريض عدد من أولئك الذين كانوا مؤيدين للعثمانيين في الجزيرة العربية(٤٥) .

في ربيع عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م ، تبادل ابن رشيد وابن سعود رسائل سلام. لأن أمير حائل شعر بعزلة بعد الهزائم التي مني بها حلفاؤه العثمانيون في العراق ، فاقترح عليه ابن سعودالانضمام إلى حلفاء بريطانيا .إلا أن ابن رشيد كان لا يحبذ الوقوف مع بريطانيا ضد الأتراك .وكانت العلاقة مع ابن رشيد جوهر رسالة بعثها ابن سعود الى كوكس في العام نفسه :

« لم أرغب في التوقيع على سلام مع ابن رشيد لأسباب شخصية ، ولكن من أجل المصلحة العامة للعرب . وتاريخ علاقاتي مع آل رشيد معروفة تماماً لسعادتكم ... وستثبت الأيام للحكومة البريطانية أننا لا نعمل للدفاع لمصالحنا بأنانية ، بل نُراعي أيضاً مصالح صديقتنا » الحكومة البريطانية» و رغبة أصدقائها

مثل الشريف» (٤٦) . ولا شك أن ابن سعود يريد بهذه الرسالة طمأنة السلطات البريطانية حول نواياه .

خلال شتاء عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨-١٩١٧م ، حيث ألقت الهزائم المتتالية على العثمانيين بظلالها على اللعبه الثلاثية لسياسة الصحراء .فقد قام الشريف حسين ، وابنه ، عبد الله ، بنشاط دبلوماسي يرمي إلى عزل ابن سعود ، والارتباط بقبائل نجد ذات الولاء المتأرجح . وكان هذا التحرك قد بدأ في صيف العام نفسه ، حيث وصل عبد الله مع قواته إلى عشيرة ، إلى الشمال من المدينة . وحينما علم بوجود أمير حائل ، قرب مدائن صالح ، مكلفاً من الأتراك بحماية سكة حديد الحجاز . أرادعبد الله بن الحسين أن يغتنم الفرصة ليعرض عليه السلام والتحالف ضد ابن سعود ، وبخاصة أن علاقة ابن رشيد أخذت تتدهور مع العثمانيين (٤٧) .

وعلى صعيد آخر ، كاتب عبدالله بن الحسين – بناءاً على أوامر أبيه – كلاً من ضاوي ابن فهيد وهذلول ابن هذلول ، من شيوخ عتيبة ، من البادية التي تعيش بين الحجاز ونجد، وكذا مشاري بن ناصر وجابر بن عبد الله ،من شيوخ سبيع ، يقترح عليهم تحالفاً مع الشريف ضد ابن سعود الذي أصبح - كما قال لهم- معزولاً بعد أن وقع الشريف حسين سلاماً مع ابن رشيد ،وأخبرهم بأن ملك الحجاز وأمير حائل سيجتمعان قريباً لحل شؤون الجزيرة ، بل ذهب عبدالله الى أن يدعي بأن أباه قد التزم بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . في الوقت نفسه طلب الشريف من ابن عمرو أحد زعماء القبائل في القصيم ، التحالف معه (٤٨)، ولكن شيوخ عتيبة أطلعوا ابن سعود على رسالتي الشريف عبدالله اليهم ، فأرسل أمير نجد، في ١٥ أغسطس ١٩١٨م ، رسالة إلى الشريف حسين يخبره بأنه على علم بما يحيكه ضده، وعرض عليه هدنة ،و الإبقاء على الوضع على ما هو عليه خلال الحرب

العثمانية - البريطانية .وبعد الحرب تتضح الأمور في الصحراء ، ويأخذ كل زعيم حقوقه بعيداً عن المؤثرات الخارجية(٤٩) .

كما كاتب الشريف حسين الشيخ سالم ، أمير الكويت ، يطلب منه دعم العجمان ضد ابن سعود ، وبالرغم من الحصار الذي فرضته السلطات البريطانية ضد العثمانيين و حليفهم ابن رشيد ، فلم يتردد الشيخ سالم في تموين حائل وتمكين وفود ابن رشيدمن شراء الأسلحة والذخائر المهربة الى الكويت ، مجلوبة من المستودعات التي زودت بها السلطات البريطانية الشريف حسين دعماً للثورة العربية، ووزعها الشريف على قبائل وسط الجزيرة محاولاً احتواءها . ومارس بعض الأشراف أنفسهم عمليات تهريب الأسلحة ، وبيعها في أسواق الخليج العربي .بل إن ابن سعود نفسه ، كان يعترض طريق تجارالأسلحة المهربة على طريق نجد لشراء كميات كبيرة منها لتسليح الإخوان (٥٠) .

ونخلص الى أن سياسة الصحراء طرأ عليها تطورات إبان حقبة الصراع البريطاني - العثماني، فهي من جهة ، تمثلت بالمستوى الذي بلغه الشريف بفضل المساعدات البريطانية ، الأمر الذي جعله يهيمن على الأوضاع ، ويثير الاضطراب، لصالح بريطانيا ، مما ترتب عليه تغييرات مؤقتة على اللعبة السياسية في الصحراء ، واستبدال « السلطة » و « الولاء» بقواعد تقليدية للحكم القبلي ، معتمدة على التوازن الطبيعي في التمويل .ولقد اضطرابن سعود الى أخذ ذلك التطور في الحسبان ، و لزم عليه أن يكيِّف سياسته حسب الظروف .

٣) سياسة ابن سعود :

مثلما رأينا ، فالتوقيع على معاهدة مع بريطانيا العظمى عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م قد منح ابن سعود ضمانات بعدم اعتداء الأتراك ، وبخاصة على ساحل إقليم

الأحساء. كما حددت تلك المعاهدة طموحاته بإتجاه إمارات الخليج العربي ، وهي تطلعات قد أطرها ابن سعود نفسه ضمن الأهمية الاستراتيجية لتلك المناطق، في ظل المجهود الحربي البريطاني ، حريصاً على بقاء تأثيره في تلك المناطق . مركزاً أهدافه الاستراتيجية ،داخل الجزيرة ، الأمر الذي أدى الى اصطدامه بطموحات الشريف حسين. وجاءت انطلاقة الثورة العربية في الرابع من شعبان١٣٣٤هـ/ ٥ يونيو١٩١٦م لتحدث تغييراً في خريطة سياسة الصحراء ، بسبب تدفق المال والسلاح على شريف مكة من قبل السلطات البريطانية ، فسخرها لتقوية نفوذه وسط الجزيرة .

بين عامي١٣٣٤ ،١٣٣٦هـ/ ١٩١٦م ، ١٩١٨م ، ظهرت وسط الجزيرة العربية ، ثلاث قوى متصارعة: الشريف حسين وابن سعود وكلاهما حليف لبريطانيا ، والثالث ابن رشيد ، واستغلت كل قوة ، ظروف الصراع العثماني - البريطاني للانضمام الى إحدى هاتين القوتين ، والحصول على الدعم المالي .وكل واحد من الخصوم سيحاول التوقيع على تحالف مع الآخر ضد الثالث. ولاشك أن هزيمة العثمانيين ، ستسفر عن أمور جديدة تكسب سياسة الصحراء أهمية ، واحتياطاً فقد توقف ابن سعود- كما رأينا - عن تنفيذ رغبة السلطات البريطانية بالهجوم على حائل. وفي المقابل تجنب ابن رشيد خلال شتاء عام١٣٣٥هـ/ ١٩١٦ - ١٩١٧م تلبية طلب الأتراك في مساعدتهم لانقاذ بغداد. أما الشريف حسين ، فقد حركته المعونات السخية البريطانية على مسارين، ملقياً بقيادالثورة العربية على لورنس وأحد أبنائه ، بينما ركز همه على سياسة الصحراء مع ابنه الآخر عبد الله.

وفي اجتماع الكويت (٥١)، رحبت السلطات البريطانية بقبول ابن سعود شفوياً بمباديء الثورة العربية ، بغية استمرار المساعدة البريطانية له من مال

وسلاح. وفي ربيع عام١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م ، بعث الى ابن رشيد [٥٢] يحذره من الانضمام الى الشريف حسين . وسبق أن ساور ابن سعود الشك بوجود مؤامرة تركية ركناها الشريف وأمير حائل ، عندما تقدمت قوات شريفية نحو الرياض عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، وكان ابن سعود متوجهاً الى جراب [٥٣] . وبالنظر الى انضمام زعماء عشائر الى شريف مكة وأمير حائل ، وتخلي بعض زعماء شمر عن التحالف مع الأتراك [٥٤] فإن السلطات البريطانية أخذت تتطلع الى انضمام ابن رشيد إلى معسكرها ، ويمكن للتحالف الذي صنعه البريطانيون بين الشريف حسين وابن رشيد، بفضل الاغداق السخي ، أن يوجه ضد ابن سعود. وهذا بالطبع يعمل على عزل ابن سعود ، بينما ينعم ابن رشيد بما يقبضه من بريطانيا لقاء حل قضيته مع ابن سعود ، علماً بأن السلطات البريطانية لم تضمن حماية سلطة ابن رشيد ثمناً لتحالفه معهم. عندئذ وجد أمير نجد نفسه محاطاً بين شريف الحجاز ، وأمير جبل شمر ، وإمارت الخليج العربي ، حلفاء بريطانيا. ولم يبق أمام ابن سعود عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م ، سوى أمرين : إما استباق الشريف الى ابن رشيد واقناعه بالانضمام الى المعسكر البريطاني، وإما ضم جبل شمر وانهاء حكم الرشيد، وهو حل تميل اليه السلطات البريطانية .

لكن اتصالات ابن سعود مع ابن رشيد في ربيع عام١٣٣٥هـ/ ١٩١٧فشلت ، مما جعل ابن سعود يلجأ الى الحل الآخر ، ولكن كان عليه أن أن يحصل على ضمان من السلطات البريطانية يتمكن من خلاله من ضم جبل شمر والأراضي التابعة لابن رشيد إلى نجد. وإذا كان كوكس يرى أن على الحكومة البريطانية تقديم هذا الضمان لابن سعود [٥٥] ، فإن مكتب القاهره كان يخشى أن يؤدي ذلك الى تعزيز وضع ابن سعود مقابل الشريف حسين [٥٦] ، ولم يسطع فيلبي الموجود إلى جانب ابن سعود منذ بداية عام ١٣٣٦هـ/ نوفمبر م١٩١٧م ،أن يحصل له على

هذا الضمان ، سيما وأن حكومة الهند قد عارضت ذلك خوفاً من تعاظم قوة ابن سعود :

« نحن على ثقة من أداء واجباتنا نحو ابن سعود، ولكننا لا نرغب أن يمنحه كرمنا الامكانات التي تخل بتوازن القوى في الجزيرة العربية» (٥٧).

وفي ظل التحفظ البريطاني ، لم ير ابن سعود أيَّة مصلحة في القضاء على ابن رشيد ، طالما أنه لن يستطيع ضم أراضيه ، والحصول على اعتراف بذلك من قبل بريطانيا ، وبخاصة أن ابن سعود يتوخى الحذر من الشريف مخافة أن يجني ثمرة تعبه ، في حال توصل الشريف مع بريطانيا الى صيغة تخول له ضم جبل شمر .ومن الأفضل لابن سعود أن يترك ابن رشيد في جبله ، بدل أن يكون الجبل هدفاً للشريف حسين. وهذا ما أكده السير برسي كوكس :

« بقدر قناعة الشريف بأن وضعه لن يصبح أبداً ، بعد الحرب ، قوياً كما هو اليوم ، والأمر كذلك بالنسبة لخزانته وولاء القبائل له ، بقدر مايسعى جاهداً الى إضعاف خصمه ابن سعود ، وذلك بالتقليل من شأنه في أعيننا .كما أن استمرار العداء لن يتيح لابن سعود وضعاً قوياً بعد الحرب» (٥٨) .

ولمواجهة مثل هذا التطور ، قرر ابن سعود إتباع سياسة الأمر الواقع حفاظاً على مكاسبه ، فحاول أن يبقي الأوضاع كماهي ، ولم يسع الى الإضرار بجهود الثورة العربية التي يقودها الهاشميون ، سيما وأن بيده زمام سياسة الصحراء ، ولكنه رأى من المصلحة عودة الأشياء الى طبيعتها ، ومزاولة الروابط التقليدية من جديد . كل ذلك من أجل الحصول على المال والسلاح من بريطانيا نظير الاقلال من مطالباته. ونجح ابن سعود في أن يسخر هذه المساعدات في تدعيم وضعه في أقاليمه، والاستعداد الحربي لما بعد الحرب ، فسلَّح الإخوان ،وأصدر عام

١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، مرسوماً يقضي بأن تتبنى جميع قبائل نجد مبادىء الإخوان، واعتباره إماماً له جباية الزكاة منهم[٦٠].

أمضى ابن سعود السنوات التالية في تنظيم الإخوان، وتوطين البدو، وحفر الآبارفي الصحراء، وبناء هجر الإخوان في، اللصافة، والوسيطى، وقبة وغيرهما. يقول جلوب :

« من أجل استقرارهم، وقيامهم بشعائرهم الدينية، فرض ابن سعود على القبائل بناء القرى، وممارسة الزراعة، التي تتوافر في « هجر » توطين البدو، لكنها لاتشكل رافداً اقتصادياً مربحاً، وفكرة التوطين سياسية ترمي الى ضمان الإستقرار»[٦١].

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، كان في نجد، و الأحساء اثنتان وخمسون قرية، تضم أكثر من سبعين الف رجل، من الإخوان، يحملون السلاح، وخلال سنتين، نجح ابن سعود في تشكيل جيش أكثر انضباطاً، وتنظيماً، وحماساً، في العالم العربي في ذلك العصر، وهذا ما دعا ابن سعود لأن يقول لفيلبي عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م :

« ليس لدي إلا كلمة واحدة أقولها، ورجال مدججون بالسلاح، يحملون رايتي، ويفضلون الموت على الحياة، ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة، لايولون الأدبار»[٦٢].

وخلال الحرب، شغل ابن سعود بنزاعات قبلية، اضطر الى حلها، الأمر الذي جعل عدداً من الكتاب، يعتقدون أن ابن سعود في تلك الفترة كان معزولاً، ولم يكن مؤهلاً لتولي مسؤولية الثورة العربية كما فعل الشريف حسين[٦٣]. وهذا

تحليل غير منطقي ، لأن مشكلة العجمان التي عالجها من عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م حتى عام١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢ م ، وكذا مشكلة بني مرة ، قد اضطرتا ابن سعود الى فرض حركه الإخوان على تلك القبائل ، وهو قرار اتخذهُ بنفسه بسبب سياسة اعتمدها ، لا بضغط من ظروف محددة (٦٤) . وتحليله للوضع عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ، أقنعه بأن الحرب ضد العثمانيين ، لا تعنيه ، وهذا ما جعله يعمد الى سياسته الخاصة التي تحدثنا عنها .

لقد علل ابن سعود لفيلبي مهاجمة حائل عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م :

« تذكروا ، ليس بيني وبين ابن رشيد خلاف ، والعداء الحقيقي مصدره الشريف ، ومن حوله من المناوئين ، وقد عاتبني العلماء حينما أمرت الإخوان بعدم الرد بالمثل إذا هوجموا من قبل القوات الشريفية . وإنني أقول للإخوان : إطمئنوا ، وانتظروا ، وكل شيء مآله الى خير . ولكن يجب منع الشريف من مهاجمة أصحابي وممتلكاتهم .»(٦٥) . لقد أدرك ابن سعود أن خصمه الحقيقي كان الشريف حسين ، وأن شعور الشريف بالقوة والزهو ، مرده الى ماجناه في ظروف الحرب من مساعدات بريطانية ، دون أن يؤسس حكمه على قاعدة قبليه أو شعبية في الصحراء ، وعندما تجاوز نفوذه حدود المدن الحجازية ، أصبح خصماً خطيراً .

لقد أبدى ابن سعود تراخياً تجاه الشريف حسين ، مراعاة لظروف الثورة العربية ومجهودها الحربي تحت الإدارة البريطانية ، حفاظاً على مكتسبات معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م مع بريطانيا ، الأمر الذي أزعج مستشاريه القريبين جداً منه وحتى والده ، و أوساطاً من الإخوان(٦٦) . قال ابن سعود لفيلبي :

« لن تكون القطيعة الواقعة بيني و بين الشريف أمراً مفرحاً للأتراك ، ولكن ليس ثمة خصماً مكروهاً لدي كحسين » (٦٧) . وأضاف : « إذا رفضتم حمايتي من

أعدائي [الشريف حسين] ، فأنا إذاً حر في الدفاع عن نفسي بنفسي دون أن اكون محل اتهام بعدم الأمانة معكم .وكونوا واثقين – ولو تركتموني- أنني لن أثير قلاقل ضدكم لأن هذا سيكون في صالح الأتراك . إلا إذا انتصروا ، عندئذ أقول لك ما سوف أفعل ، فسآخذ حقي بيدي » (٦٨) .

كان وضع ابن سعود واضحاً . فطالما استمر الصراع فإنه سيعتبر نفسه مرتبطاً بالمجهود الحربي البريطاني ضد العثمانيين ، أي أن سياسته العربية ، داخل الجزيرة ، يجب الا تقوم على تفضيل الأتراك ، ولا أن تكون متناقضة مع مصالحه ، وتبقى غير فاعلة عسكرياً ولكن يقظة . وحين تسفر الحرب عن هزيمة الدولة العثمانية ، سيمارس ابن سعودسياسة الصحراء ، ويستعيد حقوقه ، ويتحرر من التزاماته تجاه الشريف ، ولن تتدخل بريطانيا لأن هذا شأن عربي .

ونضيف الى الأسباب الآنفة الذكر للعداء بين ابن سعود والشريف حسين ، أن الأخير وإن كان عربياً قحاً ، إلا أنه انغمس في حياة الترف ، وهذا النمط المعيشي موضع انتقاد من السلفيين ، الذين يرون الأبهة أسلوبًا غربيًا ، تثير حفيظة المسلمين الآخرين . أما الشريف في عيون الدبلوماسيين البريطانيين ، فيلخصه السير ريدر بولارد ، الذي كان القنصل البريطاني في جدة ، بقوله :

« تخيلوا شيخاً عربياً ماكراً ، كذاباً ، ساذجاً ، عديم الثقة ، عنيداً ، مزهواً ، متكبراً ، جاهلاً ، جشعاً ، طاغياً ، يتعامل فجأة مع كل القضايا التي لا يفهم فيها شيئاً ، وغير مؤهل لها . كل ذلك يجتمع في صورة حسين» (٦٩) .

ولذلك فالخصومة بين الشريف حسين وابن سعود تأخذ أيضاً طابعاً عقدياً ، يتمثل بمقاومة المد السلفي ، ولقد اختصر ذلك مبعوث من عتيبة ، حمل لابن سعود في بريدة ، رسائل عبد الله بن حسين إلى شيوخ عتيبة : (٧٠)« لو سلمت

لحسين نجداً بأكملها ، فلن تنتهي مطالبه ، وإن أخذ نساءك ، وأبناءك ورجالك ، فإنه لن يكتفي بذلك . إن عقيدتك هي التي تجعله يرضخ»(٧١) .

قبل ذلك بقرن ، تحطمت طموحات الدعوة السلفية بزعامة آل سعود ، على صخرة القوة العثمانية .أما عام١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م ، فإن الوضع قد تغير : فهناك قوة الإخوان المتحفزة للقتال ، ولم تعد الآلة العسكرية العثمانية ماثلة على المسرح العربي . ثم إن بريطانيا العظمى التي كانت سياستها في الخليج العربي دائماً عدم التدخل في الشؤون الداخلية للجزيرة ، صارت تتبع أسلوباً متنوعاً(٧٢) ، وعلى أي حال فبريطانيا العظمى ليست قوة مسلمة كما يقول بوش(٧٣) ، واكتشفت الحكومة البريطانية عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م أن الحرب بالنسبة لابن سعود قد بدأت لتوها مثلما هو الحال بالنسبة للشريف حسين ، وابن رشيد ، والإدريسي في عسير ويحيى في اليمن . وتفرغت بريطانيا العظمى التي خرجت من الحرب منتصرة على الدولة العثمانية ، للتدخل في سياسة الصحراء . فهل قدر ابن سعود على تسنم مكان الشريف في قيادة ثورة عربية لاتبدأ من الحجاز ، بل تنبعث من قلب الجزيرة العربيه؟ هذه الثورة ، كما ثمنها بوش كانت نجاحاً عسكرياً كبيراً لمصلحة بريطانيا(٧٤) . ويجب أن نعلم أن ابن سعود لم يقاتل أبداً من أجل قضية أخرى سوى قضيته . بينماالشريف حسين أراد من الثورة العربية تحقيق مصالحه ولكنه لم يعرف في الوقت المناسب ، كيف يحصل من بريطانيا على اعتراف بقضيته في ظل معاهدة رسمية وموقعة ، فهو تعهد دون معاهدة ، في حين أن ابن سعود حظي بمعاهدة ، لكنه لم يتعهد . وهنا يكمن الفرق بين الرجلين في الخصائص الدبلوماسية والسياسية .

وربما أن السلطات البريطانية لم يكن في مقدورها القيام بدور مطلق مع ابن سعود كما هو الحال مع الشريف حسين . لأن ابن سعود يسير وفق برنامجه الخاص

الذي حدده منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، في محيط امكاناته وقدراته ، دون أن يقحم نفسه في ميدان الثورة العربية ، فكان لزاماً على الحكومة البريطانية أن تتوصل معه الى قاعدة تفاوضية مشروطة ، هي أكثر حزماً و تحديداً من تلك التي أسست عليهاعلاقاتها مع الشريف حسين . وابن سعود يدرك أن أهميته أقل بالنسبة للمصالح المتعلقة بالصراع التركي - البريطاني ، وهذا ينعكس على مفاوضاته مع العثمانيين أو البريطانيين منذ عام١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م حتى عام١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م ، فهو لم يطلب مطلقاً الاعتراف بحكمه فحسب دون أن يجني مكاسب أقليمية أو سياسية ، ولكن امكاناته المحدودة تحد من طموحه أحياناً ، فيضحي في سبيل الأعتراف ،بجزء من سيادته ضمن حركة تكتيكية واستراتيجية ، وهذا فرق آخر بين الرجلين . إن اختيار بريطانيا للشريف حسين ، كان اختيار « الممكن الأفضل» من الناحية العسكرية ، أما من الناحية السياسية فليس هذا مجاله .

وحسب كوكس في العقير ،وفيلبي في الرياض ، لم يبد ابن سعود تساؤله حول اختيار بريطانيا الشريف حسين ودعمها له على هذا المستوى ، ولم تختاره هو . ولم يكن له إلا أن يشكو الى السلطات البريطانية تراخيها في كبح طموحات الشريف باتجاه وسط الجزيرة ، مُذكراً إياها بشروط معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، وَضآلة المساعدة المادية والمالية التي يتلقاها من بريطانيا ، مقارنةً بما خصصته للشريف(٧٥) .

لقد قوبلت السياسة المتراخية التي اتبعها ابن سعود بالنسبة للشريف برد فعل في محيطه مثلما رأينا . ولكنه استمر على تلك السياسة حتى نهاية النزاعات التركية ـ اليريطانية . وقد شخص السير ريجنالد ونجيت من مكتب القاهرة بصورة غير مباشرة أسباب سياســة ابن سعـود حينـما أرسل إلى « وزارة الخارجية » في عام

١٩١٧م قائلاً: يبدو أن سياسة الشريف كانت تتجه الى تأجيل مسألة العلاقات مع جيرانه طالما أن الخطر التركي على الحجازقائم ، وانتظاراً لقيام ابنه فيصل باختراق أراضي ابن سعود من الشمال . وهذا ماكان ابن سعود نفسه يشكك فيه ، ولو نجحت السياسة الشريفية لألفى ابن سعود نفسه في وضع سيء .ولكنه أفاد من الانبعاث والتجديد السلفي كما وصفته مختلف المصادر المستقلة ، في مواجهة التمدد الشريفي(٧٦) . لم يخطيء وينجت في تشخيص سياسة ابن سعود ، ولكنه مندهش من ملاءمة هذه السياسة مع ظروف المنطقة ، وبخاصة مع سياسة الشريف حسين المتناغمة تماماً مع المصالح البريطانية .

وأخيراً ، فيمكن تعليل امتناع ابن سعود عن الارتماء داخل المعسكر البريطاني حليفاً للشريف حسين ، ضد الدولة العثمانية المسلمة ، و ابتعاده عن جو الثورة العربية ، بأنه لا يريد أن يعرض نفسه - بعد هزيمة متوقعة للعثمانيين - الى لوم قاس من المسلمين ، وبعض العرب ، الذين اتهموا الشريف والهاشميين بخيانة الدولة العثمانية المسلمة(٧٧) . ولم يتسبب انضمام ابن سعود إلى المعسكر البريطاني عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، في إثارة جزء من الرأي العام العربي الذي ظل وفياً للعثمانيين ، أما الشريف فقد استدارت سياسته من جهة الأتراك عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، الى جهة بريطانيا بين عامي ١٣٣٤ ، ١٣٣٦هـ/ ١٩١٦ ، ١٩١٨م ، وقصارى القول إن ابن سعود لم يكسب أي مصلحة إقليمية أو سياسية بعد الهزيمة العثمانية ، و من المؤكد أن الأمر كذلك بالنسبة للهاشميين .

هوامش الباب الثاني

الفصل الأول

(١) Amin Rihani, Ibn sa'ud of Arabia, op. cit., p. 207.

(٢) عن الإخوان انظر: John S. Habib Ibn Sa'ud's Warriors of Islam,

(٣) Alois Musil, Arabia Deserta. A Topographical Itinerary, New York, American Geographical Society, Oriental Exploration and Studies, no 2, 1927. p. 427.

(٤) Philby, Arabian Jubilee,op. cit., p. 21-22.

(٥) H.R.P. Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., p. 149.

(٦) Alois Mousil, Arabian Deserta. op. cit., p . 427.

(٧) Philby, Draft Report on Najd Mission, Philby's Papers Box XV. File 5.

انظر أيضاً:

Cheikh Hafiz Wahba , Arabian Days, London, Arthur Baker, 1964, Ch. VII, pp. 125-145.

(٨) W. G. Palgrave, Narration of Year's Journey through Central and Eastern Arabia, 1862-1863. London, Macmillan , 2 vols, 1865 .

وأيضاً انظر طبعة عام ١٨٧٣ من هذا الكتاب:

Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia, 1862-1863. London, Macmillan , 1873. p .244.

(٩) Draft Report on Najd Mission, op. cit.

(١٠) Sheikh Hafiz Wahba , Arabian Days. op, cit., p. 128.

(١١) T. E. Lawrence, Seven Pillars of Wisdom: A Triumph., op. cit., p. 41

(١٢) Rom Landau, Search For Tomorrow, London, Nicholson and Watson, 1938, p. 86-87.

(١٣) H.R.P. Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., p. 248.

الفصل الثاني

(١) Note du 1.O. au F.O. 27 Juin 1914, no 28966, F.o. 424/252.

(٢) Memorandum on British Commitments to Bin Sa'ud, 16 Nov. 1918, no 11820, F.O. 371/12244.

(٣) Ibidem.

(٤) رسالة الشيخ مبارك الى ابن سعود في ٩ أكتوبر ١٩١٤ . في :
Winstone, Captain Shakespear, op. cit., pp. 169-197
Memorandum on British Commitments to Bin Sa'ud, op. cit.

(٥) Memorandum on British Commitments to Bin Sa'ud, op. cit.

(٦) Ibidem.

(٧) Ibidem.

(٨) Memorandum on British Commitments to Bin Sa'ud, op. cit.

(٩) Ibidem.

(١٠) رسالة نائب الملك الى سكرتير الدولة لشؤون الهند ، في ١ أغسطس ١٩١٣ :
no 22076/35805, F.O .371/1820.

(١١) UK Memorial II. Annexe B, no 30,
رسالة من حكومة الهند الى سكرتير الدولة لشؤون الهند في ٢ أغسطس ١٩١٣ .

(١٢) انظر الفصل الرابع من الباب الأول.

(١٣) نشير الى أن الاتصالات العثمانية استمرت مع ابن سعود حتى عام ١٩١٨ ، انظر على سبيل المثال الرسالة التي بعثها ابن سعود الى فخري باشا يطلب سلاحاً وذخيرة في ٣ أيلول ١٣٣٤هـ/ ديسمبر ١٩١٥ , انظر أيضاً رسالة من فخري باشا والي المدينة الى ابن سعود يخبره بوفاة الخليفة في ٣ شوال ١٣٣٦هـ/ ١٢ يوليو ١٩١٨ : انظر كذلك رسالة بعثها شيوخ عسير الى ابن سعود ، كتبت- فيما يبدو- بايعاز من السلطات العثمانية ، يطلبون منه الانضمام الى المعسكر العثماني. وذلك في ٣ رمضان ١٣٣٦هـ/ يونيو ١٩١٨م.
Philby's Papers Box XV. F.2.

(١٤) Memorandum on British Commitments to Bin Sa'ud, op. cit.

(١٥) Ibidem.

(١٦) Ibidem.

(١٧) حول التعديلات التي أجرتها السلطات البريطانية على مشروع المعاهدة ، انظر :

Memorandum on British Commitments to Bin Sa'ud, 16 Nov. 1918, op. cit

وهذا حدث بعد مقتل شكسبير في معركة [جراب]، وعن ذلك انظر :

Winstone, Captain Shakespear,op.cit.,pp. 206-218

(١٨) Memorandum on British Commitments to Bin Sa'ud, op. cit.

(١٩) انظر ملحق (٢).

(٢٠) G. Troeller, The Birth of Saudi Arabia., op. cit., p. 85-89.

(٢١) انظر ملحق (٣).

(٢٢) وردت في Memorandum ، مرسلة من الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الى نظيره في بغداد، في ٥ يوليو ١٩٢٠م. انظر :

no 6317, P.S.D.S.F. India Office Records 6499/1920.

(٢٣) Kelly, Eastern Arabian Fronters. opp.cit.

Muhammad Morsy Abdullah , The United Arab Emirates. A Modern History. oP. cit. , pp. 180-218 .

(٢٤) Gary ,Troeller, The Birth of Saudi Arabia. op. cit. p. 89-90.

أكد المؤلف في صفحة ٩٠ أن المعاهدة التي وقعت ، حملت وجهة النظر البريطانية .

(٢٥) B.C.Busch, Britain, India and the Arabs,1914 - 1921, Berkeley Los Angeles, and London University of California Press, 1971, .p. 235.

نشير هنا الى أن بوش يميل الى رأي ترولار في أن معاهدة سنة ١٩١٥ كانت في صالح بريطانيا .

(٢٦) في مكة ، صرح ابن سعود في يوليو ١٩٢٥ ، أمام وفد من حجاج الهند ، بأنه مستقل في بلاده ، ولا يستطيع أحد التدخل في شؤونه : «نعم أمضيت معاهدة مع قوة أجنبية ،

ولكن ذلك لمصلحة وطني ، وهو أمر معروف منذ عهد الرسول وخلفائه ، ولم يحدث أن سمحت لأجنبي أن يتدخل في شؤوني. إنني أضحي في سبيل ديني». انظر: جريدة أم القرى ، عدد ٢٠ يوليو ١٩٢٥.

(٢٧) Philby, Saudi , Arabia, op. cit., p. 413-427.

(٢٨) انظر المرسالة بين الشريف حسين وماكماهون في :

George Antonius, The Arab Awakening. op. cit., Appendix A, pp. 413 - 427.

(٢٩) انظر هامش ٢٤ و ٢٥.

الفصل الثالث

(١) تقرير عن مؤتمر الرياض بين ابن سعود والإخوان ، بعث به الشيخ عبدالرزاق من آل سعيد من الظفير ، الى جون جلوب . انظر تقرير جلوب المؤرخ في ١٧ نوفمبر١٩٢٨ الى مستشار وزارة الداخلية ، بغداد، بعنوان:

Intelligence from Najd, no 114, F.O. 371/13713, p. 4.

(٢) قالها بدوي من عنزة لموزيل عام ١٩١٤ :

Alois Musil, , Arabia Deserta. op. cit., p. 426.

(٣) انظر ماكتبه جلوب عن اختيار بريطانيا بين ابن سعود والشريف حسين ، وحديثه عن أهمية شكسبير ، في كتابه:

J.B. Glubb, Britain and the Arabs , London, Hodler and Stoughton, 1959, p. 59 -60.

(٤) Philby, Arabia, London, E. Benn .1930. pp. 233-234.

(٥) A.T. Wilson, Loyalties, op. cit., Vol, I, p. 161.

(٦) انظر ماقاله فيلبي عن اختيار بريطانيا بين ابن سعود والشريف حسين في:

Philby's Papers Box VI. File 2.

(٧) Gary Troeller , The Birth of Saudi Arabia , op. cit., p. 81.

George Antonius, The Arab Awakening , op. cit., pp. 134 - 136.

(٨) Busch, Britain, India and the Arabs, 1914 - 1921, op. cit., p. 264.

وحول هذه المسألة انظر أيضاً:

Benoist-Mèchin, Ibn Saud ou naissance d'un royaume, Paris, Albin Michel, 1964, pp. 425 - 440.

(٩) انظر برقيات كوكس في " Arab Bureau " القاهرة ، ٨ و ٩ سبتمبر ١٩١٦ وبرقية ماكماهون عند Mamahon a` Grey في ١٣ سبتمبر ١٩١٦ :

no 4650, F.O. 371/2769.

(١٠) انظر رسالة كوكس الى حكومة الهند في ملحق الترجمة الملخصة لهذه الاتفاقية ، ١٣ يناير ١٩١٦ ، no 4650, F.O. 371/2769.

(١١) Amin Rihani, Ibn sa'ud of Arabia, op. cit., p. 57.

(١٢) انظر النسخ الأصلية لـ Shuckburgh مساعد سكرتير في الدائرة السياسية لوزارة الهند. ٣ أكتوبر ١٩١٦ ، no 4050,P.S.D.S.F., India Office Records 2182/1913.

(١٣) Arabian Report, 29 Nov. 1916, no 201201/24463, F.O. 371/2781.

(١٤) الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٠ ، جـ١ ، ص ٢٦ -٢٧ .

(١٥) Memorandum on Relations with Ibn Sa'ud, Jan. 1917, no 1458/35392, F.O. 371/3044.

(١٦) انظر فقرة « تطور سياسة الصحراء » في هذا الفصل .

(١٧) Appreciation of Arabian Report, 29 Nov. 1916, no 201201/ 24463, F.O .371/2781.

(١٨) Busch , Britain, India and the Arabs,1914 - 1921, op. cit., p. 248.

عن وضع ابن سعود ، انظر : برقية كوكس الى سكرتير الدولة لشؤون الهند في ٢٨ ديسمبر ١٩١٧ :

(١٩) no 3959/17, P.S.D.S.F. India Office Records 2182/1913

عن تفصيلات هذه المهمة االبريطانية ، انظر :

G. Troeller, , The Birth of Saudi Arabia. op. cit., pp. 107-108.

(٢٠) Philby, Najd Report, no 122, P.S.D.S.F., India Office Records 2182/ 1913.

(٢١) Philby, Arabian Jubilee, op. cit. ,p. 56.

(٢٢) انظر رسالة ابن سعود الى فيلبي في ١٦ شوال١٣٣٦هـ٢٣ / ٧ / ١٩١٨م:

(٢٣) Philby's Papers, Box. XV, File 2

(٢٤) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., p. 58.

(٢٥) Philby, Najd Report, op. cit.

(٢٦) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., p. 66.

(٢٧) Philby, Najd Report, op. cit.

(٢٨) انظر ، عبدالعزيز الرشيد ، تاريخ الكويت . الفصل الثامن . وانظر أيضاً:
Memorandum no 3508, 25.7.1916, P.S.D.S.F. India Office Records 2182/1913.

(٢٩) عن المفاوضات والأحداث التي سبقت إعلان الشريف حسين الثورة العربية ، انظر:
George Antonius, The Arab Awakening, op. cit.

(٣٠) رسائل ابن سعود الى كوكس في ٢٠ يوليو ، و١٥ أغسطس ١٩١٦ :
F.O. 371/2776.

(٣١) انظر بداية الفصل الرابع من الباب الأول.

(٣٢) George Antonius, The Arab Awakening. op. cit.
Zeine N. Zeine, The Emergence of Arab Nationalism, op. cit.
Tibawi, Anglo - Arab Relations and the Question of Palestine, 1914 - 1921, London, Luzac, 1977.

(٣٣) تقرير القنصل البريطاني في جدة موناجهان الى لوثر، في ١١ يونيو ١٩١٠ ،
no 23946, F.O. 424/224.

(٣٤) Philby, Saudi Arabia, op. cit., p. 257.
ورسالة شكسبير الى كوكس ، في ٦ نوفمبر ١٩١٠ :
no ,1906, L. F.I., India Office Records ,vol. 245.

(٣٥) رسالة شكسبير الى كوكس ، في ٦ نوفمبر ١٩١٠ :
no 1906, op. cit.

(٣٦) Ibidem.

(٣٧) Winstone, Captain Shakespear, op. cit., pp. 205-206

(٣٨) Committee on Imperial Defence, Historical Summary of Events in Territories of the Ottoman Empire, Persia and Arabia affecting the British Position in the Persian Gulf, 1907-28, Political and Secret Dep. Memoranda, India Office Records , L.P.S./18.

(٣٩) برقية من كوكس الى المكتب العربي في ٨ سبتمبر ١٩١٦ :
no 4650/183725, F.O. 371/2769.

(٤٠) رسالة من الشريف حسين الى ابن سعود، في ٥ سبتمبر١٩١٦ :
no 201201/24463, F.O.371/2781.

(٤١) انظر لقاء كوكس وابن سعود، في الفصل الثالث من الباب الثاني .

(٤٢) Appreciation of Arabian Report, 29 Nov. 1916, no 201201/ 24463, F.O. 371/2781.

(٤٣) Busch, Britain, India and the Arabs, 1914 - 1921, op. cit., p. 247.

(٤٤) A. Toynbee, Arabia , the Rise of the Wahhabi Power in Survey of the International Affairs. The Islamic World since the Peace Settlement, Vol: I, 1927, p. 273.

(٤٥) برقية .I.O. الى نائب الملك ، في ٩ يناير ١٩١٧ :
no 4541/8400, F.O. 371/3076.

(٤٦) برقية من ابن سعود الى كوكس ، في ٣ يونيو ١٩١٧ :
no 3699, P.S.D.S.F., India Office Records 2182/1913

وكذا رسالة من ابن رشيد الى ابن سعود، في ٢٠ مايو ١٩١٧ : المصدر نفسه .

(٤٧) Philby, Arabia of the Wahhabis, op. cit., p. 100.

(٤٨) انظر هذه الرسائل من عبدالله والحسين في أوراق فيلبي :
Philby's Papers, Box XV. File 5.

(٤٩) رسالة ابن سعود الى الشريف حسين ، في ١٥ أغسطس ١٩١٨ :
Philby's Papers, Box XV. File 5.

انظر أيضاً: Oriente Moderno, IV, 10, p. 647.

(٥٠) Philby, Arabia of the Wahhabis, op.cit., p. 32. and , Philby, Najd , op. cit.

(٥١) انظر « أثر الصراع البريطاني - العثماني » في الفصل الثالث من الباب الثاني .

(٥٢) انظر « تطور سياسة الصحراء » في الفصل الثالث من الباب الثاني .

(٥٣) انظر «تطور سياسة الصحراء » في الفصل الثالث من الباب الثاني .

(٥٤) انظر « تطور سياسة الصحراء » في الفصل الثالث من الباب الثاني

(٥٥) برقية من كوكس الى حكومة الهند، في ٢٣ ديسمبر ١٩١٧ :
no 675, F.O. 371/3383

(٥٦) برقية من وينجت الى .F.O ، في ٢٨ ديسمبر ١٩١٧ :
no 99430/242590. F.O. 371/3056.

(٥٧) برقية من نائب الملك الى .I.O ، في ٥ يناير ١٩١٨ :
no 2240/4279, F.O. 371/3389.

وانظر أيضاً إجابة .I.O ، على برقية نائب الملك في٩يناير١٩١٨ :
no 4541/8400, F.O.371/3076

(٥٨) برقية من كوكس الى حكومة الهند، في ٢٣ ديسمبر ١٩١٧ :
no 675, op. cit.

(٥٩) انظر رسالة كوكس الى ابن سعود، في ١٨ أكتوبر ١٩١٦ :
no 201201/24463,, F.O. 371/2781.

(٦٠) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., p. 153 and p. 244.

(٦١) Rapport of J. B. Glubb , A Note on Policy on the Najd Frontier,14 Jan.1929, 880, F.O. 371/13714.

(٦٢) Philby, Arabia of the Wahhabis, op.cit., p. 21.

في سنوات ١٩٢٠ ، بلغت هجر الإخوان أكثر من مائتي هجرة .

(٦٣) Gary,Troeller,The Birth of Saudi Arabia. op. cit. p. 91.

(٦٤) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op.cit.,p 157.
and Philby, Najd Report, op. cit .

(٦٥) Philby, Arabia of the Wahhabis, op. cit., p. 39. and Philby, Najd Report, op. cit.

(٦٦) Philby, Arabia of the Wahhabis, op. cit., pp. 102-103. and , Philby, Najd Report, op. cit.

(٦٧) Ibidem, pp. 21-22.

(٦٨) Ibidem , p.61.

(٦٩) رسالة السير ريدر بولارد الى السير ريان ، غير مؤرخة :
" Rayan Papers" Box VI, File 5.

(٧٠) انظر « تطور سياسة الصحراء » في الفصل الثالث من الباب الثاني .

(٧١) Philby, Arabia of the Wahhabis, op. cit., pp. 212-213.

(٧٢) G. Troeller, The Birth of Saudi Arabia. op. cit., p. 90.

(٧٣) Busch, Britain, India and the Arabs, 1914 - 1921, op. cit., p. 263.

(٧٤) Busch, Britain, India and the Arabs, 1914 - 1921, op. cit., p. 263.

(٧٥) Philby, Najd Report, op. cit.

(٧٦) برقية من وينجت الى .F.O ، في ٢٣ ديسمبر ١٩١٧ :
no 99430/242590. F.O. 371/3056.

(٧٧) انظر ماورد عن هذا الموضوع في كتاب خير الدين الزركلي .

الباب الثالث

مقدمة

قال ابن سعود : لن نتنازل عن شيء من حقوقنا . ولا نطالب بأكثر مما لنا من ملك أجدادنا . وعلى الانجليز أن يفهموا ذلك جيداً ، كما أن على الشريف وأبنائه أن يعوه تماماً. نعم ، أنا رجل ذو طموح بعيد ، ولكن ضمن شعبي ، وقومي العرب. ولكن الإنجليز يحولون بين القادة العرب ووحدتهم ، واستقلالهم . وإذا تظاهروا بسعيهم نحو توحيد العرب ، فإن وساطاتهم مشكوك فيها ومن النادر أن تنتهي إلى نتيجة متوخاة ، بل إن تدخلهم يزيد من الفرقة والتمزق . إنهم لا محالة يتدخلون وسيتدخلون سواءاً طُلب منهم ذلك أم لم يطلب ، وسيأتون سراعاً دعوا أو لم يدعوا . وعلى كل حال ، فسيتمخض عن ذلك عواقب شتى ، لقد أستدعوا إلى الكويت فلم تجن منهم شيئاً . وسأدافع بقوة وبكل صراحة ووضوح حين أكون قادراً على ذلك ، وإذا اضطررت الى التنازل عن حق من حقوقي مكرهاً فسأسترده - إن شاء الله - حينما أملك القوة . أقول ذلك بكل بساطة ووضوح(١) .

وفي شعبان ١٣٣٨هـ/ صيف ١٩٢٠م ، ضم ابن سعود إقليم عسير الجبلي ، الذي يقع جنوب الحجاز ، وفي صفر ١٣٤٠هـ/ نوفمبر ١٩٢١م ، دخل حائل وألغى سلطة آل رشيد من وسط الجزيرة العربية ، وفي صيف عام١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م ضم الجوف وسكاكا ووادي السرحان ، واقتربت مجموعه من الإخوان على بعد عشرات الكيلو مترات من عمّان . وفي ربيع الأول من عام ١٣٤٣هـ/ نهاية ١٩٢٥م ، أكمل ضم الحجاز وأزال الحكم الهاشمي . وبعد نهاية الصراع التركي البريطاني بسبع سنوات ، وجد ابن سعود نفسه زعيماً لأقاليم ، تشكلت منها «المملكة العربية السعودية » الحالية . والاسترخاء المفروض نتيجة حرب ١٩١٦م

إلى ١٩١٨م قد ولىّ. ويذهب بوش الى أن ابن سعود بعد الحرب بدا أفضل تسليحاً مما كان عليه عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م وذلك بفضل المعونات البريطانية وبفضل الأداة العسكرية المتمثلة بالإخوان(٢) .

بعد ما وضعت الحرب العالمية أوزارها عام ١٩١٨م، أخذت سياسة الصحراء تتجه نحو التكتل وبخاصة بين ابن رشيد حليف العثمانيين و الشريف حسين من أجل الانضمام إلى المعسكر البريطاني . وقد رحبت السلطات البريطانية بهذا التوجه الجديد لتنظيم التوازن في الجزيرة العربية لصالحهم ، وتحجيم طموحات السعوديين . وأوفد ابن رشيد مندوباً إلى العراق ليتفاوض مع جيرترود بل(٣) . لكن المفاوضات أجهضت بسبب الفوضى داخل أسرة الرشيد في حائل التي أدت في مجملها الى زوال حكمهم في وقت لاحق .

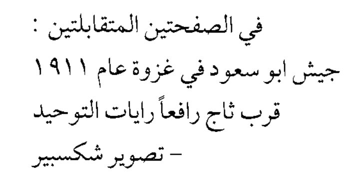
وكثف الإخوان وجودهم من الأحساء حتى عُمان . وهُيء لابن سعود دعاة يجوبون المنطقة ، لنشر المباديء السلفية(٤) . بشكل تلقائي ، دون اللجوء الى حركة سياسية مباشرة ، بسبب معاهدته مع بريطانيا العظمى . وقد سأل أمين الريحاني ابن سعود لماذا لا تتقدم بإتجاه سواحل الخليج بشكل حازم ؟ فأجابه ابن سعود: « نحن لسنا في حاجة البتة الى اعتماد هذا الأسلوب ولكنهم هم الذين سيأتون إلينا»(٥) ، مشيراً الى أن مبادئه تنتشر بعفوية مطلقة . وهـــذا ما أكده ابن ثاني شيخ قطر عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ، لديكسون المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ، من أن ابن سعود منذ الآن فصاعداً زعيم معترف به لجميع الساحل المتهادن وأن صداه يمتد حتى رأس الخيمة(٦) .

والذي تجدر ملاحظته هُنا ، أنه منذ نهاية الحرب ، سواءاً على الجانب الحجازي أو الخليجي أو باتجاه الشمال ، سيواجه ابن سعود قوة بريطانيّة تمنعه من الانتشار الذي سيقوى بسبب تصفية الحسابات الدبلوماسية بعد انتهاء الحرب التي ستمتد إلى ما بعد سني ١٩٣٠م .

ابن سعود مع السير بيرسي كوكس في البصرة
في نوفمبر ١٩١٦

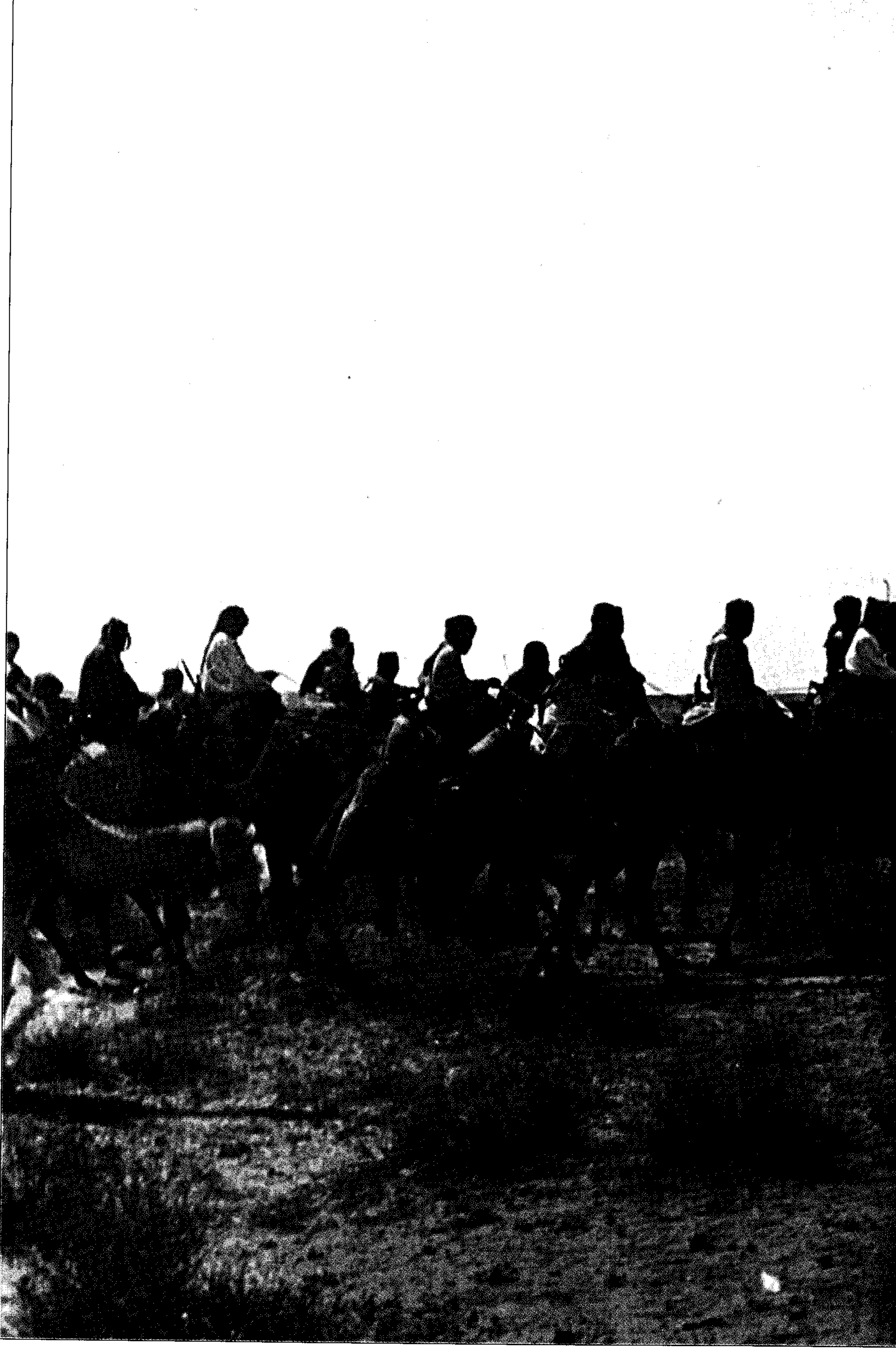


ابن سعود مع السير بيرسي كوكس في العقير
عام ١٩٢٢



في الصفحتين المتقابلتين :
جيش ابو سعود في غزوة عام ١٩١١
قرب ثاج رافعاً رايات التوحيد
– تصوير شكسبير





ابن سعود في نوفمبر ١٩١٦ يرافقه شيوخ قبائل جنوب العراق المحالفون لبريطانيا

ابن سعود مع بعض إخوانه وأبنائه أثناء الحرب العالمية الأولى . ويبدو الأمير فيصل بن عبدالعزيز الذي حكم في عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٥م الثاني من اليسار

الفصل الأول

قرارات ما بعد الحرب

١٣٣٧-١٣٤١هـ/ ١٩١٨-١٩٢٢م

١) الخرمة وتربة . الحال بعد الحرب

الخرمة وتربة كانتا واحتين تقعان على تخوم المنطقة الغربية لنجد حيث الحدود الشرقية للحجاز ، سكانها من البادية ، وقد كانتا خاضعتين للدولة السعودية الأولى تتراوح فيهما المباديء السلفية بين مد وجزر[١] . وكان الشريف خالد بن لؤي أمير الخرمة قد ناصر الإخوان عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م . فعزله الشريف حسين ، لأنه كان يخشى من تزايد المد السعودي باتجاه الحجاز ، وعين أميراً آخر ، ولكن خالداً رفض ترك الإمارة . إذا كان شريف مكة هو الذي يعين أمير الخرمة ، فإن هذا دليل على أن هذه الواحة - في عيون القبائل المحلية - كانت ضمن نفوذ الشريف . ومهما يكن من أمر فإن الخرمة داخلة في نطاق ابن سعود كحق من حقوق أجداده في تلك المنطقة مثل ماذكر فيلبي ، الذي قلل من شأن الخرمة في أن تكون سبباً مباشراً لتفاقم الصراع بين ابن سعود والشريف[٤] . وخشية من انتقام الشريف حسين ، طلب خالد بن لؤي من ابن سعود الحماية وحصل عليها . وفي عام ١٣٣٧هـ/ مايو عام ١٩١٨م ،أرسل الشريف حسين مفرزة عسكرية إلى الخرمة ، ولكنها نكصت على عقبيها مرتين أمام جحافل خالد

والإخوان . وبعث خالد برسالة الى ابن سعود يخبره عن نتائج المعارك ، وعدد الأسلحة التي استولى عليها هو والإخوان من فيالق الشريف حسين [٦] ، من جهة أخرى ، أبلغت السلطات البريطانية ابن سعود عبر فيلبي الذي كان متواجداً في نجد بأن عليه عدم تقديم أي عون إلى خالد بن لؤي ، وأن يوقف تدخله في الخرمة[٧] . فكتب أمير نجد إلى خالد يأمره بالامتناع عن مهاجمة أفواج الشريف لأن السلطات البريطانية ، ترغب ، - كما يقول - بتحاشي المواجهة بينه وبين الشريف ، ذلك لأن بريطانيا في حال حرب مع العثمانيين . وطلب ابن سعود من خالد إرسال الأسلحة والمدافع التي استولى عليها الى الرياض[٨] .

ولكن ابن سعود أجاب السلطات البريطانية محذراً :

«إذا انطلقت قوات الشريف نحو الخرمة مرة ثانية ، فإنه (ابن سعود) يعتبر بريطانيا في هذه الحالة غير راغبة في حماية مصالحها من هذا الاعتداء ، ولأن ابن سعود ملتزم بحماية أهل الخرمة ، وبدعم الإخوان أينما وجدوا ، فإن عليه أن يباشر مساعيه»[٩] .

ويأتي جواب ابن سعود لفيلبي مثيراً لأمرين : الأول أن ابن سعود يدافع عن واحة الخرمة باعتبارها جزءاً من أراضيه ، وأن ذلك مضمون بتعهد بريطانيا بالدفاع عن معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، ضد كل اعتداء . والثاني أن أمير نجد ملتزم بانقاذ الإخوان أينما كانوا، لأنهم سلاحه التكتيكي والسياسي في كل عملياته . يلخص ذلك عبارة قالها ابن سعود لديكسون عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م «الإخوان هم أنا »[١٠] .

وفي أغسطس عام ١٣٣٧هـ/ أغسطس ١٩١٨م ، وللمرة الثالثة ، تكبدت مفرزة شريفية هزيمة نكراء قرب الخرمة ، عندئذ قررت السلطات البريطاني عدم

ثني الشريف حسين عن الخرمة شريطة أن لا يوغل نحو الشرق في حال إستعادة الخرمة[١١] . أما خالد بن لؤي ، فإنه شرح لابن سعود بأنه لم يبادر بالهجوم ضد الشريف ، بل كان مضطراً للدفاع عن نفسه[١٢] .

وفي نهاية شهر أغسطس من العام نفسه ، كتب ابن سعود إلى فيلبي يخبره باستعداده لنقاش قضية الخرمة مع الشريف ، بحضور ممثلين بريطانيين ، مؤكداً على أنه لن يتنازل عن مسائل تمس دينه وكرامته . وأضاف :

« لا أتطلع إلا الى استعادة أملاك آبائي وأجدادي ، وكل ذلك مثبت بخرائطكم ، ومستعد لأناقشه معكم ، وإذا ارتأيتم تأجيل البحث في حقوقي حتى نهاية الحرب ، فلكم ذلك ، وسألتزم أنا وقبائلي بعدم انتهاك أي تفاهم ، شريطة أن تضبطوا أتباعكم و حلفائكم ورعاياكم من التطاول على حدودي . وفي نهاية الحرب ، وبعد النقاشات والاعتبارات للوقائع ، ينظر فيما في أيديكم من أراض لي ، فتعاد إلي ، وإذا كان لدي أراض لهم أُعيدها اليهم . وكل خلاف يتوقف عند هذا الحد »[١٣] .

وقبل أن يغادر فيلبي ، في خريف عام ١٩١٨ م ، أبلغ أمير نجد بأن السلطات البريطانية لا تستطيع إمداده بالبنادق الموعودة مقابل حملته على حائل التي أنتهت[١٤] . فكرر ابن سعود تحذيره على أسماع فيلبي مؤكداً بأن على بريطانيا - إن رغبت المحافظة على تحالفها معه - أن تزوده بالعتاد والمعونة . فإن لم تفعل ذلك فعليها - على الأقل - أن تحميه من غارات العجمان ، وابن رشيد و الشريف حسين . وإذا لم تقبل السلطات البريطانية أحد هذين المقترحين ، فسيعتبر نفسه حراً في اتخاذ ما يلائم مصالحه[١٥] .

وفي المحرم عام ١٣٣٧هـ/ اكتوبر ١٩١٨م تسلم ابن سعود من ويلسون المفوض الرسمي المدني في بغداد ، رسالة فيها خبر سقوط دمشق على يد الأفواج الأنجليزية والوحدات العسكرية العربية ، أمَّا الألف بندقية الموعودة كثمن لحملته على حائل ، فسترسل له (١٦) . وفي ١٥ نوفمبر من العام نفسه ، أبلغ ديكسون ابن سعود بهزيمة العثمانيين ، وأرسل له صورة من البيان الفرنسي ـ البريطاني . ولم يدرك ابن سعود مغزى ذلك البيان ، وظن أن بريطانيا ستلتزم بإعلان الحلفاء منح البلدان العربية ـ بما فيها نجد ـ حرية تقرير المصير (١٧) .

بعد أن توقف الصراع العثماني ـ البريطاني ، عمد ابن سعود الى أسلوب عملي مباشر ، فبعث الإخوان في عام ١٣٣٧هـ/ ديسمبر ١٩١٨م ، فهاجموا الخطوط الأمامية للشريف بالقرب من الطائف ، وفي ١٠ ديسمبر ، توجه ابن بجاد أمير الغطط ، إحدى المراكز الكبرى للإخوان ومجموعة من أفواجه الى مكة ، متظاهرين بأنهم في رحلة معتادة (١٨) . ولكن الشريف سارع الى طلب مساعدة بريطانيا ، وفي الوقت نفسه أرسل ابنه عبدالله على رأس جيش ، أما ابن سعود فقد عسكر في شعبان ١٣٣٧هـ/ مايو ١٩١٩م على بعد مائة وعشرين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من الخرمة ومعه اثنا عشر الفاً من الإخوان(١٩) . ومن هذا الموقع أرسل ابن سعود إلى السلطات البريطانية في بغداد يؤكد التزامه بتحالفه مع بريطانيا ، وأمر بتشكيل لجنة مكلفة لحل مسألة الحدود مع الشريف حسين(٢٠) ، بصورة تضمن مصالحه ومصالح الحكومة البريطانية . ويشبه هذا التكتيك الخطة التي مارسها مع الباب العالي عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م في القصيم ، وعام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م في الاحساء .

وفي ٢٤ شعبان ١٣٣٧هـ/ ١٢ مايو ١٩١٩م ، احتل عبدالله بن الحسين واحة تربة ، التي تبعد خمسين كيلومتراً عن الخرمة ، موهِماً أن نيته التقدم نحو

الخرمة . ولكن في رمضان ١٣٣٧هـ/ ٢٦ مايو ١٩١٩ ، تقدم خالد بن لؤي باتجاه الخطوط الأمامية وهاجم الأفواج الشريفية ففر عبدالله إلى مكة ، و أصبحت الطريق سالكة للإخوان ، غير أن السلطات البريطانية في بغداد تدخلت ، وأرسلت الى ابن سعود كتاباً وصله يوم ١٥ رمضان ١٣٣٧هـ/ ٣٠ مايو ١٩١٩م ، فحواه :

« إن حكومة صاحب الجلالة قد فوجئت بوصول تقارير مفادها أن مجموعة من الإخوان تقدمت إلى تربة في الحجاز . وترغب الحكومة تحذير ابن سعود رسمياً بأنه إذا لم يسحب قواته من الحجاز ومن منطقة الخرمة ، فستعتبر الحكومة ذلك موقفاً عدائياً مكشوفاً ضدها ، ويترتب على ذلك وقف المعونات المالية وكافة المزايا والمنافع التي جناها ابن سعود خلال توقيع معاهدة١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م»[٢١] .

وفي أقل من أسبوعين - وهو زمن قياسي إذا ماأخذنا بعين الاعتبار وسائل الاتصال آنذاك ، وكذا كون ابن سعود وقتئذ معسكراً في الصحراء - أبرق اللينبي إلى «وزارة الخارجية» في لندن يعلن قبول ابن سعود الإنذار و تحكيم بريطانيا في هذا الشأن . وأنه يتعهد بالعودة إلى نجد بشرط أن يحصل على ضمانات بوقف اعتداءات الشريف حسين على أراضيه ، و هذه الضمانات المطلوبة هي ماتعرف بمعاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م[٢٢] . بعد أيام أبلغ ابن سعود السلطات البريطانية بأنه سيعود إلى نجد لكي يستعد للحج في العام القادم ، وأكد حرصه على استقرار الأمور في الخرمة و الحجاز ، طالما أن الشريف حسين سيتوقف عن التدخل في شؤون هذه الواحة ،كما أكد ابن سعود على أن نيّته الحفاظ على الخرمة وتربة[٢٣] .

ولم يجد ابن سعود بداً من أن يجاري المصالح البر يطانية ، حتى يحافظ على ما اكتسبه من معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، ويضمن استمرارالمعونات المنتظمة

التي تصل إليه ، كل ذلك مقابل الانسحاب من الخرمة ، ولم يكن باستطاعته أن يستولي على الحجاز كله ، لأن الحكومة البريطانية أوضحت بشكل جلي تمسكها بالدفاع عن الشريف حسين ، وليس من الحكمة أن يخاطر ابن سعود بمواجهة عسكرية مع بريطانيا . وعلى أي حال ، فقد خرج ابن سعود من هذا الإختبار بنتيجتين : إحداهما أن الشريف حسين يعتمد على المساندة البريطانية اعتماداً كلياً، ولا يملك قوة تضاهي قوة الإخوان . والثانية : أن الشريف لا يتمتع بشعبية في الحجاز ، لذلك لا يستطيع إعاقة التقدم السعودي .

وفي ربيع عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م ، أرسلت «وزارة الخارجية» دعوة إلى ابن سعود لارسال أحد أبنائه الى لندن ، فأرسل ابنه الأمير فيصل الذي وصل لندن في الخريف من العام نفسه ، رافقه فيها أحمد الثنيان ، المتحدث الرسمي باسم ابن سعود ،وهو من فروع سلالة آل سعود ، فعرض ابن ثنيان المطالب الآتية باسم أمير نجد : (٢٤)

١- إن على بريطانيا حماية استقلالية ابن سعود والابتعاد عن التدخل في الشؤون الداخلية ، ويجب التطبيق الفعلي لمعاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م وبشروطها المؤكدة .
٢- يجب الاعتراف بحدود نجد بما فيها الخرمة وتربة ، وإذا لم يتم التوصل إلى إتفاق حول موضوع تلك الواحتين ، فإن ابن سعود سيدافع عنهما بنفسه ضد أي اعتداء .
٣- على الحكومة البريطانية أن تضع نهاية للحصار على الحج ، وأن تعطي الضمان لحجاج نجد بإمكان الذهاب إلى الأماكن المقدسة دون أي متاعب .
٤- على الحكومة البريطانية أن تزيد المعونات المقدمة لابن سعود بصورة مستمرة ومنتظمة .
٥- على الحكومة البريطانية أن ترسل شخصاً كمعتمد لدى ابن سعود .

ويمكن أن نتوقف عند المطلبين الأول والثاني : فالأول وهوالمتعلق بالشؤون الداخلية لابن سعود ، مغزاه العميق أن على بريطانيا احترام حقوقه الموروثة من أجداده ، وهو أمر متعلق بأهدافه الاستراتيجية . والثاني : وهو الخاص بقضية الحج، فحالة الحرب أدت الى منع الحجاج من الوصول إلى الأماكن المقدسة ، وعند توقف العمليات الحربية ، أبدى ابن سعود رغبته بترؤس الوفد النجدي بنفسه للحج القادم ، ولكن السلطات البريطانية وبسبب العلاقات بين أميرنجد وبين الشريف ، خشيت أن يترتب على ذلك ضعضعة للأمور .

ومن جهة أخرى ، فقد ارتاب ابن سعود من رفض الشريف حسين السماح لحجاج نجد بالمرور ، نكاية بما حدث في الخرمة ، وسداً لثغرة يمكن للإخوان أن ينفذوا منها الى الحجاز . وإذا كان أحمد بن ثنيان قد طالب الحكومة البريطانية باسم ابن سعود أن تضمن حماية القادمين من نجد باتجاه الأماكن المقدسة ، فإن ثمة دوافع دينية ، إضافة الى أسباب سياسية . فقد أظهرت مجريات الأحداث لابن سعود أن الحكومة البريطانية متمسكة بالشريف حسين ، الأمر الذي جعل ابن سعود يغير من استراتيجيته ، ويسعى الى أن يتصل مباشرة بسكان الحجاز من خلال مجموعات الإخوان التي تتمكن من دخول الحجاز خلال موسم الحج ، مما يترتب عليه تضاؤل شعبية الشريف عند مواطنيه ، وهذه الخطة لا يمكن أن تعترض عليها بريطانيا لأنها لا تحمل صفة الاعتداء المسلح .

وإضافة إلى ذلك ، وفي نهاية عام ١٩١٩م ، وبواسطة الإخوان ، امتلك ابن سعود ورقة رئيسة مزجت القوة العسكرية بالدعوة الدينية ، بخلاف أسلافه الذين الفوا أنفسهم أمام قوة عثمانية ، أمَّا عبدالعزيز فلم يكن يواجه عام ١٩١٩م ، إلا منافسين قدراتهم العسكرية أقل منه ، وأدرك أن القوة الأجنبية التي لها حقوق

مكتسبة في المنطقة ستكون سياسية وعسكرية ، ولن تكون دينية . لذلك حرص ابن سعود على عدم المواجهة مع بريطانيا بسبب مسألة الخرمة حفاظًا على مكاسب معاهدة عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥ م وإستمراراً لوصول المعونات إليه بانتظام، ورغبة في تحقيق بعض طموحاته . لذلك أبدى ابن سعود تنازلات شكلية مثل مشروع لقائه مع الشريف حسين ، الذي حاول البريطانيون تحقيقه ، و قبله ابن سعود من حيث المبدأ ، ولكن لم يحصل لقاء بسبب مماطلة الشريف (٢٥) ، وأظهر ابن سعود الامتثال المؤقت الذي يضمن له إستمرار المساعدة المالية االلازمة .

في صيف عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ، وصلت بعثة حج نجدية من اثنين وثلاثين حاجاً بقيادة أحمد بن ثنيان ، يرافقهم ضابط بريطاني من مسلمي الهند ، ناقشت مع السلطات الشريفية ـ برعاية بريطانيا ـ السلام بين الشريف وابن سعود ، ولم يتطرق المجتمعون الى قضية الحدود ، بل انتهى اللقاء بهُدنة موقعة بانتظار نتائج تحكيم بريطاني (٢٦) . ولم يقبل الشريف بتلك الهدنة ، ولكن البريطانيين أجبروه على توقيعها . وأعلن الشريف أنه لن يقبل ابداً بالتحكيم البريطاني الذي لايعترف بسيادته على الخرمة وتربة(٢٧) . وهذا موضوع انتهى بالنسبة لأمير نجد منذ الإنذار البريطاني في ٣٠ مايو عام ١٩١٩م وقبوله به . واستطاع أن يجمع المعلومات المهمة التي كان يبحث عنها . أما الجهود البريطانية لمحاولة المصالحة بين ابن سعود والشريف منذ صيف عام ١٩١٩م حتى صيف ١٩٢٠م ، فلم تكن سوى تغيرات طارئة ، يتعامل معها ابن سعود بشكل يضمن تحالفه مع بريطانيا ، ووصول المعونات.

وبالتكتيك نفسه الذي استخدمه ابن سعود عام١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م في القصيم، وفي عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م في الأحساء ضد العثمانيين ، نجح عام

١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م في مدّ أقاليمه بإتجاه الغرب عن طريق دبلوماسية الامتثال ، والقبول بالمفاوضات ، مع احتفاظه بمكاسب عامي ١٩٠٥ و ١٩١٣م . ونجح التكتيك من جديد في عام ١٩١٩م ، فقد ظل خالد بن لؤي مرابطاً في الخرمة مع الإخوان ، واستمرت المعونات التي كانت تقدمها السلطات البريطانية ، ومن خلال الاختبار العسكري ظهر تفوق الإخوان على الأفواج الشريفية . ومن جهة أخرى فإن الخرمة وتربة التي يسيطر عليهما ابن سعود بواسطة الإخوان ، تشكلان مشارف الحجاز ، ومحطتين مهمتين على طريق الرياض ومكة ، وتقع تربة على بعد ستين كيلومتراً من الطائف ، المقر الصيفي للأسر الكبيرة من مكة وجدة . والسيطرة على الخرمة وتربة من الناحية العسكرية والدينية خطوة تمهد لابن سعود ضم الحجاز .

ولم يكن ابن سعود غافلاً عما يدور حوله ، فقد كانت الأخبار تأتيه من مراسليه وبخاصة عبداللطيف المنديل التاجر الصيرفي النجدي المقيم في البصرة ، ومن «مُخبريه» في الحجاز وسوريا ومصر ، عن الترتيبات الفرنسية والبريطانية في سوريا وبلاد ما بين النهرين . في هذه الظروف التقى ابن سعود عام ١٣٣٨هـ/ يناير ١٩٢٠م ، في الأحساء ديكسون ، الذي كان آنذاك المعتمد البريطاني في البحرين(٢٨) . لقد تأكدت مخاوف ابن سعود من توسع الهاشميين في الشمال ، عن طريق تنصيب عبدالله بن الحسين في شرق الاردن ، وتنصيب أخيه فيصل على العراق . وانتقد ابن سعود على مسمع من ديكسون سياسة بريطانيا التي عززت التوسع الهاشمي على حسابه ، وأحرجه أمام شعبه الذي يلومه بمحالفة قوة تساند خصومه وتمنعه من التقدم نحو الحجاز بعد انتصاراته في الخرمة وتربة ، وتقيّد تحركاته نحو الخليج(٢٩) .

وأخبر ابن سعود المعتمد البريطاني ديكسون عن وجود خطة يدبرها الشريف لطرد الفرنسيين من سوريا والبريطانيين من كل الأراضي العربية التي يحتلونها . ومن ثم يسيطر الهاشميون عليها ، ويحرجون بذلك ابن سعود الذي سيفقد تحالفه مع بريطانيا في حال انضمامه الى الشريف ، أو يفقد شعبيته في حال وقوفه مع بريطانيا . وأضاف ابن سعود بأنه تلقى رسائل تأييد من كل مكان ، من مصر و عمان و حضرموت و اليمن و قبائل الساحل المتهادن ، و من شمر و عنزة ، حتى من سكان مكة المكرمة والمدينة المنورة ، قد عرضوا عليه المساعدة . ولكنه لم يجبهم على تلك الرسائل التي صدرت عن رعايا للانجليز .

ويحدد :

« و الحجاز نفسه كان فيما مضى خاضعاً لنجد ، ولم تكن نجد خاضعة للعثمانيين ، فكيف يمكن أن يكون أحد الرعايا القدامى قادرا على رفع شأن الشريف ومهاجمة أقاليم أجداد ابن سعود ؟ »[٣٠] وفحوى اللقاءات التي تمت بين ديكسون و ابن سعود تتمحور حول ضرورة انحياز بريطانيا اليه بدلاً عن الهاشميين . شارحاً لديكسون أهمية الدور السعودي في العالم العربي ومصداقيته . وهدد ابن سعود بأنه سيحارب الشريف حسين بالأسلوب الذي يراه في حال تأخر بريطانيا العظمى عن كبح جماح الهاشميين ، وإذا لم يسمح لأهل نجد بالحج[٣١] .

وبالعودة الى موضوع سوريا ، فإن من الملاحظ هنا أن ابن سعود قد استخدم تعبير «المسارات الشمالية لنجد» وربما أوحى ذلك بأن طموحاته تمتد إلى «باديةالشام» حتى حوران التي هي جزء من سوريا الكبرى[٣٢] . ولعل من المناسب هنا التعليق على الزيارة التي قام بها ديكسون لابن سعود ، بهدف التعرف

عن كثب على حركة الإخوان ، وهذا موضوع أبقاه ابن سعود طي الكتمان إذ لا يود الحديث عنه الى أجنبي ، وهذا ما فسره ديكسون بقوله : « إن أمير نجد لا يودّ أن نعرف أنه على رأس تلك الحركة مشجعاً وقائداً في سبيل تحقيق أهدافه»(٣٣) .

ويضيف ديكسون :

« لم تكن حركة الإخوان سيئة للغاية كما كنّا نعتقد ، ويبدو أنها كانت حركة مجددة نزيهة و سلفية ، ذات جهود نابعة من سكان وسط الجزيرة العربية نحو تصحيح أوضاعهم الأخلاقية والدينية ، وتنقية الإسلام مما شابه من مؤثرات من خلال الاتصال بالأوروبيين الذين يتوافدون على الجزيرة العربية . ولاشك أن حركة الإخوان كانت دفاعية ووطنية في جوهرها ولكنها في نهاية المطاف اتصفت بنفورها من الأجانب وبمحافظتها على الجزيرة العربية وبخاصة نجد عربية صرفة»(٣٤) .

وبشيء من الإعجاب ، فقد عرف ابن سعود كيف يستفيد و يوظف حماس الإخوان ، كما يبرز ذلك ديكسون من خلال الطرفة التي يرويها عن ابن سعود أمير نجد ، فقد برر ما يتلقاه من السلطات البريطانية من « إعانة شهرية » بأنها « جزية » تؤخذ منهم وهم كارهون ، فاستطاع أن يقنع الإخوان بأن ذلك فرض لا منة (٣٥) .

وفي أكتوبر عام ١٩٢٠م ، التقى ابن سعود بالسير بيرسي كوكس في العقير وطلب منه تفسيرات حول الأخبار التي سمعها عن نية بريطانيا تنصيب فيصل بن الحسين على عرش العراق ، وحول المفاوضات بين وفد ابن رشيد و جرتدير بل في العراق(٣٦) . وقد راوغ كوكس في إجابته وذكر أن موضوع فيصل لم يتقرر بعد(٣٧) أما مايتعلق بابن رشيد ، فلم يصرح كوكس بشيء ، بل ترك ابن سعود يستشف أن السلطات البريطانية فكرت في تقوية ابن رشيد كعامل توازن في الجزيرة(٣٨) .

وفي معان ، جنوب شرق الأردن ، وهو الإقليم الذي أُعتبر الحد الشمالي للحجاز ، حاول عبدالله بن الحسين مجاملة السلطات البريطانية لكي يوسع حكمه الهاشمي بمساعدة من مكة لم يدبرها له والده[٣٩] .

إذاً، فقد لاح في الأفق ، رسم جديد لخريطةالمستقبل العربي بدأت بريطانيا تنفيذها : ابن رشيد في الجزيرة ، وعبدالله بن الحسين في شرق الأردن ، وأخوه فيصل في العراق ، وإزاء هذا الواقع الجديد ، خشي ابن سعود أن يفرض عليه الحل الشامل الذي يمنح الهاشميين نصيب الأسد ، بينما يحتفظ ابن سعود بنجد فحسب. ويشبه هذا الوضع مامر بابن سعود عامي١٣٣٠هـ و١٣٣١هـ/ ١٩١٢م و١٩١٣م ، حينما تفاوضت بريطانيا العظمى والحكومة العثمانية على تقسيم مناطق النفوذ المشترك في الخليج العربي والجزيرة العربية دون أخذ رأيه . والى هذا يشير كوهن :

« إن تنصيب عبدالله بن الحسين على عرش شرق الأردن وأخيه فيصل على عرش العراق أدى إلى الالتفاف على ابن سعود ، الأمير الأقوى وسط الجزيرة العربية بالنسبة للهاشميين . و حيث إن ابن سعود يعتبر الهاشميين اعداءه الألداء ، فإن أي تطور لا بد أن يقود حتماً إلى كفاح حتى الموت »[٤٠] .

وأخيراً ، أدرك ابن سعود شيئاً فشيئاً أن البيان الفرنسي البريطاني الصادر في ٧ نوفمبرعام ١٩١٨م ، الذي أرسل إليه رسمياً[٤١] يبقى رسالة ميتة ، وتأكد شعوره بهذا من نتائج مؤتمر القاهرة ، التي أعلنت في مارس عام ١٩٢١م ومؤداها أن السلطات البريطانية قررت فعلاً تنصيب أبناء الشريف حسين ، فيصل وعبدالله على عرشي العراق وشرق الأردن[٤٢] : قال ميشيل بنوا :

« في كل بقعه كانت تتبع العثمانيين فيما مضى ، كانت إنجلترا تصنع فيها دولاً تابعة لها ، معادية لابن سعود . . وقد أدرك ابن سعود بمرارة أنه إذا كانت الدولة العثمانية قد ماتت ، فإن بريطانيا قد خلفتها في ممارسة السياسة نفسها»(٤٣) .

في يناير عام١٩١٨م ، طبقت حكومة الهند في الجزيرة العربية، السياسة التي كان يمارسها العثمانيون ، وهي ذاتها التي تنفذ في الهند ، وتتلخص بإيجاد التوازن من خلال لعبة القوى المختلفة بوساطة القبائل أو القادة المحليين ، الذين يعارض كل منهم الآخر . ولذلك كتب نائب الملك يقول :

« إن ابن رشيد ليس حالياً قادراً على إلحاق الضرر بنا بالحجم الكبير وهو يشّكل عقبة أمام لابن سعود ، وسينجم عن غيابه عن المسرح السياسي العربي نتائج سلبية ، وبقاؤه في السلطة يحقق توازن القوى بين ابن سعود والشريف »(٤٤) .

إن دراسة السياسة البريطانية في الشرق الأوسط والأدنى ، وتباين الآراء بين مختلف الأطراف في بغداد ، أو دلهي و القاهرة ، أو في لندن ، التي كانت كفيلة بتطبيقها، لم نطرحها هنا ، لأن ثمة دراسات عديدة تناولت بالتحليل تلك السياسة(٤٥) و يكفي هنا فحص الخصائص والأهداف التي كانت قابلة للتأثير على استراتيجية ابن سعود الذي لم يكن يعتبر شريكاً نشطاً يأخذ برأيه البريطانيون . إن هناك سياسة بريطانية تمارس في العراق وشرق الأردن ، أطلق عليها ترولر سياسة «صناع الملوك»(٤٦) .

كان على ابن سعود أن يدرك أن الحفاظ على توازن القوى بين مختلف القادة في الجزيرة هو ما كانت بريطانيا تسعى الى فرضه ، من خلال المعونات التي

تقدمها باستمرار زمن السلم ، و تجميد سياسة الصحراء وحرية حركة القادة العرب خلال الحرب ، وفي إطار هذا التوازن حرصت بريطانيا على توفير المكان الطبيعي لابن رشيد .

وأخيراً ، فإن الضمان لاستقرار النظام يكمن في تعريف الحدود المخططة في المفهوم الغربي ، و وجوب رسمها جغرافياً بخطوط تعترف بها كل الأطراف المعنية، وتتجاوز مفهوم الحدود المتأرجحة بين سكان البادية الذين يختلفون فيما بينهم(٤٧) . ويُقصد هُنا بالطبع النظام الفعلي الذي جاء ليتعارض مع طموحات ابن سعود . لذلك ، كان ابن سعود في النصف الثاني من عام ١٩٢٢م ، مضطرًا لاتخاذ بعض القرارات التكتيكية كرد فعل للتهديدات التي تشكّلها تلك السياسة البريطانية التي كانت عبئاً على استراتيجيته .

٢) قرارات عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م

ضم عسير وجبل شمّر :

بعد أن أعلنت بريطانيا نواياها في بيان ٧ نوفمبر ١٩١٨م ، وقررت إثره ترك الحرية للشعوب العربية لتقرير مصيرهم ، لم يشأ ابن سعود تقييد حركة الإخوان وهم سلاحه الذي يفسح له المجال في توسيع دائرته . ومن جهة أخرى أصبح أمراً جلياً عجز الهاشميين في الحصول على شرعية التحرك ، وكذا الولاء الشعبي ، وهذا تعرفه بريطانيا جيداً(٤٨) . وأصبحت لدى الهاشميين قناعة بأن احتفاظهم بسلطتهم معتمد على الدعم البريطاني ، فهم ـ على حد تعبير لورنس ـ في عزلة عن محيطهم(٤٩) . لذا ، أبقى ابن سعود سلاح الإخوان بيده ، فحقق بهم الوحدة الداخلية ، ولكنه أمام تفاقم الحماس لدى الإخوان أخذ يخطط لأهداف بعيدة .

فيصل الدويش شيخ مطير ، أحد القادة الرئيسين للإخوان ، أبدى ميلاً نحو الاستقلالية ، وتجاهل تعليمات ابن سعود الذي حاول كبح جماح الدويش(٥٠) . ذلك لأن الإخوان قوة عسكرية توجه حرابها نحو الداخل إذا لم تجد مشروعاً قتالياً في الخارج ، في الوقت الذي أصبح فيه ابن سعود أكثر فأكثر ملوماً بسبب تحالفه مع البريطانيين ، وتهاونه مع الهاشميين(٥١) . وأضحى الإخوان يتصورون أنفسهم هم المسلمون وغيرهم كافرون ، وأن مهمتهم نشر العقيدة الصحيحة . لذلك نجد ابن سعود قد وضع من تلك القوى حركة صَعُب عليه السيطرة عليها .

لم يجد ابن سعود بداً من التحرك في صيف عام١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ، لأنه أدرك أن مسألة الحدود التي أرجأتها اتفاقية عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م مع بريطانيا وأعيد بحثها في تاريخ لاحق ، دون استشارة ابن سعود ، قد مهدت لظهور قوى وتحالفات في المنطقة ، الأمر الذي يوجب عليه الاستعداد المبكر ، قبل أن يستشري خطرها . يشير ديكسون إلى أنه في صيف عام١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ، برزت مجموعتان رئيسيتان تتقاسمان السلطة في صحارى الجزيرة(٥٢) : الأولى شمالية من شمر و حرب والظفير وهتيم ، ومن مدائن صالح ، والكويت ،والزبير ، وهي منضوية تحت لواء ابن رشيد . والثانية مؤلفة من نجد والأحساء وعُمان ، والإدريسي ، ومن البدهي أن يدعم الشريف حسين جماعة الشمال .

بعد الأحداث التي شهدتها حائل في ربيع عام١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ، (٥٣) حاول آل رشيد لملمة سلطتهم الضعيفة ، وتحالفوا مع ابن سويط شيخ الظفير ، وإبراهيم شيخ الزبير ، وخزعل شيخ المحمرة ، و السيد طالب في البصرة ، وسالم أمير الكويت . هدفهم مقاومة حركة إخوان ابن سعود . واتصل الأمير سالم بالشريف حسين لينضم الى هذا التحالف . والتحقت بهم مجموعات من عنزة ، ومن مدائن صالح .

وقد رصد ابن سعود بعض المراسلات التي تمت بين سالم أمير الكويت والشريف حسين ، واطلع منها على معلومات عن ذلك الاتحاد (٥٤) . وإذا كانت إمكانات ابن سعود العسكرية ، متفوقة على قوات التحالف ، إلا أن التحالف يتمتع بمصادر مالية أكثر . يضاف الى ذلك ، أن المشروعات البريطانية وبخاصة تنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ، منح هذا التحالف دعماً ومساندة ، لأن فيصلاً سيقف مع جماعة الشمال ضد ابن سعود .

تتابعت الأحداث عام١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ، سواءًا على الصعيد السياسي البريطاني في المنطقة أو على المسرح السياسي للصحراء ، بشكل يهدد وضع ابن سعود ، الذي يعرف تماماً أن تحالف القادة العرب في الجزيرة العربية وليد النظام الجديدالذي رسمته السلطات البريطانية مع الهاشميين في العراق وفي شرق الأردن . الأمر الذي يطوق سلطته في نجد والاحساء ، ويحصره دائرة طموحاته . وفي تلك الظروف - كما يرى ديكسون - كان هم ابن سعود أن يحقق نصراً حاسماً على ابن رشيد قائد التحالف(٥٥) .

ضم عسير :

في عام١٣٢٩هـ/ ١٩١١م قاد السيد محمد الادريسي شيخ عسير تمرداً ضد العثمانيين ، وأقام له كياناً سياسياً في الإقليم . وخلال الصراع العثماني ـ البريطاني وقّع الإدريسي معاهدة مع بريطانيا ، تتعلق في المقام الأول بجزر فرسان الواقعة قبالة ساحل تهامة ، وهي ذات أهمية استراتيجية في البحر الأحمر . ورغم أنه تعهده بعدم التنازل عنها بيعاً أو إيجاراً ، إلا أنه حَظي بحماية بريطانية ضد الأتراك وخصميه : الشريف حسين وإمام اليمن يحي(٥٦) . وخلال التحركات العسكرية التي شهدها هذا الإقليم ، إحتلت قطع بحرية بريطانية ميناء الحديدة ، ومواقع

ساحلية في تهامة وجزر فرسان ، بينما ظلت تبعية شمال تهامة ونواحي القنفذة تتأرجح بين الشريف حسين والأتراك حتى عام١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، حينما استعاد الشريف السيطرة عليها . ولم يشكل الإدريسي - كما يقول ونجيت - أهمية لدى بريطانيا ، مقارنة بخصمه الشريف حسين ، ولم تأت المعاهدة الموقعة بين الإدريسي وبريطانيا إلا من أهمية جزر فرسان للملاحة في البحر الأحمر ، إضافة الى تخوف بريطانيا من الطموحات الإيطالية في المنطقة(٥٧) . ورغم هذه المعاهدة إلا أن بريطانيا عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م ، تركت الشريف حسين يحتل شمال تهامة حتى القنفذة(٥٨) . وهذا التوسع الهاشمي باتجاه الجنوب أثار قلق ابن سعود ، فبعث من جديد أزمة الخرمة وتربة ، واتجه نحو الحدود الشرقية للشريف لتحويل إنتباهه عن عسير .

وفي عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ، أوجس الإدريسي خيفة من طموحات خصميه : الشريف حسين وإمام اليمن يحي ، فاتجه الى ابن سعود ووقّع معه اتفاقية، ضمنت له الحماية السعودية ، في حين أن بريطانيا رفضت منحه الحماية ، وتمخض عن هذه الاتفاقية تقاسم ولاء قبائل عسير بين الإدريسي الذي احتفظ بالسيادة على تهامة حتى الحديدة ، وبين ابن سعود الذي اختص بالجزء الجبلي من هذا الإقليم ، فانتشر التأثير السعودي بين القبائل(٥٩) . وبموجب ذلك بعث ابن سعود ابنه فيصلاً للسيطرة على جبال عسير متحاشياً دخول تهامة حيث ترابط حاميات بريطانية . وبهذه العملية استطاع ابن سعود الالتفاف على الشريف الذي أقام في وجهه سداً نحو الجنوب بدءاً من الخرمة(٦٠) . وبهذه الحركة استبق ابن سعود أي تحرك مبيّت من الشريف أو الإمام يحيى ، دون أن يصطدم بالمصالح البريطانية ، وتمت له السيادة على معظم عسير بطريقة تلقائية .

الصراع مع سالم أمير الكويت :

وبموازة السيطرة على عسير ، وجه ابن سعود إهتمامه نحو الكويت ، فقد كان أميرها سالم يكره الإخوان ويستنهض ضدهم الشريف وابن رشيد ، واتخذ تدابير عدائية ضد ابن سعود . كما أن الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية قد اضعفت مكانة الكويت التجارية في الخليج ، بسبب الحصار الذي فرضته السلطات البريطانية على الكويت ، ولأن مسارات التجارة العالمية قد تغيّرت ، ولم يعد للإمارة عام١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م ، دور سياسي ، كالذي كان في عهد مبارك . وأدرك سالم أن الكويت قد دفعت الثمن غالياً مقابل دعمها لبريطانيا ، بينما استغل ذلك ابن سعود من أجل تقوية حكمه . وظن سالم أن بمقدوره إعادة الكويت الى سابق عهدها ، فأعلن عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩ م أن تكون الحدود التي تضمنتها الاتفاقية العثمانية - البريطانية عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م محترمة ، وتمنح تلك الوثيقة الكويت سيادة مباشرة على منطقة صغيرة حول المدينة ، وسيادة غير مباشرة تتمثل بحق جباية الضرائب من منطقة تمتدحوالي ٢٠٠ كيلومتر باتجاه الجنوب(٦٢) . وهذه المنطقة هي في الأصل تابعة لآل سعود(٦٣) .

بعد اعتداءات متبادلة بين الإخوان بقيادة فيصل الدويش شيخ مطير والقوات الكويتية ، طلب ابن سعود من ديكسون المعتمد البريطاني في الكويت أن تتدخل بريطانيا ، وإلا سيحل الأمر بنفسه(٦٤) . وقبلت السلطات البريطانية التحكيم في النزاع وأُخبر سالم أن الاتفاق العثماني ـ البريطاني عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م لم ينفذ لأن الكويت لم تكن طرفاً فيه ، وأن شروط الاتفاق قد استبدلت بالمادة السادسة من إتفاق عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م بين ابن سعود و بريطانيا(٦٥) ، وتنص هذه المادة على تأجيل النظر في حدود الإمارات الخليجية . بيد أن سالم قرر اللجوءإلى

القوة، دون جدوى ، ووافته المنية عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م ، وتسلم الحكم بعده أحمد الجابر الصباح الأبن الأكبر للحاكم السابق جابر .

كان أحمد قد عاش في نجد ، وكان صديقاً لا بن سعود ، ملتزماً بالسلفية ، ولهذا بادر فور تسلمه مقاليد الحكم إلى نشر المباديء السلفية ، فأعلن ابن سعود من جانبه نهاية نزاعه مع الكويت ، وأن لاداعي لترسيم الحدود بين البلدين [٦٧] . وبذلك أغلق ملف قضية ، كان الأمير قد استغلها ذريعة له لمقاومة المد الإخواني .

ضم حائل :

كانت علاقة ابن سعود بجابر أمير الكويت طيبة ، فركز اهتمامه على مقاومة ابن رشيد الذي قاد التحالف ضده . وحدث في حائل تطورات جديدة ، فقد أُغتيل سعود بن رشيد بيد ابن عمه عبدالله بن طلال . وبعد وقت قصير قام عبيد المقتول بقتل عبدالله بن طلال في مسرح الجريمة ، وتم سجن أخيه محمد بن طلال على يد عبدالله بن متعب الذي تسلم السلطة . يقول الريحاني :

« ترجع أسرة آل رشيد ، الى قبيلة شمر ، وقد حكمت المنطقة الجبلية المتاخمة لصحراء النفود وقاعدتها حائل ، وكان لدخول عبدالعزيز مدينة الرياض أثر في تدهور هذه الأسرة ، التي بدأ تصدعها الداخلي من جراء عوامل سياسية وعقلية ونفسية ووراثية [٦٨] . في القرن التاسع عشر كانت وفاة اثنين فقط من قادة آل رشيد طبيعيّة ، أما الآخرون فماتوا انتحاراً أو قتلاً في ساحة الوغى ، وسقط العشرات ضحايا مؤامرات عائلية على أيدي عشيرتهم الأقربين أو الأبعدين .

كان سنّ عبدالله بن متعب عندما تسلم السلطة في حائل ثمانية عشر عاماً حسب تقدير فيلبي [٦٩] وثلاث عشرة سنة طبقاً للوثائق البريطانية[٧٠] . ويضيف

فيلبي أن بعض الأسر الكبيرة في حائل سئموا من المشاجرات الداخلية بين أفراد آل رشيد وخشوا أن يكون صغر سن أميرهم ، وقلة خبرته مدعاة لابن سعود إلى التدخل ، سيما وأن عبدالعزيز كان يراقب الوضع عن كثب ، وقد بلغه من مندوبيه في بغداد أن فيصل بن الحسين في سبيله إلى تولي عرش العراق ، وبدا لفيصل أن مصلحته تكمن في شمّر . لذلك رأى ابن سعود أن يبادر ولا يضيّع وقتاً ، فأرسل أخاه محمداً ، يجوس خلال جبال شمّر ، ومعه فيلق من الإخوان .

وعلى صعيد آخر ، دعى ابن سعود إلى اجتماع كبير في الرياض ضم العلماء و زعماء البادية ، و جرى خلال هذا اللقاء مناداته بسلطان نجد وملحقاته ، فتقوّت معنوية ابن سعود ، وجهز حملة في رمضان ١٣٣٩هـ/ يونيو ١٩٢٠م بقيادة ابنه الأكبر سعود وبمساعدة أخيه محمد بن عبدالرحمن لمحاصرة حائل لكي يقطعوا الطريق على الإمدادات المحتملة من العراق ، لأن ثمة عناصر من شمّر غادرت إلى بغداد طلباً للعون من الملك فيصل بن الحسين . على صعيد آخر ، احتل نوري الشعلان شيخ الرولة الجوف ، ووادي السرحان ، و القرى الخاضعة لابن رشيد .

وفي محاولة لترتيب بيت الرشيد ، أطلق عبدالله بن متعب سراح ابن عمه محمد بن طلال بغية توحيد الأسرة الحاكمة ، ولكن محمد بن طلال رفع السلاح فور إطلاقه في وجه ابن عمه عبدالله الذي هرب مستجيراً بابن سعود ، فأمنه ، أما محمد بن طلال فقد نظم وسائل الدفاع عن حائل ، ولكن المدينة استسلمت بعد أن حاصرها ابن سعود بنفسه ثلاثة أسابيع ، وبقي محمد بن طلال معتصماً داخل قلعة حائل ، رافضاً الاستسلام ، ولكنه بعد شهر سلّم نفسه . وفي ٢٩ صفر عام ١٣٤٠هـ/ ٢ نوفمبر ١٩٢٠م ، إنتهى حكم آل رشيد . وضم ابن سعود منطقة جبل شمّر (٧١) .

وتشير الوثائق البريطانية ، الى أن الشاب عبدالله بن متعب وقّع اتفاقا مع ابن سعود في ربيع عام١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م . ونصّ هذا الإتفاق على الآتي :

أ) تكون العلاقات الخارجية لحائل من خلال ابن سعود .

ب) يكون ولاء سكان جبل شمّر لابن سعود .

ج) تكون إمارة حائل مستقلة ذاتيا بشؤونها الداخلية ، وتكون السيادة العليا لابن سعود .

ولكن توقيع هذا الإتفاق لقي بعض المقاومة ، ونشبت معارك متقطعة بين جماعات شمّر وأفواج الإخوان ، وأخيرًا ، سيطر ابن سعود على المدينة في ٤ سبتمبر عام ١٩٢١م (م١)(٧٢) . إن تقرير فيلبي ، وشهادة الوثائق البريطانية ، وتحليل تكتيك ابن سعود ، كل ذلك يسمح بتشخيص إرهاصات دخول حائل ، وما سبقها وصاحبها من قرارات(٧٣) .

وقبل عام١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م ، حاول الشريف حسين جذب آل رشيد إلى جانبه وفي عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ، تورط آل رشيد بالانضمام الى تحالف ضد ابن سعود دون أن يسبروا غور الشريف حسين فيما يتعلق بقيادة العملية الموجهة ضد الإخوان .

في عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ، وبداية عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م كان فيصل بن الحسين في طريقه الى عرش العراق بقرا ر بريطاني ، ومند ذلك الحين ، أخذ يفكر في مستقبل حدوده الجنوبية ، والجنوبية الغربية ، وأصبحت مسألة هذه الحدود همّاً من همومه - كما يقول فيلبي - وهذا ما علمه ابن سعود من وفده في

(م١) وهم المؤلف في تاريخ استسلام مدينة حائل والصحيح ماأورده سابقاً ، وما أثبتناه بالتاريخين الهجري والميلادي . [المترجمان]

بغداد[٧٤] . بل إن ابن سعود لم يستبعد أن تطال طموحات الأشراف جبل شمر كما شملت الحجاز والعراق ، ضمن برنامج التوازن في الجزيرة العربية الذي ترعاه بريطانيا . وربما كان انضمام آل رشيد الى المعسكر البريطاني والهاشمي - كما كتب كوكس في عام١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م - يحافظ على توازن القُوى في الجزيرة[٧٥] . أما ابن سعود فقد وجد نفسه لا داخل هذا المعسكر ولا خارجه ، وحرصاً منه على أن تخدم مصالحه طموحاته ، قرر تطويق الهاشميين ، وتفكيك التحالف القائم على التبعية للأشراف .

لقد كانت خطة ابن سعود ، شديدة الحساسية ، يلازم تنفيذها حذر وحيطة ، حتى لا يصطدم مباشرة بالمصالح البريطانية الأساسية . لذلك كان على ابن سعود ، التقدم عبر خطوط لا تتقاطع مع مصالح لبريطانيا العظمى ضماناً لبقاء تحالفه معها ، واستمراراً لوصول المعونات منها . كل ذلك يمضي ، وابن سعود متمتع برباطة جأش ، وبدبلوماسية تظهر للبريطانيين التزامه بتعهداته وتحالفه ، وفي هذا الإطار يمكن لابن سعود أن يخطو نحو مصالحه. ونجد هنا إحدى الصفات المهمة لسياسة ابن سعود بالنسبة لبريطانيا العظمى ، كالإخلاص الدبلوماسي مع رباطة الجأش مقابل تحالف موقّع والذي باحترامه سيسمح له بالمناورة على الأرض حتى الوصول إلى النقاط الحادة المتوترة التي تساعده في التقدم نحو مصالحه الخاصة .

ثم إن ضم حائل - بعد مسألة عسير - لا يمس المصالح المباشرة لبريطانيا ، بل كان خطوة نحو القضاء على التحالف المضاد ، في وقت كانت علاقات ابن سعود مع الهاشميين تمر في فترة حرجة . غير أن وقوف آل رشيد الى جانب الأتراك خلال الحرب حدا ببريطانيا أن تستبعد اعتبار آل رشيد قوة موثوقة ضمن سياسة توازن القوى في المنطقة ، وقد سخر ابن سعود هذا الموقف لصالحه ،

فأقدم بثقة على دخول حائل . كما أن بقاء سلطة آل رشيد مستقلة عن البريطانيين وعن الهاشمين ، جعلهم يحافظون على قوة تحمي استقلاليتهم ، مما أعطى ابن سعود مزيداً من التحرك ضد الشريف . ولكن في عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠ م بدا واضحا لابن سعود أن آل رشيد لم يعودوا قادرين تماماً على تجنب الوقوع في فلك الهاشميين المدعومين من بريطانيا .

إن الضعف الذي اعترى حكم الرشيد في حائل ، سهل عملية ضمها ، ولم يكن لدى ابن سعود أي داع دبلوماسي للتأجيل ، لقد كان لدخول حائل ضمن المنظومة السعودية أثر سلبي على وضع النظام الهاشمي ، الذي تسعى بريطانيا الى تثبيته في العراق وشرق الأردن . وتلخص حكومة الهند أبعاد المسألة بقولها :

« وبتوحيد نجد وجبل شمّر ، تضاعفت مساحة أقاليم ابن سعود ، وبلغ تأثيره الجزء الغربي لبادية الشام ،وقدمت قبيلة عنزة ولاءها له ، مما يمكنه من بسط سيادته على كل الصحراء الممتدة من العراق الى سوريا ، وكان على بلاد مابين النهرين الحذر من أي مصادمة مع ابن سعود . لقد استطاع ابن سعود أن يعيد مهابة عام١٢٠٦هـ/ ١٧٩٠م إلى الاذهان ، حيث خضعت شمر لآل سعود الذين كانوا آنذاك على مشارف مكة . أما اليوم فإننا نرى شمر تعيد خضوعها وولاءها لأمير من آل سعود»[٧٦] .

أما جرتيدبل فكان قد كتب إلى أبيه مايلي :

« ترتب على دخول ابن سعود حائل آثار بعيدة ، امتدت الى الأوضاع السياسية في شرق الأردن ، وربما الى الإتفاق الفرنسي-السوري . واليوم يبدو صعباً التكهن بمايسفر عنه ذلك من نتائج»[٧٧] . ويوضح هذان التعليقان بعض

دواعي إتخاذ ابن سعود قراره بضم جبل شمّر عام ١٣٣٩هـ١٩٢٠/ م . ويبدو من هذين التعليقين انضباط الرؤية - الى حدما - لدى كبار الموظفين البريطانيين . ولكن من المؤسف أن تحليلات البريطانيين واستنتاجاتهم حول حركة ابن سعود غير مكتملة . لأنهم لم يستوعبوا نتائج ضم حائل ، وهو حدث آلمهم كثيراً ، ولم يدركوا أن دخول حائل قد أوجد الأسباب التي دفعت أمير نجد الى إلحاق جبل شمّر . لقد كان ضم حائل - بالنسبة للسلطات البريطانية - الذي تم ما بين عامي ١٣٣٩هـ - ١٣٤٠هـ / ١٩٢٠ - ١٩٢١م حدثاً فجائياً بسبب عجز سلطة آل رشيد الذين هيئوا لابن سعود فرصة سانحة ،الأمر الذي لم يمكن الدبلوماسيين البريطانيين من رفع تقاريرهم ، فاستطاع ابن سعود أن يضم جبل شمر في وقت مناسب ، وهو بحق نتاج الصدفة أو ثمرة الظروف الملائمة .

وفي عام ١٣٤٠هـ١٩٢١/ م ، توسع ابن سعود شمالاً حتى وادي السرحان ، على الطريق المؤدية الى شرق الأردن والعراق ، وبادية الشام . عندئذ سارعت السلطات البريطانية الى فتح ملف الحدود مع ابن سعود ، وكانت اتفاقية عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، قد أجلت البت فيه بسبب الحرب ، مما أعطى ابن سعود حرية تحديد مستقبله . ومنذ تلك اللحظة ومابعدها وحتى نهاية معاهدتي بحرة وحدة ، التي حسنت علاقات ابن سعود مع العراق وشرق الأردن ، ومنحت سلطان نجد التصرف كيفما شاء ، بدأ ابن سعود يصنع استراتيجية التعامل مع المفاوضات وتأجيلها إذ لم يكن ثمة مناص منها ، والمحافظة على قوته التي مكنته من ضم حائل .

٣) الإخوان والحدود الشمالية :

وبضم حائل ، سيطر ابن سعـود على الإقليم الأخير من وسط الجزيرة ، هذا الجزء الذي لا يشكل أهمية في قائمة مصالح بريطانيا التي لم تشمل حمايتها أي سلطة محلية فيه ، ولكن أي تحرك عسكري لابن سعود سيصطدم لا محالة بمصالح الزعماء المحليين مباشرة ، أو مصالح بريطانيا فيما تحت حمايتها ، من إمارات الخليج ، أو الحدود الهاشمية : في الشمال حيث مملكة فيصل بن الحسين في العراق ، وإمارة عبدالله بن الحسين في شرق الأردن ، اللذين يحكمان منذ عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١ م ، تحت مظلة الإدارة البريطانية . والغرب حيث الشريف حسين في الحجاز(٧٨) الذي مازال يعيش في أوهامه ، رغم أن مساندة بريطانيا له قد ضعفت تدريجيا .

أما ابناه فيصل وعبدالله فقد أقاما حكمهما بقوة بريطانيا ، على أرض لا حدود لها ، وشعب لا ولاء له ، وهو أمر يتناقض مع القاعدة العربية في الحكم التي تقوم على ولاء قبلي ، ومدى جغرافي محدد . فلم تحظ سلطتهم بشرعية ولا شعبية ، بل أخذوا يحكمون من داخل قصورهم في بغداد و عّمان ، تحت حماية المستشارين والضباط البريطانيين ، ومحاطين بالمتملقين . وهكذا اتسمت ممالكهم بحماية امبريالية ، وحكومة شريفية مولدة من الترك والشراكسة . لا يحسنون عرض مطالبهم إلا من خلال لهجة مصحوبة بتعجرف .

في مؤتمر العقير ، في ربيع الآخر ١٣٤١هـ/ نوفمبر ١٩٢٢ م ، تفوه مندوب فيصل بهذه الكلمات :

«منذ أن خلق الله العالم ونحن الذين نسطر التاريخ ، وحدودنا العراقية تمتد الى ما دون الرياض عاصمة ابن سعود بثمانية عشر كيلومتراً ، ثم تتجه غرباً لتشمل

حائل والمدينة المنورة وينبع ، وشرقاً الى الهفوف والقطيف على الخليج العربي . والله يشهد أن حدود العراق صحيحة لا تقبل التفاوض »[٧٩] لقد أدى ضم حائل على يد ابن سعود ، وتنصيب فيصل وعبدالله ابني الحسين على عرشي العراق وشرق الأردن ، الى مرحلة جديدة من صراع طويل حول حدود شمال الجزيرة ، حيث الفرصة متاحة - كما يقول فيلبي - لأن يتوسع ابن سعود حتى الحدود الطبيعية للصحراء[٨٠] .

ولا شيء أكثر تحديداً آنذاك لحدود الصحراء ، من الحدود التي تعارفت عليها القبائل في حلها وترحالها ومائها ومرعاها . ومن خلال هذه القبائل أخذ ابن سعود يمتد شمالاً متحاشيًا الاصطدام بالبريطانيين أو حلفائهم الهاشميين . وهذه السياسة القبلية ، امتداد لاعتماد ابن سعود على « الإخوان » وهو تنظيم قبلي ، لديه القدرة على التحرك بحرية بين القبائل ، وكسب تأييدها ، وكذا شن الغارات الخاطفة ، إلا أن ابن سعود كان يضبط حركة « الإخوان » حتى لا يثيروا غضب بريطانيا . و حينما دخل ابن سعود حائل ، راعى مشاعر شمّر وضمن ولاءها ، وحافظ على ممتلكات السكان ، واستقدم أفراد أسرة آل رشيد إلى الرياض ، وأسكنهم في القصر الملكي ، وعاملهم كأفراد من أسرة آل سعود . بل إن ابن سعود تزوج امرأة سعود بن رشيد الذي صرعه عبدالله بن طلال . وبعد أمد تزوج ابنة محمد بن طلال ، وهذا الإصهار مكّن أسرة آل رشيد من الالتحام بأسرة آل سعود . ونشأ جيل من شباب الرشيد تربوا مع أبناء ابن سعود .

بعد ضم حائل ، وتولي فيصل بن الحسين ملك العراق ، تفجرت الأوضاع على تخوم نجد والعراق ، وانطلق الإخوان بقيادة فيصل الدويش شيخ مطير يخترقون القبائل الرئيسة التي ترعى في تلك المنطقة ، مثل العمارات ، والظفير والمنتفق ، وعندما استقر فيصل في العراق ، بادر الى شن غارات على القبائل

المتحالفة مع سلطان نجد مثل : شمّر وحرب ومطير والعوازم والعجمان[٨١] ، التي تغشى دائماً تلك المراعي في موسم الأمطار. وفي رجب عام ١٣٤٠هـ/ مارس ١٩٢٢م ، شنّ فيصل الدويش غارة شعواء على قبائل عراقية وتقدم داخل العراق . فتدخلت الطائرات البريطانية وأمطرت قواته بوابل من القنابل فتراجع[٨٢] .

ولمواجهة خطر الإخوان ، وجه برسي كوكس المفوض العالي البريطاني الدعوة إلى ابن سعود لحضور مؤتمر في المحمرة في مايو عام ١٣٤٠هـ/ مايو١٩٢٢م ، وذلك لمعالجة مسألة الحدود بين نجد والعراق[٨٣] . وقبل ابن سعود الدعوة وأرسل مندوباً عنه وزوده بالتعليمات المكتوبة حول قضية الحدود . هذه التعليمات ذكرها سلطان نجد لأمين الريحاني ، وتتلخص بالآتي :

« ١) عندما كانت أسرة آل سعود ممزقه ، وقعت ضحية بأيدي الترك تارة، وبأيدي ابن رشيد تارة أخرى ، أما الآن فقد بسط سلطان نجد حكمه على نجد قاطبة ، وانتزع القصيم من ابن رشيد ، والأحساء والقطيف من الأتراك ، واليوم ، انضم الى المملكة قبائل الشمال والجنوب في أجزاء كثيرة من الجزيرة .

٢) قبيلة الظفير التي تقطن الشامية في العراق كانت تابعة لآل سعود لأن أفرادها كانوا يهاجرون الى الشمال بحثاً عن الكلأ ثم يعودون الى نجد ، ولابن سعود الحق في جباية الضرائب من هذه القبيلة . أما العمارات والرولة فهم فروع رئيسة من عنزة وأصلهم من نجد ، ومن منطقة القصيم ، شيوخهم بنو هزان ، وبنو شعلان ، أبناء عم لآل سعود ومن رعاياهم.

٣) عندما احتل البريطانيون العراق ، اعترفوا بحدوده الشرقية مع فارس ، والجنوبية مع الكويت ، كما كانت في عهد الدولة العثمانية ، كما احترم البريطانيون الاتفاقيات المبرمة بين العثمانيين وجيران العراق من أمراء العرب ومنهم آل رشيد. واليوم سلطان نجد سيطر على نجد وجبل شمر ، فله الحق أن

يتبعه سكان هذه المدن، والقبائل التي تعيش في الصحراء، وكذا فروعها التي تقيم في العراق مثل الظفير والعمارات» [٨٤].

وفي عام ١٣٤٠هـ ٥/ مايو ١٩٢٢م، وقَّع كل من مفوض فيصل ومفوض ابن سعود إتفاقاً في المحمرة، نص على الآتي :

١) تقسيم مناطق النفوذ القبلي بين الدولتين بحيث تكون شمّر داخل حدود سلطان نجد، والعمارات والظفير والمنتفق داخل العراق.
٢) حماية قوافل الحجاج التي تعبر الى الحجاز.
٣) إقامة علاقات تجارية بين البلدين.
٤، ٥) عالجت هاتان المادتان حرية الرعي، وضرائب المراعي، وجبايتها.
٦) في حال قطع العلاقات بين نجد وكل من العراق وبريطانيا، فإن هذه الاتفاقية تصبح لاغية.

كما تضمن الإتفاق الإشارة الى اجتماع في بغداد للمفوضين من كلا الطرفين لكي يناقشوا بالتفصيل، رسم الحدود مع الأخذ في الاعتبار الآبارالجوفية ومراعي تلك القبائل. لقد كانت هذه المعاهدة اعترافاً ضمنياً من فيصل بن الحسين بسلطة ابن سعود. وفي انتظار الإجتماع المقرر في بغداد، فإن على فيصل الدويش والإخوان إيقاف عملياتهم العسكرية داخل الأراضي العراقية [٨٥].

أقر فيصل بن الحسين هذه المعاهدة، لكن ابن سعود رفضها معللاً ذلك بأن مفوضه قد تجاوز تعليماته وتنازل عن حقوق آل سعود على الظفير والعمارات [٨٦]. فاقترح على برسي كوكس لقاءاً في العقير لحل مسألة العلاقات مع الهاشمين، ومناقشة السياسة الكمالية (كمال أتاتورك) بالنسبة للعراق. وقبل كوكس الإقتراح لكي يستعرضا معاً معاهدة المحمرة ويحصل على توقيع من ابن سعود [٨٧].

إن ثمة أسباباً لرفض ابن سعود التصديق على معاهدة المحمرة . فلعل من المؤكد أن مفوضهُ لم يلتزم فعلاً بتعليماته حول الظفير و المنتفق والعمارات ، وهذه الحالة تصدق بالنظر إلى نص تلك التعليمات التي أوردها الريحاني .(٨٨) ومن الممكن أيضاً أن رسالة بيرسي كوكس إلى ابن سعود في عام ١٣٤٠هـ/ بداية ١٩٢٢م قد حملته على اتخاذ موقف أكثر صلابة . في هذه الرسالة ورد خبر عن مشروع بريطاني لبناء سكة حديد من بغداد الى حيفا على ساحل البحر المتوسط عبر الجوف(٨٩) . ويربط هذا الخط الجنوب الشرقي للمتوسط ، بفلسطين مروراً بجنوب سوريا الواقع تحت الاحتلال الفرنسي ، الى إقليم شمال غرب الخليج العربي(٩٠) . ولا شك أن إعلان مشروع كهذا يؤثر سلباً على خطط ابن سعود فيما يتعلق بحدوده الشمالية ، والجوف تشكل محطة مهمة للقوافل ، تقع جنوب وادي السرحان الطريق التقليدي ، الذي يربط سوريا بوسط الجزيرة . والذي يسيطر على وادي السرحان يسيطر على التجارة بين نجد وسوريا .

كان وادي السرحان تابعاً لابن رشيد ، ثم انتقل تلقائياً الى سلطة ابن سعود بعد ضم حائل ، ولكن عندما تولى عبدالله بن الحسين حكم شرق الأردن ، أعلن مطالبته بوادي السرحان ، لأن حدود مملكته الجنوبية لم تحدد بعد . وقدم مساندته لنوري بن شعلان شيخ الرولة ، الذي احتل الجوف مستغلاً انشغال ابن سعود بشأن حائل. في ربيع عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م ، وفيما كان ابن سعود مشغولاً بمسألة الحدود العراقية ، استشعر فجأة خطورة تحالف المصالح المبرم بين عبدالله بن الحسين ونوري بن شعلان وبريطانيا وكان الهدف منه منع ابن سعود من وضع يده على وادي السرحان الممر الحقيقي للشمال الغربي ، وإبقاء ابن سعود في وسط الجزيرة . وتمتد أراضي الرولة من جنوب وادي السرحان حتى حمص في سوريا ، وقد انضموا أثناء الحرب الى الثورة العربية ، وعندما تولى

فيصل بن الحسين حكم دمشق ، قدم له نوري بن شعلان الولاء ، ثم انحاز الى صف الفرنسيين ، ثم اتجه بولائه الى عبدالله بن الحسين في عمّان . وأخيراً وحينما أستولى ابن سعود على الجوف بعد سكاكا ، دخل نوري الشعلان في طاعة ابن سعود(٩١) . ومن ذلك يبدو جلياً أن نوري بن شعلان كان متأرجحاً في موقفه بالنظر الى وضعه الجغرافي القلق ، ومتغيرات الظروف المحيطة ، وبسبب انتمائه القبلي إذ أن الروله هم من قبيلة عنزة، وهي قبيلة ابن سعود .

لقد شرح ابن سعود أسباب رفضه لمعاهدة المحمرة ، بكلمات قالها للسير كلايتون في جدة ، في عام١٣٤٧هـ/ مايو ١٩٢٨م :

« رفضت توقيع معاهدة المحمرة لأنها تجبرني على الاعتراف بملكية فيصل بن الحسين في العراق وهذا ضد مصلحة بلادي »(٩٢) .

وفي عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م ، بعث ابن سعود برسالة إلى القنصل البريطاني في جدة أعلن فيها رفضه لمعاهدة المحمرة لأن حدود أجداده تمتد حتى شط العرب(٩٣) .

لكل هذه الأسباب مجتمعة ، ولأهمية وادي السرحان الاستراتيجية أكثر من الجبهة العراقية ، قرر ابن سعود رفض معاهدة المحمرة لكي يحتفظ بورقة يقايض بها في مسألة وادي السرحان . إن التنازلات التي قدمها مفوض ابن سعود في المحمرة كانت بدون مقابل ، لذلك كان من المصلحة أن يرفض ابن سعود التنازل عن حقوقه على العمارات والظفير ، ليوظف ذلك في قضية وادي السرحان . ذكر ابن سعود لأمين الريحاني ماحدث له في العقير في ربيع الآخر عام ١٣٤١هـ/ خريف ١٩٢٢م، مع السير بيرسي كوكس :

« لم يذخروا في نصب المصائد لي ، وأحاطوابي إحاطة السوار بالمعصم ، واصطنعوا دولاً تقف معهم ضدي ، ومنذ وصول فيصل إلى العراق ، والمشكلات تستعر في إقليم الشامية بين الظفير وجماعات من العمارات ، ولن تتوقف أبداً»[(٩٤)] . في صيف عام١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م ، سيطر الإخوان على منطقة سكاكا بمساعدة سكانها الذين كانوا متأثرين بالمباديء السلفية ، واستولوا على القرى في طريقهم الى عمَّان ، حيث توقفوا على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من عاصمة عبدالله ابن الحسين ، بفعل تدخل الطائرات و السيارات المصفحة البريطانية[(٩٥)] . ثم تراجع الإخوان إلى وادي السرحان الذي سيطروا عليه بالكامل بمافيه (قريات الملح) والجوف حيث استولوا على قلعة نوري ابن شعلان . ثم أخذت بعض السرايا سبيلها لتستولي على تيماء و خيبر وأطراف الحجاز . ولم تكن الغارة التي شُنّت على عّمان بأمر من ابن سعود ، و لذلك اكتفى الإخوان بالسيطرة على وادي السرحان . عندئذ وجد ابن سعود مشقة في وقف تحركات الإخوان بسبب طول المسافات وصعوبة الاتصالات . لذلك دعا سلطان نجد إلى الرياض المسؤولين عن مجموعة الإخوان في الجوف التي تسللت الى عّمان . واحتجزهم ثلاثة أشهر ، ثم أطلق سراحهم وأفهمهم بالآتي :

أيها الإخوان ، لا تظنوا أن قوتكم تشكل لدينا أهمية ، بحث لا نستغني عنها . إن قيمتكم الحقيقية تكمن في طاعتكم لله أولاً ثم لولي الأمر ، وعندما تخرجون عن هذه القاعدة فلابد من معاقبته ، وعليكم أن تتذكروا جيداً أن القول يتبع بالفعل ، فالتزموا بما يطلب اليكم ، ولا تتجاوزوا حدودكم فتندموا[(٩٦)] .

مؤتمر العقير :

في ربيع الآخر عام ١٣٤١هـ/ نوفمبر ١٩٢٢م ، التقى ابن سعود بالسير برسي كوكس في العقير[٩٧] . وكان مع الدبلوماسي البريطاني صالح باي وزير الاتصالات العراقي ، و الميجور مور ، المعتمد السياسي في الكويت ممثلاً للشيخ أحمد الجابر أمير الكويت ، والميجور ديكسون ، المعتمد السياسي في البحرين والشيخ فهد الهذال ، شيخ قبيلة العمارات من عنزة ، وكان في معية ابن سعود ابن عمه وصهره سعود العرافة ، وعبداللطيف المنديل التاجر الصيرفي في البصرة ، وهو المراسل الدائم لسلطان نجد في العراق ، وأمين الريحاني ، الشاعر والمؤرخ اللبناني ، وعدد من أفراد الأسرة وحرس مكّون من ثلاثمائة رجل .

وقد أخطأ السير كوكس عندما اصطحب فهد الهذال شيخ العمارات لأنه و نوري الشعلان شيخ الرولة يعتبران نفسيهما ندين لابن سعود أو أكثر من ذلك ، وقد ذكر ديكسون أن وجود ابن هذال قد كدر ابن سعود ، وهذا ما أبداه ابن سعود للسير كوكس لدى مصافحته في العقير إذ قال له :

« أنا لا أخشى إلا الرجل الذي لا شرف له ولا دين » ثم قال وهو يدير ظهره لفهد الهذال : « لا ندري ياحضرة المندوب ماخفي من المقاصد ولكننا نرجو منها الخير . ومما نعلم علم اليقين أن العشائر ، خصوصاً عشائر العراق ، لا ترتاح الى حكومة قوية ، بل لاتبغيها . لأن الحكومة إذا كانت قوية تضربهم وتؤدبهم . أما إذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم . العشائر ياحضرة المندوب لا يفهمون إلا بالسيف فهم إذا عاملتهم بالحسنى يتحكمون بالحكومة . اشهروا السيف يرتدعوا، يتأدبوا . اغمدوا السيف ينهبوا ، ويقتلوا ، ويتقاضوكم فوق ذلك

المشاهرات » ثم التفت الى فهد مبتسماً وقال : « نحن نعرف بعضنا ، اليس كذلك ، يافهد؟ »(٩٨)(م٢) .

وفي الطريق إلى العقير ، أسَرَّ ابن سعود الى أمين الريحاني بهذه العبارة :

« حينما يريد الإنجليز شيئاً ما يحصلون عليه ، وعندما نريد شيئا ، لا بد لنا من القتال لكي نناله . أوقِّع ، إذا كانت بريطانيا ستُجبرني على ذلك ،ولكني سأضرب عندما أكون قادراً » (٩٩) .

في نهاية المطاف ، قبل ابن سعود المقترحات البريطانية إذ لا مناص من ذلك ، غير أنه احتفظ لنفسه بحق التحلل من التزاماته إذا واتته فرصة مناسبة . وكان ابن سعود قد أعد تعليمات مكتوبة يلتزم بها مندوبه أثناء مؤتمر المحمرة ، في صورة سؤال وجواب : « إذا سألوك كذا وكذا ، أجب كذا وكذا . وإذا الح المندوب الانكليزي في أمر من الأمور ، إسأله إذا كان يتكلم بلسان حكومته أو بلسان حكومة العراق فالجواب هو أننا لا نتساهل بحقوقنا . وإذا كان بلسان حكومة بريطانيا فجاوب : إكراماً لحكومة بريطانيا . هذا إذا كان من الأمور الثانوية . أما إذا كان من الأمور الجوهرية ، فالجواب أننا لا نسلم إلا مكرهين »(١٠٠) (م٣) .

ويمكن الاعتقاد بأن التنازلات التي قدمها مندوب ابن سعود في المحمرة قد عُدِّلت بمقترحات من الحكومة البريطانية ، إلا أن ابن سعود كان يريد أن تتم ضمن إطار تفاوضي يضمن له مصالحه وحقوقه واستقلاله . وفي العقير تفاوض ابن سعود والسير كوكس على حدود نجد مع العراق والكويت ، وقد لوح السير كوكس

(م٢) التزمنا بعبارات الريحاني الواردة في كتابه " نجد وملحقاته " ص ٣٠٩ - ٣١٠ من الطبعة الرابعة ١٩٧٠م . [المترجمان].

(م٣) التزمنا بعبارات الريحاني الواردة في كتابه " نجد وملحقاته " ص ٣١٠ - ٣١١ من الطبعة الرابعة ١٩٧٠م . [المترجمان].

بورقة رابحة تتمثل بوقف المعونات الشهرية التي تدفعها بريطانيا إلى السلطان وقطع العلاقات ، ثم عرض السير كوكس على ابن سعود تكملة المادة الثانية من معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م التي تضمن حماية بريطانيا لابن سعود إذا تعرض لأي اعتداء من أي قوة أجنبية ، مع توضيح مفهوم «القوة الأجنبية» ليشمل الممالك الهاشمية : في الحجاز، و شرق الأردن ، والعراق . إلا أن ابن سعود تميّز غيظاً وقال : « ومن قال للمندوب السامي إن ابن سعود يخاف الشريف وأولاده . لا والله ، نحن في غنى عن الحمايات ، إذا كان المعتدي علينا من العرب»(١٠١)(م٤) .

ويفهم من رد فعل ابن سعود أنه لا يريد الحماية البريطانية ضد الممالك الهاشمية لأن ذلك يعني اعترافاً بها ، مما يعني التخلي عن طموحاته ، والى ذلك يشير الريحاني بقوله : « عدم إعطاء أهمية لهذا الموضوع يعني عدم المضي في اعتراف تلك الممالك الهاشمية إلا بالشعور بالشرف وبالقوة التي عبّر عنها والتي كانت بالإضافة إلى ذلك ذرائع لرفض مقترح السير برسي كوكس من أي شيء آخر» .

وإذن ، ففي الواقع ، فقد قبل تعديل المادة الثانية من معاهدة عام ١٩١٥م ضمن مفهوم مقترح السير برسي كوكس ، فإنه قد اعترف من هنا ، بالطبع بالمملكات الهاشميه ، وأن هذا الإعتراف سيعني له بالتالي التخلي عن طموحاته . وفي ذلك ، يقول الريحاني : إن المملكة السعودية ، التي مدهّا السلطان عبدالعزيز إلى جميع الاتجاهات كانت صعبة جدا في تحديد حدودها(١٠٢) .

(م٤) التزمنا بعبارات الريحاني الواردة في كتابه " نجد وملحقاته " ص ٣١٢ [المترجمان] .

وتحدث ابن سعود في العقير عـن كل أبناء عمومته من القبائل التي كانت رعايا لأجداده ، من واحة يبرين إلى الجنوب الشرقي من الرياض حتى العمارات ، وإلى الغرب من بغداد ومن العقير حتى أبها في عسير وتبوك على خط حديد الحجاز .

ولاحظ ديكسون أن ابن سعود حرص على اعتماد الحدود القبلية لا الحدود الطولية بين نجد والعراق ، انطلاقاً من مراعٍ ومياه ، لأنه - كما يقول - منذ إبراهيم عليه السلام كانت كل قبيلة تعرف ماءها ومرعاها . وآبار عنزة والظفير وقبائل الكويت وأكثرها إلى الجنوب - باستبعاد تلك التي تخص مطير ، والعوازم والعجمان ، الذين يعتبرهم مثل رعاياه - يجب أن تكون هي الحدود ، بينما كل الآبار المشهورة المشاعة بين الظفير ومطير وبين العمارات والظفير تكون مناطق محايدة ، والبادية تعرف بالضبط مواردها . وأخيراً ، أضُطر ابن سعود الى التنازل جزئيا لمقترحات السير كوكس بعد أن قرر هذا الأخير فرض حل على المندوبين العرب الذين لم يتوصلوا إلى إتفاق فيما بينهم .

بعد انتهاء المفاوضات ، التي تمت بين ابن سعود ، و السير كوكس ، استدعي هذا الأخير ديكسون وشرح له ماجرى . يقول ديكسون :

« أثناء الجلسة المعقودة بكامل هيئتها في المؤتمر ، تناول السير كوكس قلماً ورسم على خريطة الجزيرة ، وبعناية ، خطاً يبدأ من لخليج العربي حتى جبل عنيزان قرب حدود شرق الأردن . وترك للعراق منطقة واسعة تضم أجزاء يُطالب بها سلطان نجد . ولأجل تهدئة ابن سعود ، ضم ثلثي أراضي الكويت الى نجد باعتبار أن حكم آل صباح لا يشمل سوى مساحة قليلة من الصحراء ، وهذا مما لم يتضمنه الإتفاق العثماني - البريطاني . وأعلن السير كوكس نقطتين جنوب و غرب الكويت منطقتي حياد ، و اسماهما : «منطقة الكويت المحايدة» و«منطقة العراق

المحايدة» . الأمر الذي جعل عبداللطيف باشا المنديل يعترض بحجة أن الكويت ليست في حاجة البتة الى منطقة محايدة . فأجابه السير كوكس بأن قبائل الكويت هي التي بحاجة إلى مساحة لرعي مواشيهم ، وعندما الح عبداللطيف المنديل ، انبرى له السير كوكس قائلاً : « لماذا ؟ يا شيطان ، أأنت تهفو إلى ادراج تلك المنطقة ضمن نجد ؟ وبسذاجة أجابه المنديل : إننا نعتقد بأن فيها نفطاً، وهذا مايجعلك تعتبرها منطقة محايدة » فرد عليه السير كوكس : « كل واحد سيأخذ حصة متساوية »(١٠٣) .

وقد أحيط ابن سعود بقرارات السير كوكس ، لأنه لم يحضر هذا الإجتماع ، مماجعله يصرح بُعيد ذلك :

« صديقي ، لقد سلبتني نصف مملكتي ، فخذني كلي إذاً ودعني اتقاعد » .

فأجابة السير برسي :

« صديقي ، أنا أدرك تماماً ما تشعر به ، ولهذا اعطيتك الثلثين من أراضي الكويت ، أنا أجهل كيف يقبل ابن سعود هذه الصدمة السيئة »(١٠٤) .

وأخيراً، يروي فيلبي أن ابن سعود وهو في طريقه للتفاوض مع السير برسي السير كوكس ، أشار عليه عبدالله القصيبي - وهو رجل مشورة ومال - بأن لا يسلم رأسه للبريطانيين . فرد عليه ابن سعود : لا أقبل بأن أعض اليد التي تطعمني « ثم أشار الى رأسه قائلاً : إذا عاش رأسي سنيناً فسأغيّر كل ذلك »(١٠٥) .

من المحضرين اللذين وقعا في مؤتمر العقير ، استكمالاً لماورد في معاهدة المحمرة (١٠٦) نسجل هنا النقط المهمة :

لقد تنازل ابن سعود بالفعل عن الأراضي التي يطالب بها داخل العراق ، تحت ضغط السيركوكس ، وخشية قطع علاقته مع بريطانيا وتعليق المعونات

الشهرية . ولكنه بالمقابل ، تسلم أراضي كانت مضمومة للكويت ، مما أطر هذه الإمارة بمساحة تصل إلى ستة آلاف ميل مربع . كما حصل على تأكيد من السير كوكس - الذي أبلغ تشرشل ، سكرتير الدولة للمستعمرات - بأن حدود ابن سعود مع شرق الأردن في وادي السرحان تشمل قريات الملح ، وهذا يعني عملياً كل وادي السرحان[(١٠٧)] . وإذا ماضطر ابن سعود الى التنازل عن حدوده العراقية ، فإنه كان راضياً بحدوده مع الكويت ، وكذا مع شرق الأردن .

ديكسون [(١٠٨)] ، الذي لم يكن يرى رفض الحدود القبلية وفرض تخطيط طولي مثلما تبناه وفرضه السير كوكس ، يشير الى أن ابن سعود كان مُجبراً بسبب التنازلات عن حقوقه في الظفير والعمارات ، على التعهد بتغيير طرق الرعي والتنقل لقبائله من العراق والكويت الى وجهة الأحساء . ومثل هذا القرار سيثير مشكلات داخلية ، سيما وأن هذه القبائل ترى أنها سلبت مراعيها ومواردها .

في المحضر رقم (١) « قبل ابن سعود بأن تكون الظفير والعمارات ملحقة بالعراق ، على أن تكون قبيلة الدهامشة تابعة لنجد » .

بينما نص المحضر رقم (٢) على منع بناء الحصون على الحدود المرسومة بواسطة السير كوكس ، بين نجد والعراق أو داخل المنطقة المحايدة .

وفي الختام ، يجدر أن نورد تصريحين لابن سعود قبل هذا المؤتمر . ففي عام١٣٤٧هـ/ مايو ١٩٢٨م قال ابن سعود للسير كلايتون المفوض السامي للحكومة البريطانية :

« في العقير عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م ، رفض السيركوكس طلباتنا و اضطررنا إلى قبول مقترحاته ، وعندما رفضناها هددنا بقطع العلاقات مع بريطانيا ، فقبلنا -

على مضض - الحدود التي رسمها» (١٠٩) وفي ديسمبر من العام نفسه ، وجه ابن سعود ، رسالة إلى القنصل البريطاني في جدة ، يقول له :

« في مؤتمر العقير ، تمسكنا بحقوقنا في أراضي تخصنا وتخص شعبنا ، ورفضنا معاهدة المحمرة للسبب نفسه ، ولكن ممثل بريطانيا أصر بقوة وأجبرنا على التنازل عنها لصالح العراق ، وقبلنا - مجبرين - تفادياً لحدوث نزاع بين الحكومة البريطانية وبيننا »(١١٠) .

وبعد مؤتمر العقير ، ركز ابن سعود إهتمامه على حدوده مع شرق الأردن والحجاز ، وأكثر تحديداً على وادي السرحان الذي سبق أن سيطر الإخوان على النقاط الرئيسة ، ومثلما رأينا ، فإن وادي السرحان يشكّل وضعاً استراتيجياً مهماً أكثر من كونه مساحة صحراوية شاسعة تغطي الحدود العراقية . وبالسيطرة على وادي السرحان وعلى كامل امتداده ، هيمن ابن سعود على زواية بين شرق الأردن والعراق ، يمكن من خلالها تهديد الإتصالات بين فيصل و عبدالله ابني الحسين ، وأصبح يتحكم بالطريق البري بإتجاه بلاد العراق وسواحل الخليج العربي وهذا بالطبع غير مقبول لدى السلطات البريطانية .

الفصل الثاني

قرارات عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م
وضم الحجاز

في خريف عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م ، أبلغ السير كوكس ابن سعود عندما طلب منه سلفة ، بأن المخصصات التي يتسلمها من بريطانيا ستوقف في ٣١ مارس لعام ١٩٢٤م ، كما جرى لتلك المخصصات التي كان يتسلمها الشريف حسين ، حيث قررت الحكومة البريطانية قطع المخصصات التي تدفعها لحلفائها العرب ، المؤرخة منذ الحرب[١] . كما أن السير كوكس ، الذي وثق علاقته بابن سعود سيحال إلى التقاعد ، ولن يباشر معالجة الشؤون المتعلقة بسلطان نجد منذ بداية النزاع بين فيصل بن الحسين ، وابن سعود، وعهد إلى المقيم السياسي في بوشهر القيام بالخدمة كوسيط بين السلطات البريطانية وبين ابن سعود . وقبل كل شيء، فإن ابن سعود رفض هذا الحل وطلب إمكان التعامل المباشر مع لندن والسماح له بإرسال مفوض دائم له إلى العاصمة البريطانية[٢] . غير أن السلطات البريطانية رفضت هذين الطلبين واقترحت بعث معتمد لها في الجزيرة[٣] . حتى مندوب ابن سعود في البحرين طُرد من هذه الجزيرة بإيعاز من بريطانيا ، بدعوى إثارته للقلاقل[٤] .

وقامت بريطانيا باستبدال دبلوماسييها في المنطقة عام١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م . فالسير كوكس أحيل الى التقاعد ، وقد كان المهندس الرئيس لسياسة المعونات

التي تمنح للزعماء العرب ، وهي سياسة اتبعتها بريطانيامنذ الحرب ، ورحيله ترك أثراً عميقاً على ابن سعود(٥) . ويذكر ديكسون أن علاقة السير كوكس بسلطان نجد، كانت وراء تدخله بقوة خلال مؤتمر العقير للخروج من الطريق المسدود ، وتوصل جميع الأطراف الى حل بعد ستة أيام من المفاوضات . ويقول ديكسون : إن السير كوكس عامل ابن سعود كتلميذ ، كما أن سلطان نجد قال بتواضع : إن كوكس بالنسبة له كأبيه ، لأنه أفاد منه الكثير من الخبرة ، ولو طلب منه كوكس نصف مملكته لأعطاه إياها ،كان كوكس - حسب وصف ديكسون - يواسي ابن سعود حين تتأزم الأمور (٦) .

كان الخلف لكوكس في بغداد ، السير هنري دوبس الذي لم يكن لديه خبرة بشؤون العرب ولا تقارب مع ابن سعود . حتى الميجور ديكسون ، الذي كان يألفه ابن سعود وقابله عدة مرات ، نُقل هو الآخر إلى الهند . وجاء سفر فيلبي الذي يقدره ابن سعود كثيراً ، ليضيف تغيرات جديدة ، وقد كتب ابن سعود بهذا الشأن إلى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات قائلا له :

« يحاول بعض موظفيكم عبثاً خلق صعوبات ، وزرع معوقات ، تهدد روح الصداقة والنزاهة بالزوال . وللأسف ! فقد لاحظت تغيراً كبيراً في موقف موظفيكم في مكتبهم في الخليج العربي منذ رحيل السير كوكس »(٧) .

ولا شك أن هذه التصرفات ، تلقي بظلال الشك على نفسيّة ابن سعود في النوايا الحقيقية للسلطات البريطانية ومصداقية تحالفهم معه . إن إعلان قطع المعونات البريطانية ، جعل ابن سعود يبدو أقلّ إرتباطاً و التزاماً مع بريطانيا . وما معاهدة المحمرة ، ومحاضر إتفاقيات العقير - بالنسبة له - سوى سلام صغير ، مقارنة بتلك الإتفاقيات العديدة ، التي وقّعها فيما مضى مع العثمانيين ومع آل

رشيد. و بمعنى آخر فإنها لا تعدو كونها هدناً تكتيكية ، ولديه القدرة على استعادة التنازلات التي أُضطر اليها على الصعيد الدبلوماسي ، وذلك باعتماد سياسة الصحراء المرتكزة على الولاءات القبلية القادرة على طرح البحث ثانية حول التسويات التي فُرضت عليه من قبل البريطانيين . إن ذكاء ابن سعود ، وقدرته على جس نبض الحكومة البريطانية ، تعادل قدرة الهاشميين والبريطانيين . وهذا ما أشارإليه أمين الريحاني :

« كان يعرف ماذا يريد . . . وأفضل من ذلك ، كان يحدد بالضبط ماذا يستطيع الحصول عليه في وقت من الأوقات »[٨] .

وفي العقير رأينا كيف اضطر ابن سعود الى التنازل بسبب وضعه الإقتصادي ، وحاجته الى المخصصات البريطانية ، كما أنه لا يريد المخاطرة بقطيعة تامة مع بريطانيا[٩] . وهو محتاج الى المال ، لتوطين البادية وتأمين معيشتهم ، وتثبيت دعائم الأمن ، وتسليح الجيش . ودخله -حسب فيلبي - لا يتجاوز مائة وخمسين ألف جنيه استرليني ، يضاف اليها ستون ألف جنيه تدفعها بريطانيا له[١٠] . من أجل ذلك أعطى ابن سعود حق الإمتياز الأول للتنقيب عن النفط إلى الميجور هولمز الذي كان حاضراً في مؤتمر العقير ، ممثلاً « للنقابة العامة الشرقية » وهي شركة بريطانية[١١] .

اعتبر ابن سعود نفسه في حل من التزاماته لبريطانيا ، بعد إلغاء مخصصاتهم ، ولن يكون لهم الحق في التدخل في شؤونه ، لذلك قرر ترك الحرية للإخوان ولفيصل الدويش ، يتحركون على كل الجبهات[١٢] ، وأخبر المفوض السامي في بغداد أنه لم يكن راضياً عن بعض شروط معاهدة المحمرة ومحاضر إتفاقيات العقير ، و يرغب في إعادة التفاوض[١٣] . وفي عام ١٣٤٢هـ/ يونيو ١٩٢٣م ،

انطلق الإخوان باتجاه شمال وادي السرحان ، واحتلوا قرية الكاف ، ولكنهم أبعدوا عنها ، وسمحت السلطات البريطانية لعبدالله بن الحسين باحتلال القرية ، معلنةً أن ابن سعود لن يتلقى دعماً مالياً أو عسكرياً [١٤] . وقام المقيم السياسي بتقديم شكوى الى ابن سعود ضد هذه الغارة ، فأجابه ابن سعود بأنه لا علم له بها ، ولم يكن لديه الوسائل لابلاغ الإخوان بعدم الهجوم على بني صخر سكان قرية الكاف ، وضرورة إحترام حدود شرق الأردن[١٥] .

ومن الصعب التكهن -حسب ترولر - فيما إذا كان ابن سعود قد وافق على غارات الإخوان أم لا [١٦] . وقد قبل البريطانيون مرات عدة نفي ابن سعود علمه بغارات الإخوان ، على فرض أن السلطان لا يستطيع ممارسة سيادته المطلقه على فرقه المتوثبة للقتال . ويبدو أن ثمة تكتيكاً - كما يقول جلوب - لجأ اليه ابن سعود لبلوغ أهدافه بدلاً من الدبلوماسية العقيمة ، وذلك بتوجيه عمليات، هي في ظاهرها حركة تمرد لا يقدر على كبح جماحها ، وهذا تبرير يردده على أسماع السلطات البريطانية[١٧] . وكان هذا هو التكتيك الوحيد الذي يواجه به ابن سعود الضغوط البريطانية داخل الجزيرة وعلى اطرافها، ومنها ضرورة احترام حدود الحجاز ، وشرق الأردن والعراق، مقابل عدم تدخلهم عسكرياً[١٨] .

وتحت مظلة « عدم رسمية » عمليات الإخوان ، مضى ابن سعود في تحقيق أهدافه الاستراتيجية مع ضمان التراجع الدبلوماسي في الوقت المناسب ، قبل أن يتجاوز ردالفعل البريطاني حدوده المعتادة[١٩] ، ولا ريب أن الرد العسكري منتظر من الشريف حسين وابنيه فيصل وعبدالله ، غير أن سلطان نجد على ثقة من أن أفواج الإخوان أكثر عدداً من القوات الهاشمية ، و من جهة أخرى فإن السلطات البريطانية تحرص على تجنب قيام الهاشميين بمغامرات عسكرية ، وأحياناً تجد

بريطانيا نفسها مضطرة لأن تجهز لها سرايا عسكرية ، بالنظر الى ضعف جيوش الحجاز ، و شرق الأردن ، و العراق نسبياً مقارنة بالإخوان . وليس لدى بريطانيا استعداد بأن تزج بقواتها من أجل مساندة الحسين وابنيه عبدالله و فيصل إلا في حالة تهديد جاد على السيادة نفسها لأي منهم ، كما حدث ـ مثلاً ـ صيف عام١٣٤١هـ ١٩٢٢/ م حينما وصلت قوات الإخوان إلى مقربة من عمّان .

لقد استطاع ابن سعود أن يختبر ردة الفعل البريطاني ، عبر تحريك جحافل الإخوان في الوقت المناسب ، وفي الكيفية التي يريد ، كما في أحداث الخرمة في عامي١٣٣٦ و ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨ و١٩١٩م في الحجاز ، وفي عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م في العراق ، وشرق الأردن . في عام ١٣٤٢هـ/ أكتوبر ١٩٢٣م ، أغار فيصل الدويش على العلا ، وهي حاضرة تقع بين سكة حديد الحجاز والبحر الأحمر ، على بعد مائة كيلو متر تقريباً شمال المدينة المنورة . وكالمعتاد ، طالبت السلطات البريطانية ابن سعود عبر الطرق الدبلوماسية أن يظهر أكثر حزماً وصلابة أمام شيخ مطير [٢٠] ، لكن ابن سعود لم يرد على طلبها .

منذ قرار وقف المعونات عن زعماء العرب ، شرعت الحكومة البريطانية بالإعداد لمؤتمر عام تدعى اليه الأطراف المعنية ، لمعالجة المشكلات المعلقة بين نجد وكل من الحجاز وشرق الأردن ، والعراق ، بمعنى آخر بين ابن سعود والهاشميين . وتهدف بريطانيا من هذا المشروع إفهام القادة العرب بأنها لا تستطيع أن تساعدهم الى الأبد ، وأن عليهم حفظ السلام فيما بينهم . وعرض مشروع هذا المؤتمر على فيصل وعبدالله ابني الحسين فقبلاه [٢١] .

أما الشريف حسين ، فقد رفض أن يرسل مندوباً الى المؤتمر بذريعة أنه لم يحط به علماً قبل خريف عام١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م . بينما قبل ابن سعود في أكتوبر من العام ذاته فكرة هذا المؤتمر ، ولكنه لن يحضره بنفسه ، وكتب في نوفمبرمن

هذا العام ، إلى المقيم السياسي في بوشهر يقترح عليه إرجاء المؤتمر لكي يتسنى له وقت كاف لإعداد مطالبه[٢٢] . وذلك لكي يتمكن من التوسع قبل أن يطوَّق بحل شامل . غير أن الجواب البريطاني كان حاداً :

« ثبت لدينا أن ابن سعود لا يقيم وزناً لتطلعات حكومة صاحب الجلالة ، وانتظرنا حرصاً منا على العلاقات الودية التي أقيمت بين الحكومتين خلال عدد من السنين . . . ولو افترضنا أن ممثل ابن سعود لن يصل إلى الكويت خلال الأسبوع الأول من شهر ديسمبر القادم ، فإن حكومة صاحب الجلالة ستفسر ذلك بأن سلطان نجد قرر ألا ينال رضاحكومة صاحب الجلالة . ولابد له لكي يحتفظ بأراضيه أن يحافظ على علاقات وديّة ممتازة قدر الإمكان مع القوة البحرية الكبرى حيث إن مصالحه مرتبطة بمصالحنا في أضيق الحدود »[٢٣] . وكان هذا النص مدهشاً لاعتبارين : فهو يصور عدم قدرة بريطانيا على الضغط على ابن سعود ، مع التلميح بالوضع الاقتصادي لنجد ، والإشارة الى الدعم المنتظر . والبريطانيون وقد أبلغوا ابن سعود وقف معوناتهم له يوم ٣١مارس ١٩٢٤م ، أرادوا أن يضغطوا عليه ، ويغروه بإعادة مخصصاته بعد المؤتمر العام إذا أبدى مرونة تصالحية . ثم إن إيراد عبارة « القوة البحرية الكبرى » يعني ضمناً الإشارة الى قوة البحرية البريطانية في الخليج العربي وأنها قادرة على قطع التموين عن ابن سعود إذا ماتبنى موقفاً متصلباً. وهذا ما يؤيده السير هنري دوبس المفوض السامي في العراق الذي كان مؤيداً لخط متصلب تجاه ابن سعود[٢٤] ، سيما وأن ابن سعود يحصل على تموينه أساسا من العراق و الهند عبر موانيء الأحساء .

وواجهت بريطانيامشقه عظيمة في إحضار مندوبين من نجد ، والحجاز ، والعراق إلى الكويت[٢٥] . يقول فيلبي :

« اقترف الملك حسين بنفسه كل الأخطاء التي أدت إلى تحطيمه »[٢٦] .

مؤتمر الكويت

افتتح الكولونيل نوكس المقيم السياسي الخليج العربي أعمال مؤتمر الكويت في عام ١٣٤٢هـ/ ١٧ ديسمبر ١٩٢٣م ، تحت رئاسته ، بحضور مندوبين من نجد، والعراق ، وشرق الأردن ، ويُظهر تشكيل الوفد النجدي عدم اكتراث ابن سعود بهذا المؤتمر(٢٧) . فإنه لم يحضر بنفسه ، حتى لا يؤدي ذلك الى مجيء الملك فيصل والأمير عبدالله أو أبيهما الحسين ، فيعتبر لقاؤه بهم اعترافاً ضمنياً بعروشهم الهاشمية . ثم إنه لا يستطيع التعامل في ذلك الوقت إلا مع البريطانيين ، وقد تجنب بغيابه أي موقف يجبره على تنازلات كالذي حدث في العقير . وأخيراً، لم يُعّين ابن سعود أحداً من أسرته على رأس الوفد ، وعادة يكون نائبه في التفاوض والده عبدالرحمن ، أو أحد إخوانه أو أبنائه .

اشترط الشريف حسين في نوفمبر، شروطاً لايفاد ممثل عنه :

أ ـ أن ينسحب ابن سعود من جبل شمَّر وعسير .

ب ـ أن يعيد سلطة آل رشيد والإدريسي على ما كانت عليه .

جـ ـ أن يدفع ابن سعود تعويضات عن الأضرار التي أحدثها الإخوان في العلا بقيادة فيصل الدويش (٢٨) .

وجدت الحكومة البريطانية نفسها غير قادرة على إجبار ابن سعود على تطبيق تلك الشروط ، وهو ما كان يتمناه ابن سعود ، وقامت السلطات البريطانية بارسال الشروط التي قررتها في المؤتمر برقياً إلى المقيم السياسي في ٨ نوفمبر ١٩٢٣م :

« إن حكومة صاحب الجلالة مهتمة بشكل مباشر بحدود منطقة فلسطين التي هي تحت حمايتها ، وملتزمة بمنفذ بحري على خليج العقبة لشرق الأردن ، بحيث

لا تعتدي نجد على خط سكة حديد الحجاز، كما أن الخرمة وتربة تعتبران ضمن الحجاز، و الحكومة مستعدة للتنازل عن كل وادي السرحان بمافيها الكاف لنجد، ورسم حدود الحجاز الشمالية تماماً، على امتداد سكة الحديد، قرب المدوَّرة». «كذلك ستكون كاف مقايضه من عبدالله مقابل العقبة. ويتنازل ابن سعود عن الخرمة و تربة مقابل كاف ويتخلى الشريف حسين عن كل مطالبه في الإقليم الواقع شمال المدوَّره مقابل ضمّ الخرمة وتربة الى اراضيه».

« وإذا لم يكن الحجاز ممثلاً في المؤتمر، فإن حكومة صاحب الجلالة سترفض مناقشة مسألة حدود شرق الأردن داخل المنطقة التي تمتد إلى ابعد من حدود النفود، حيث تبدأ الحدود بين نجد والحجاز. وفي مثل تلك الحالة، فإن التنازل عن «الكاف» يجب أن يكون مشروطاً. وسيكون هذا التنازل خاضعاً للتوقيع من قبل ابن سعود، في الوثيقة التي يتعهد فيها بقبول ضمّ الخرمة وتربة في وقت لاحق إلى الحجاز حينما تطلب حكومة صاحب الجلالة فعل ذلك »(٢٩).

وإضافة إلى ماسبق، ففي الوقت الذي كانت بريطانياتأمل معالجة الأمور على طاولة المفاوضات بين ابن سعود و الهاشميين، رغم قلة خبرتها بقواعد اللعبة في الصحراء، في هذا الوقت - كما يقول فيلبي - جاء المندوبون العرب الى الكويت وهم أكثر عناداً لأنهم لا يرجون شيئاً بعد قطع المعونات(٣٠).

ولا شك أن قرار الحكومة البريطانية إيقاف المعونات، كان إيذاناً بعدم قدرتها فيما بعد على التدخل في الشؤون الداخلية، وهذا يعني أن تترك الساحة حرة لعودة التوازنات الحقيقية. لذلك لن يكون لمؤتمر الكويت أي أثر على الأطراف المجتمعة. وبعد تأجيل المناقشات أدرك نوكس جيدا أن المفاوضات لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة بسبب ضعف مستوى الوفد النجدي، لذلك طلب نوكس

من السلطان إيفاد أحد أبنائه على الأقل من أجل إعادة ترتيبات المؤتمر[٣١] . وأجاب ابن سعود مطالباً بإمكان سير المفاوضات مباشرة مع السلطات البريطانية[٣٢] ، وحينما رجع الوفد النجدي إلى الكويت في نهاية شهر فبراير ، أبلغ الوفد نوكس عدم تمكن ابن سعود فيها من إرسال إبنه فيصل إلى الكويت لعدم توافر المال، وهذا دليل على قلة اهتمام ابن سعود بمفاوضات الكويت . ويبدو ذلك أيضاً من خلال قائمة بنقاط المفاوضات مع العراق التي بلغها مندوبيه ، وهي لا تعدو كونها مسائل ثانوية ، لأنه لا يرغب طرح القضايا العميقة في الكويت . وهذه القائمة تشير إلى :

١) عودة شمَّر نجد الهاربين إلى العراق .
٢) إعادة الغنائم التي سلبت أثناء حوادث ما بعد مؤتمر العقير بواسطة جماعات لجأت إلى العراق .
٣) طرد القبائل النجدية المعادية من العراق ، حيث إنها سبق أن لجأت إلى العراق .
٤) التوقيع على إتفاق ثنائي يضمن عودة القبائل التي كانت لاجئة من الجانب الآخر للحدود وأن سيادتهم الخاصة ستعتبر تهديدا لأمنه الحدودي .
٥) يعطي العراق السلطات في نجد الحق في القبض على أفراد من القبائل النجدية المقيمة في بلاد العراق شريطة أن تزود السلطات النجدية السلطات العراقية بأسماء المسؤولين المباشرين لذلك قبل خمسة عشر يوما .
٦) تقدم العراق اعتذاراً عن سب العلم النجدي ، والمعاملة السيئة التي لقيها أحد الموظفين النجديين أثناء حبسه في بغداد .
٧) قبول العراق بأن يكون ابن مجلاد - وهو أحد شيوخ نجد المقيمين في العراق، ومخلص لابن سعود - أحد رعايا ابن سعود .
٨) لا يحق لأي قبيلة عبور حدود الطرف الآخر إلا بإذن مكتوب من قبل السلطات المسؤولة .

ولـم ينجح المؤتمر في حل النزاع القائم بين فيصل و ابن سعود ، بل شغل الأطراف بمناقشة حجج ومسائل لا تمس جوهر المشكلة[٣٤] ، ولا ريب أن قائمة النقاط العراقية قد أعدت من قبل البريطانيين أو بمساعدتهم ، ولقد حاول المندوبون العراقيون إرغام الوفد النجدي على إتخاذ موقف ، ولكن التكتيك النجدي كان يتسم بالعفوية أو المماطلة أو التسويف[٣٥] . وهذا مايقوله نوكس :

« حتى بعض نقاط الإتفاق التي نجحنا في ابرازها ، كانت غير مفهومة لدى المندوبين النجديين الذين لم يكونوا على قدر كبير من الكفاية »[٣٦] .

وفي ٢٢ ديسمبر ١٩٢٣م ، إقترح نوكس تأجيل المؤتمر حتى ١٨ يناير ١٩٢٤م لكي يتسنى للمندوب النجدي الإتصال بابن سعود ، وحتى يستطيع الشريف حسين ارسال مندوب عنه . ولكن المندوب العراقي أصر على أي توقيع حول أي إتفاق عراقي ـ نجدي يجب أن يُعتمد بالتوقيع من خلال اتفاق تفاهم بين الشريف حسين وابن سعود[٣٧] ، غير أن المندوب النجدي رفض هذا الشرط .

في ١٨ يناير من العام نفسه ، عاود المؤتمر جلساته ، ولكن أثيرت من جديد المناقشات العراقية النجدية حول نقاط تفصيلية ، مثل مصير اللاجئين النجديين في العراق . وفي كل مرة يتم فيها الإتفاق على نقطة ما ، يعود المندوب النجدي الى النقطة السابقة ، يتساءل حولها[٣٨] مما أعاق تقدم المؤتمر .

أما عن المفاوضات بين نجد وشرق الأردن ، فقد أصر مندوبو عبدالله بن الحسين على إعادة الجوف و سكاكا و وادي السرحان إلى نوري بن شعلان ، و أن تتوقف غارات الإخوان على تخوم شرق الأردن[٣٩] ، فأجابهم مندوبو ابن سعود بأن وادي السرحان كان جزءاً من أراضي ابن رشيد التي آلت إلى ابن سعود فيما

بعد، وأن نوري بن شعلان وأسرته التي كانت تقليدياً سائدة على تلك الأراضي قد قدمت ولاءها الى ابن سعود . وعندما طلب ممثلو ابن سعود ممراً لنجد باتجاه الشمال ، بين العراق وشرق الأردن لكي تتمكن القوافل العبور بحرية بين سوريا ونجد ، رفض مفوضو عبدالله بن الحسين بشدة هذا الطلب ، مؤكدين على وجوب التحام الحدود بين العراق وشرق الأردن ، ودعمهم في هذا الموقف الممثلون البريطانيون الذين أرادوا الاحتفاظ بممر بري يصل سواحل البحر المتوسط بالمستعمرات الآسيوية لبريطانيا(٤٠) .

لاحظ ترولر أن حجج مندوب نجد من أجل تبرير مطالب ابن سعود في وادي السرحان ، تقوم على التبعية القبلية ، بينما يؤكد مندوبو شرق الأردن على أن وادي السرحان كان دائماً تحت سيادة الرولة وأسرة نوري الشعلان ، وهي قبيلة سورية ، وبما أن شرق الأردن ورث الجزء الجنوبي من سوريا ، فإن لشرق الأردن - كما يزعمون - الحق في المطالبة بوادي السرحان ، مؤسسين حجتهم على قاعدة إقليمية ، وهو مبدأ يعتبر حديثاً ومقبولاً لدى الغرب أكثر من عرب الصحراء(٤١) .

ويمكن أن نستشف وضع مفوضي ابن سعود من خلال شرح حافظ وهبه لنوكس، في النقاط الآتية :

١) سيطر سلطان نجد على وادي السرحان ، عدا قريات الملح ، التي تركها ابن سعود بسبب المعارضة البريطانية ، ولوقوعها شمال وادي سرحان .

٢) ونتيجة لذلك ، فإن المقترح البريطاني المقدم لابن سعود بالتنازل عن واحات تربة والخرمة وخيبر مقابل وادي السرحان لم يكن مقبولاً لديه ، وسيكون مستعداً للتنازل عن تربة أو القبول بأن تكون خيبر وتربة منطقتين عازلتين ، وعلى كل الأحوال ، فلن يتنازل ابن سعود عن الخرمة .

٣) ومثل هذا التنازل - لو حدث - سيكون مقابل تنازل الشريف حسين عن القنفذة وتعهده بعدم التدخل في شؤون عسير ، كما يلزمه ، مثل ما فعلت العراق ، الاعتراف بأقاليم نجد التي حُددت بمعاهدة المحمرة[٤٢] .

وكان الطريق إذاً مسدوداً بين نجد وشرق الاردن ، كما كان الحال بين نجد والعراق . وفي ٣٠ يناير ١٩٢٤م ، أجَّل نوكس - بسبب مرضه - المؤتمر مقترحاً على سكرتارية الدولة للمستعمرات أن تسمح له بمقابلة ابن سعود من أجل إجباره على تقديم التنازلات ، إلا أن مقترحه رفض ، واستؤنف المؤتمر في شهر مارس . وفي فبراير من العام نفسه ، كرر نوكس طلبه مقابلة ابن سعود ومحاولة انتزاع تنازلات منه تحت التهديد بحصار إقتصادي . وكان رأي سكرتير الدولة للمستعمرات أن مثل هذا الإجراء سيكون مغامرةً ، و سيؤدي إلى قطع المفاوضات، ومن الحكمة تجنب ذلك بأي ثمن ،مع الرفض القاطع لمنح ابن سعود أقاليم تفصل العراق عن شرق الأردن[٤٣] .

وفي ٣ مارس ١٩٢٤م حدث أمر جلل ، زاد من معوقات المؤتمر ، وتسبب في فشله النهائي ، فقد الغى التجمع الوطني التركي الكبير الخلافة العثمانية ، فسارع الشريف حسين بعد ذلك بيومين الى إعلان نفسه أمير المؤمنين وخليفة الرسول ﷺ[٤٤] ، وفي ١١ أبريل من العام نفسه ، حُلّ مؤتمر الكويت ، وكان بالنسبة لابن سعود ، آخر حركة تكتيكية دبلوماسية لاحتواء غارات الإخوان ، والحفاظ على التحالف البريطاني . مثل مايقول كولينس :

« يعتبر ابن سعود المسؤول الرئيس عن فشل المؤتمر ، لأنه كما يبدو لم يرغب في نجاحه ، لذلك رفض كل التسويات المقترحة ، حتى تلك التي حظيت بموافقة الملك فيصل ، ولم يقبل حُجج الآخرين . وأخيراً فإن رفضه إيفاد أحد

أبنائه يشير بجلاء إلى أنه يعتبر هذا المؤتمر وسيلة تمارسها السلطات البريطانية لحل المشكلات العربية بالمفاوضات حفاظاً على مصالحها(٤٥) . لقد سيطر على مؤتمر الكويت صدى الغارات المتبادلة على الحدود النجدية - العراقية ، و تقدم الإخوان باتجاه شرق الأردن وباتجاه منطقة المدينة المنورة ، و العلا . وبالطبع فإن إهتمام الزعماء العرب المعنيين ينصب على مدوالات الكويت . بينما استغل ابن سعود الجو الدبلوماسي للمؤتمر غطاءاً لتحركات الإخوان . وفي ربيع عام١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م أضحى ابن سعود الوحيد من بين الزعماء العرب ، الذي يتمتع باستقلال حقيقي ، يستند على قاعدتين : قَبَليّه وتقليدية . بينما بدا الشريف حسين وابناه فيصل وعبدالله مثل الدُّمى لبريطانيا . وهذا ما يشير إليه فيلبي :

« حديثا قيل في البرلمان : إنه بفضل أمير شرق الأردن ، تستطيع بريطانيا أن تحصل على سلسلة من القواعد على امتداد الخط الجوي الى بغداد . وهذا على النقيض بالنسبة «لسلاح الجو الملكي» في وجوب بقاء الأمير الحالي عبدالله في شرق الأردن »(٤٦) . وبالنسبة للشريف حسين فإنه لم يستفد من الدعم العسكري البريطاني ولكنه كان قد تسلَّم معونات مُرضية ، ولم يكن وضع فيصل مختلفاً عن أبيه وأخيه . أما ابن سعود فلم يكن لديه وسائل تكتيكية توهم الآخرين بأنه أقصى نفسه عن الإخوان ، ثم إن عليه أن يخطط للمستقبل ، مدفوعاً بأسباب اقتصادية و سياسية و دينية ، نحو ضم الحجاز والأراضي المقدسة . ويمكن للعوائد السنوية للحج في مكة المكرمة و المدينة المنورة أن تحل محل المعونات البريطانية ، وتعينه على ترسيخ حكمه(٤٧) .

لقد بدأ وضع الهاشميين يتدهور . في عام ١٣٤٣هـ/ ديسمبر ١٩٢٤م وصف نوكس في الكويت ميزان القوى بين ابن سعود والهاشميين ، فقال : إن

الشريف حسين أمسى بعيداً عن تحقيق طموحاته ، في استعادة واحاته من الإخوان، حتى ابنه فيصل ملك العراق ، كان مهيئاً لأن يرى المدينةالمنورة المتأثرة بالسلفية ، وقد انضمت الى ابن سعود ، أما في جدة - كما ورد في تقرير القنصل البريطاني في جدة - فيتجه الرأي العام وكذا حكومة الشريف الى التسليم بعملية وشيكة يقودها ابن سعود على المدينة المنورة(٤٨) .

جنى ابن سعود ثمار تكتيكه المتمثل في تسلل الإخوان إلى الخرمة وتربة ، حتى أصبحوا على مقربة من الطائف ، وكانوا قد انتشروافي أبها وداخل عسير ، وخيبر وتيماء ، وفي العلا ، مما مكنهم من حصار المدينة المنورة والحجاز دينياً وعسكريا . الأمر الذي جعل الشريف يترافع باسم القبائل المنضوية تحت لواء ابنيه عبدالله وفيصل ، القاطنة على حدود نجد ، التي تعاني من الغارات النجدية ، معلناً أن صبره قد نفد ، وهدد بأنه سيتصرف إذا لم توقف السلطات البريطانية تلك الاعتداءات(٤٩) .

في عام ١٣٤٢هـ/ مارس١٩٢٤م كثّف ابن سعود إستعداداته العسكرية ، واستدعى الإحتياط من الإخوان من قراهم وبواديهم وجهّزهم(٥٠) . وفي هذا الشهر قام الإخوان بعمليات واسعة في العراق ، وقد اعترف بها ابن سعود(٥١) . وفي أغسطس من العام نفسه ، تجاوزت غارات الإخوان وادي السرحان وبلغت إلى مسافة ثمانية كيلومترات من عمّان . ولكن قوة منهم مكونة من خمسة آلاف رجل قُصفت من «سلاح الجو الملكي» الذي انطلق من القدس، ومن الدبابات المصفّحة(٥٢) .

كان حكم الشريف حسين في الحجاز غير صالح . ولم يبن على أعراف الصحراء ، كان الشريف صلباً مع شعبه ، لا يقبل نقداً ولا شكاوى . متأثراً

بأسلوب بلاط العثمانيين ، بينما كان ابن سعود شعبياً ، يختلط بحضره وباديته . ثم إن الشريف لم يوفق الى اثبات شرعية حكمه ، ولم يدرك أهمية الصحراء بالنسبة لمدنه التي تحيط بها وأن سكانها لهم وشائج نسب وقربى مع الصحراء ، وأن كل سلطة لا تولد من الصحراءوفيها ، ستكون بالتأكيد مرفوضه كأنهاسلطة أجنبية . حتى في الحجاز ، كانت المدن نتاج الصحراء ، والذي يحكم الصحراء ، يحكم المدن ، لا العكس .

لقد أخطأ الشريف عندما قطع علاقته مع العثمانيين عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م لأنه لم يتوصل الى معاهدة جادة مع بريطانيا التي أرتكبت غلطة ، باعطاء الشريف الحق في التحدثّ والتصرّف باسم العرب ، في حين أنه لن يكون صوت العرب والمتحدث باسم البريطانيين في آن واحد . وحاولت بريطانيا بعد الحرب أن تؤطر علاقاتها مع الشريف فلم تفلح ، وأدَّى ذلك الى تبرم كثير من المسؤولين الكبار من سياسة الشريف [٥٣] . وأكبر من ذلك إعلان نفسه خليفة . يقول انتينوس :

« قوبل اعلان نفسه خليفة برفض من الرأي العام الاسلامي ، ومنح ابن سعود، ومسلمي الهند حججاً لمعارضة سلطته ، وفقدان الثقة فيه » .

« حاول الشريف الخروج من عزلته ، فتوجه تلقاء بريطانيا ، فلم يحظ بجواب، لأن الرأي في «وايت هيل » كان ضده ، بل أعتبر أمره مضحكاً ، ومطالبه خطيرة »[٥٤] . وفي ٢٩ مارس ١٩٢٤م ، أرسل القنصل البريطاني في جدة تقريراً حول ردود الفعل ، داخل المدينة ، وحول اعتلاء حسين عرش الخلافة .

وكتب :

« فوجئت جدة باعلان الشريف نفسه خليفة ، واعتبر سكان جدة ذلك مثار سخرية ، ومدعاة ضحك »[٥٥] .

ضم الحجاز :

أدَّى وقف المعونات البريطانية للشريف حسين الى ضعف مركزه داخل النطاق الهاشمي ، ووهنت مقاومته ، في الوقت الذي كان فيه ابن سعود يضع استراتيجية تجاوزت حدود الجزيرة الى فلك العالم الإسلامي ، الذي يتابع بقلق أوضاع الأماكن المقدسة ، والانتقادات العربية والإسلامية الموجهة ضد سياسة الشريف ، والنزاع الذي نشأ بين الشريف ومصر حول وفد الحج المصري إلى الحج وتكوينه ، في عامي ١٣٤٢ و١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م و١٩٢٤م ، كل ذلك أثار ردود فعل عنيفه حول إقامة الشريف حسين في هذه المنطقة [٥٦] .

وكان يجب على ابن سعود أن يتعامل مع ما جدَّ على الساحة الحجازية من خلال بوابة إسلامية . ففي ٢ يونيو ١٩٢٤م ، وجه الأمير فيصل بن عبدالعزيز بياناً إلى « العالم الإسلامي والأمة العربية» رفض فيه مطالب الشريف حسين بالخلافة ، وأعلن أن أسرة آل سعود عليها من الآن فصاعداً أن تحلَّ محلّ الهاشميين في قيادة الوطنيين العرب[٥٧] . وكان ابن سعود قد طالب الشريف حسين بالتخلي عن الخلافة وادعاء زعامة العرب وذلك يوم ٢٥ مايو من العام نفسه [٥٨] . وفي أواسط عام ١٣٤٢هـ/ ٤ يونيو ١٩٢٤ ، دعى عبدالرحمن الفيصل والد ابن سعود وإمام النجديين إلى إجتماع كبير في الرياض ضم العلماء، وقادة نجد ، وممثلي قبائل نجد المقيمة ، وتلك التي قدمت من خارجها ، وذلك لإعداد حملة تجبر الشريف على ترك زعمه بالخلافة . وتظافرت عناصر تحرك النجديين نحو الحجاز ، وبدا ذلك « جهاداً مشروعًا » ضد الشريف الذي تجاوز حده في مطالبه ، حتى بريطانيا ضاقت به ذرعاً فلم تهتم بمصيره . وخلال تجمع الرياض ، أعلن ابن سعود أمام الملأ عزمه على توحيد وجهات النظر الإسلامية حول وضع البقاع المقدسة ،

وأشار الى أن مكة والمدينة في حال ضمهما ، سيحظيان برعاية وحماية السعوديين، في إطار اهتمام العالم الإسلامي قاطبة بهما(٥٩).

جاء أول رد فعل اسلامي مؤيداً لابن سعود ، من «جمعية الخلافة في الهند» وذلك في رسالة اليه ، ورد فيها :

« إذا كان الشريف حسين قد رفض مقترحاتنا ، فنحن نرى ضرورة مهاجمته واحتلال أراضيه لكي يستعيد عرب الجزيرة الفتهم واتحادهم »(٦٠) .

لقد وضع ابن سعود مشروعه في الحجاز تحت مظلة التأييد الإسلامي ، ضامناً عدم تدخل بريطانيا في مسألة إسلامية ، باعتبارها قوة نصرانية ، وسوف ينحصر تدخلها في سفر وإقامة الحجاج من رعاياها المسلمين . وأكد ابن سعود الصبغة الدينية لاهتمامه بالحجاز، في رسالة وجهها إلى فيلبي رداً على رسالة بعثها فيلبي عارضًا عليه التوسط بينه وبين علي بن الحسين ، وفحوى رسالة ابن سعود :

« أشرتم في رسالتكم الأولى أنكم تريدون رؤيتي لمناقشة المشكلات الشخصية، ثم المحتم إلى الخلافة الحالية . صديقي العزيز ، إذا كان الهدف من رؤيتي التحدث حول مسائل شخصية تهمنا نحن ، فنرحب بذلك ، ومستعدون لمقابلتكم خارج منطقة الأماكن المقدسة ، في بحرة مثلاً . ولكن إذا كانت نيتكم التدخل في شؤون الحجاز ، فلا أرى بحث هذه المسألة . إن هدفي الرئيس ابعاد الشريف حسين وبعد ذلك ، سأترك المجتمع الإسلامي يجد حلاً . وليس من مصلحتي ولا مصلحتك ، صديقي العزيز ، بأن تصبح وسيطاً في مشكلة إسلامية محضة»(٦١) . وفي رسالة سابقة ، كتب ابن سعود أيضا إلى فيلبي : « يجب أن أقول لك : إنه منذ بداية هذه المسألة ، والرأي العام مجمع بشكل قاطع على أن أبناء الشريف حسين أصبحوا غير مقبولين »(٦٢) .

ولأن ابن سعود تمحور حول الضرورة الدينية ، فإنه حاول إبعاد السلطات البريطانية عن كل تدخّل . وأشعر جمعية الخلافة في الهند ، و القيادات الإسلامية بأنه يرنو الى خدمة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة . يقول توينبي ، في معرض حديثه عن جمعية الخلافة في الهند :

« يعتمد أعضاء الجمعية على الأمير عبدالعزيز بن سعود قائد الوهابيين المتمسك بحزم ، ليتصرف وكأنه سيف الإسلام المصلت في ميدان رئيس من الجمهورية التركية »[٦٣] .

وبموازاة تلك الحركة الدبلوماسية ، جهز ابن سعود حملته العسكرية . وخلال صيف عام١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ، استعان بالإخوان على كافة الجبهات الشمالية ، وعلى امتداد سكة حديد الحجاز ، وإلى الشمال من وادي السرحان حتى مشارف عمّان ، وعلى الحدود العراقية ، ليلفت انتباه السلطات العراقية والشرق أردنية والبريطانية . وفي الوقت نفسه ، ركز ابن سعود قوته الكبيرة من الإخوان في الخرمة وتربة تحت قيادة سلطان بن بجاد . وفي صفر ١٣٤٣هـ/ ٢٩ أغسطس ١٩٢٤م ، تقدم سلطان بن بجاد نحو الطائف[٦٤] . وفي الطريق ، انخرط مؤيدون في صفوف الإخوان وفي ٨ صفر / ٥ سبتمبر ، انضم سكان الطائف بأمر من خالد بن لؤي إلى الإخوان ودخلوا الطائف . وقام خالد بن لؤي ، بمداهمة للمنازل ، وملاحقة للسكان . فاضطر علي بن الحسين الى الفرار[٦٥] .

جاء في تقرير القنصل البريطاني في جدة السير ريدر بولارد في ٢٨ سبتمبر أن سكان جدة تلقوا نبأ دخول الإخوان الطائف بسعادة غامرة[٦٦] . أما ابن سعود فقد تعجب من سهولة سيطرة الإخوان على الطائف ،« بل إن مقدمة جيش الإخوان طاردت فلول المنهزمين من قوة الطائف وجيش علي بن الحسين حتى

حدة، على طريق جدة » . وأصدر ابن سعود أوامره بوقف كل العمليات فوراً ، ثم المضي قُدماً نحو مكة المكرمة . وكانت غايته من ذلك ، تقويم ردود الفعل الأجنبية وبخاصة بريطانيا ، التي وجهت في ١٢ سبتمبر تحذيراً إلى الإخوان بضرورة احترام أرواح وممتلكات الرعايا البريطانيين المقيمين في الحجاز[٦٧] . وهذا الرد الفعلي المبدئي للحكومة البريطانية يعطي ابن سعود من ناحية تحليلية ، انطباعاً بأن الحكومة البريطانية قررت عدم التدخل عسكريا طالما أن رعاياها ليسوا في خطر . ورغم كل ذلك ، فإن ابن سعود يدرك أن ثمة ضغوطاً يمارسها الأمير عبدالله في شرق الأردن، والملك فيصل في العراق من أجل تدخل بريطاني لصالح أبيهم ، الذي مافتيء يلتمس المساعدة من بريطانيا منذ خسارته في الطائف، مذكراً بالدور الذي قام به إبان الثورة العربية[٦٨] .

وفي ١٣ سبتمبر من العام نفسه ، وجه سكرتير الدولة للمستعمرات برقية الى ابن سعود ، عبر المقيم السياسي في بوشهر ، أكد فيها تمسكه بما أرسله إلى بولارد حول نوايا الإخوان :

« علمت حكومة صاحب الجلالة دخولكم الطائف بواسطة قوات عربية ، وصفت بأنها وهابية ، قدمت من خارج الحجاز ،وهي الآن تتقدم صوب مكة . وحكومة صاحب الجلالة لا تعلم إن كان ابن سعود مسؤولاً عن حركة تلك القوات أم لا . ومن الضروري تذكيره هنا بالمادة الخامسة من المعاهدة التي وقّعها مع حكومة صاحب الجلالة ، المتعلقة بحماية الرعايا البريطانيين سواءًا المقيمين منهم، أو القادمين للحج من خطر القبائل الموالية لابن سعود . وتنتهز حكومة صاحب الجلالة هذه المناسبة لتوجه نظر ابن سعود الى مسألة أكثر جدّيّة ورسمية، تتمثل بحرية الدخول إلى الأماكن المقدسة الإسلامية بحيث يمكن أن يستفيد منها

الحجاج البريطانيون . وإن الحكومة على ثقة من أن ابن سعود سيرعى حرية الدخول و سيعطي الأوامر الضرورية لقواته »[٦٩] .

ماذا يمكن أن نستنتجهُ من هذا النص ؟ من الملاحظ أن هذا النص لايشير البتة إلى الشريف حسين ومن ذلك يستنتج ابن سعود منطقياً أن بريطانيا لم تعد تهتم بمصير الشريف حسين . وكان رد الفعل البريطاني هذه المرة مختلفاً عما كان عليه الحال في صيف عام ١٣٣٦هـ/ مايو ١٩١٨م ، حينما سيطر سلطان بن بجاد و خالد ابن لؤي على الخرمة ، مما دعا الحكومة البريطانية - آنذاك - الى توجيه إنذار واضح الى ابن سعود ، خشية أن يواصل تقدمه الى الطائف[٧٠] . أما البرقية الآنفة الذكر فقد أشارت بأسلوب حذر الى دخول الطائف بواسطة عناصر عربية ، توصف بأنها وهابية .

وكذا الاتهام الموجه لابن سعود حول مسؤوليته عن عملية الطائف لم يكن مباشراً ، وهُنا أيضا اختلف الأسلوب عن أسلوب برقيات الاحتجاج المرسلة إلى أمير نجد إثر غارات الإخوان السابقة على شرق الأردن أو على العراق[٧١] . كما أن هوية منفذي عملية الطائف ، لا يمكن أن تسحب بذيولها على المعاهدة الموقعة في عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م بين ابن سعود وبريطانيا بحيث يمكن أن يؤثر ذلك على سير عمليات الإخوان في الحجاز . وأشارت البرقية إلى«حرية دخول الحجاج البريطانيين الى الأماكن المقدسة» وهو تعهد الزم به ابن سعود نفسه ، باستهلال دبلوماسي : «وتنتهز حكومة صاحب الجلالة هذه المناسبة» والبرقية تغلب عليها مصطلحات الاستحسان لا التحذير .

وبإستلام هذا التبليغ ، تأكد لدى ابن سعود أن بريطانيا لن تتدخل لصالح الشريف حسين ، وأن الطريق الى مكة وبقية الحجازمفتوح . وفي ٣٠ سبتمبر عام

١٩٢٤م ، أرسل سكرتير الدولة للمستعمرات ، برقية إلى كبار المفوّضين في العراق وفي فلسطين لكي يمنعوا فيصل وعبدالله عن المجيء لمعاونة أبيهم ، تأكيداً على حياد الحكومة البريطانية في هذا الشأن ، معلناً أن الحكومة البريطانية لن تتدخل إلا إذا طلب الطرفان المعنيان التدخل[٧٢] . وفي ٣ اكتوبر أرسل ابن سعود رسالة إلى المقيم السياسي في الخليج العربي جوابا على البرقية البريطانية ، أبدى فيها على وجه الخصوص أنه مستعد للمناقشة مع الحكومة البريطانية حول تعويضات الرعايا البريطانيين الذين قتلوا أثناء دخول الطائف و « أنه أعطى أوامر أكثر تشدداً بحماية غير المحاربين والأجانب وأن يطلق سراح السجناء ، وعلاوة على ذلك ، فسيرسل ابنه في الحجاز مع القوات الضرورية . . »[٧٣] .

وقد كسب ابن سعود الجولة . أولاً ، باعتماده على الناحية الدينية وهو يتحرك نحو الحجاز ، وثانياً ، بسبب أخطاء الشريف حسين . لقد استطاع ابن سعود أن ينجز في عام١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م مالم يسطع إنجازه عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م . يقول ترولر :

« لا تستطيع بريطانيا – لكونها قوة نصرانية – أن تبعث بقواتها الى الأماكن المقدسة الإسلامية . كما أنها لا تقدر علي زج الأفواج الهندية المسلمة في مسألة الحجاز ، بسبب هيجان جمعية الخلافة في الهند »[٧٤] . إذاً ، فأول معارضة قد أزيلت ، والتي كانت – بنظر ابن سعود – الأكثر أهمية ، أما المعارضة الأخرى ، المتعلقة بالعالم الإسلامي ، فقد كانت سهلة في تجنبها وأقل تهديداً وقتذاك .

وفي٤ ربيع الأول عام ١٣٤٣/ ٣ أكتوبر ١٩٢٤م ، طلب أعيان مكة المكرمة وجدة من الشريف حسين التنحي عن عرش الحجاز[٧٥] ، شجعهم الى ذلك ، عزلة الشريف ، وزوال شعبيته ، حتى عند أولئك الذين اغتنوا في بلاطه .

وصف السير ريدر بولارد بأسلوبه أهل الحجاز قبل دخول ابن سعود ، بأنهم سذَّج ، يحتال بعضهم على الحجاج ، ويكرهون الشريف حسين ، وأنهم رأوا في النجديين محررين لهم منه(٧٦)(م٥) .

وتنازل الشريف حسين لابنه الأكبر علي ، الذي عرض على ابن سعود في ٦ ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ/ ٥ أكتوبر التفاوض ، وجاء هذا العرض ليؤكد لسلطان نجد أن بريطانيا أصمَّت آذانها عن استجداءات الهاشميين ، فرفض ابن سعود العرض(٧٧) . وفي الأسبوع التالي ، سيطر الإخوان على مكة المكرمة منادين في كل أنحاء المدينة أن كل الحجاج من أي مكان يمكنهم ممارسة حجهم بكل حرية وأن أمنهم وممتلكاتهم هم وكافة سكان المدينة مكفولة(٧٨) . وتجاوب هذا النداء مع تطلعات العالم الإسلامي ، وحرص بريطانيا على أمن رعاياها المسلمين . وفي الوقت نفسه ، تقدمت قوات ابن سعود نحو رابغ ، واتجهت بمحاذاة ساحل جدة ، نحو القنفذة والليث . ولم يبق بيد الشريف علي سوى جدة و المدينة المنورة وينبع البحر .

بعد دخول مكة ، توقف ابن سعود ، ليقوِّم النتائج ، وهذا مافعله بُعيد ضم الطائف ، واستقرأ صدى الأحداث لدى العالم الإسلامي ، وفي أكتوبر من العام نفسه ، استلم برقية من «جمعية الخلافة في الهند» تشير إلى أن على الهاشميين من الآن مغادرة الحجاز ، وتأطير الوضع الجديد للأماكن المقدسة بشكل يحقق أماني العالم الإسلامي(٧٩) .

كان أمام ابن سعود خياران : الأول ، أن يمضي في خططه الاستراتيجية ، فيضم الحجاز الى أقاليمه ، دون أو يؤثر على خطه الديني الذي بدأه منذ صيف

(م٥) عمم بولارد تهماً ، لم تكن ديدناً لأهل الحجاز ، ويبدو أن وراء ذلك موقفاً شخصياً ، فأعرضناعنه . [المترجمان] .

١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ضماناً لعدم تدخل بريطانيا لصالح الشريف علي . والخيار الثاني : أن يترك مسألة الحجاز للحل الإسلامي ، ويترتب على ذلك تدخل الأوساط الإسلامية العالمية في شؤون الحجاز ، وهذا ما يعارضه ابن سعود خشية زج المنطقة في أتون خلافات إسلامية ، ولكنه تريث في اتخاذ موقف مغاير . وكان عليه أن يمتص غضب الرأي العام الإسلامي إزاء المذبحة التي نفذها الإخوان في الطائف . و في ١٦ أكتوبر ١٩٢٤م ، أعلن ابن سعود للملأ أنه يقبل بتصورات مسلمي الهند التي عبروا عنها في برقية جمعية الخلافة في الهند ، وأنه على استعداد لمناقشة الأمور إسلامياً [٨٠] . وكان ابن سعود قد عقد في الرياض في ٢٥ سبتمبر ، عقد ابن سعود في الرياض لقاءاً واسعاً ضم العلماء ، وقادة الإخوان ، و مندوبين من دول عربية أخرى ، أعلن فيه عن عزمه على إقصاء الشريف حسين ، من الحجاز ما خلا مكة المكرمة [٨١] . ولكن عندما وجد ابن سعود مساندة إسلامية ، وبخاصة من جمعية الخلافة في الهند ، التي أرسلت اليه تؤيده ، وبعدما تنحى الشريف حسين لابنه علي ، تشجع ابن سعود نحو ضم الحجاز بأكمله ، بعد أن يرحل الهاشميون . وفي نهاية شهر أكتوبر من العام نفسه ، دعى ابن سعود للمرة الثالثة إلى لقاء في الرياض، بحضور وفود عراقية ومصرية و سورية . وبهذه المناسبة ، كرر ابن سعود تأكيده على أن تدخله في الحجاز لم يكن إلا لضمان حرية الحج . وأبدى رغبته في عقد لقاء إسلامي للتشاور حول أوضاع الأماكن المقدسة . الأمر الذي يتطلب تأييداً إسلامياً له لإقصاء الهاشميين [٨٢] .

واجه ابن سعود - كما يقول توينبي - معضلة في الخلفية المشوهة عن «الوهابية » لدى بعض المسلمين [٨٣] ، وذلك منذ أن دخلت قوات الدولة السعودية الأولى الحجاز، وقامت قوات محمد علي المصرية بإبعادهم باسم العثمانيين ، فقد مثلت هذه الأحداث في ذاكرة العالم الإسلامي ، وزادت من قلقه

وتخوفه [٨٤] : في الهند ، تباينت الآراء[٨٥] . وفي فلسطين و سوريا ، و العراق ، كان هواهم هاشمياً ، بحكم تبعيتهم لابني الحسين ، عبدالله وفيصل ، ولأن صدى الثورة العربية مازال ماثلاً في الأذهان[٨٦] ، وبادر المجلس الإسلامي الأعلى الفلسطيني ، الى مناشدة ابن سعود بإيقاف كل العمليات العسكرية ، مستنفراً القوى الإسلامية[٨٧] .

وفي جنيف ، تأثرت ثلة من المثقفين السوريين والمصريين بوجهة نظر جمعية الخلافة في الهند ، وتبنوا رؤية معتدلة تجاه الشريف حسين والعثمانيين ومسألة الخلافة[٨٨] . لهذه الأسباب مجتمعةً تصرف ابن سعود بحكمة ، وأعلن في هذا اللقاء الثالث في الرياض ، إمكان عودة جميع الوجهاء الذين نفاهم الشريف حسين ، وإعادة ممتلكاتهم وأموالهم التي صادرها الهاشميون . وأخبر بأن هناك سلطة مؤقتة ، ستشكل في الحجاز ، مؤلفة من الأعيان والوجهاء ، برئاسة أحد أبنائه . وهذه السياسة ، قد وافق عليها مسلمو الهند بواسطة زعيمهم شوكت علي ، الذي هو عدو للسلطة الإستبدادية التي كانت في الحجاز . وأخيراً، أرسل ابن سعود بياناً إلى العالم الإسلامي متضمناً الاعلان رسميا بأن قواته قد دخلت مكة المكرمة ، وأنه متجه بنفسه إلى المدينة المقدسة ويدعو كل مندوبي العالم الإسلامي الى الالتقاء في مكة المكرمة للتباحث حول أوضاع الأماكن المقدسة[٨٩] .

وبهذه التصريحات ، سعى ابن سعود إلى تحقيق هدفين : تهدئة مخاوف العالم الإسلامي من نتائج الضم السعودي للحجاز ، وتقريب وجهات النظر بين علماء نجد وعلماء الحجاز وأعيانه ، مقدراً دورهم في تهيئة الأجواء للحكم الجديد. ومن جهة أخرى أبدى ابن سعود احترامه لكل الآراء العربية والإسلامية ،

دون أن ينحاز الى فريق ضد فريق ، لئلا تعتبر المسألة شأناً عربياً، ولكن دعوته الى لقاء إسلامي في مكة لم تلق إجابة ، واعتبرت مصر هذا اللقاء ، على حساب مؤتمر تعد لإقامته في ربيع عام١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م يناقش مسألة الخلافة(٩٠) . ولم تلق دعوة ابن سعود قبولاً من تركيا ، والعراق ، وشرق الأردن ، وسوريا ، وإمارات الخليج العربي ، وفلسطين . أما جمعية الخلافة في الهند فقد قبلت الدعوة ، ووصل وفدها إلى جدة في ٢٤ديسمبر عام ١٩٢٤م (٩١) . وغادر في ٦ فبراير عام ١٩٢٥م بعد محاولة التوسط بين علي بن الحسين و ابن سعود واقتنع أعضاء الوفد بضرورة إبعاد الشريف علي ، آخر الهاشميين ، من الحجاز (٩٢) . وهذا الإخفاق في الوساطة ، وتأييد مسلمي الهند ، منح ابن سعود تصميماً على استكمال ضم الحجاز .

ومنذ وصوله إلى مكة المكرمة، في ١٢ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ/ نهاية ١٩٢٤م، أخذ ابن سعود يفكر في انتهاج سياسة ، تتناسب ووضع الحجاز ، وتؤمن أمنه ، وحرية الحج ، وأراد الإفادة من خبرة وجهاء مكة مثل الشريف على حيدر ، وسعيد أحمد السنوسي(٩٣) ، وأخذ يمهد لضم الإقليم الى سلطانه(٩٤) .

وفي٢٨ من ذي الحجة ١٣٤٣هـ/ ٢٠ يوليو ١٩٢٥م ، نشر ابن سعود منشوراً موجه للعالم الإسلامي يشكر فيه جمعية الخلافة في الهند على دعمها ويقترح من جديد عقد إجتماع للقاء إسلامي في مكة المكرمة(٩٥) .

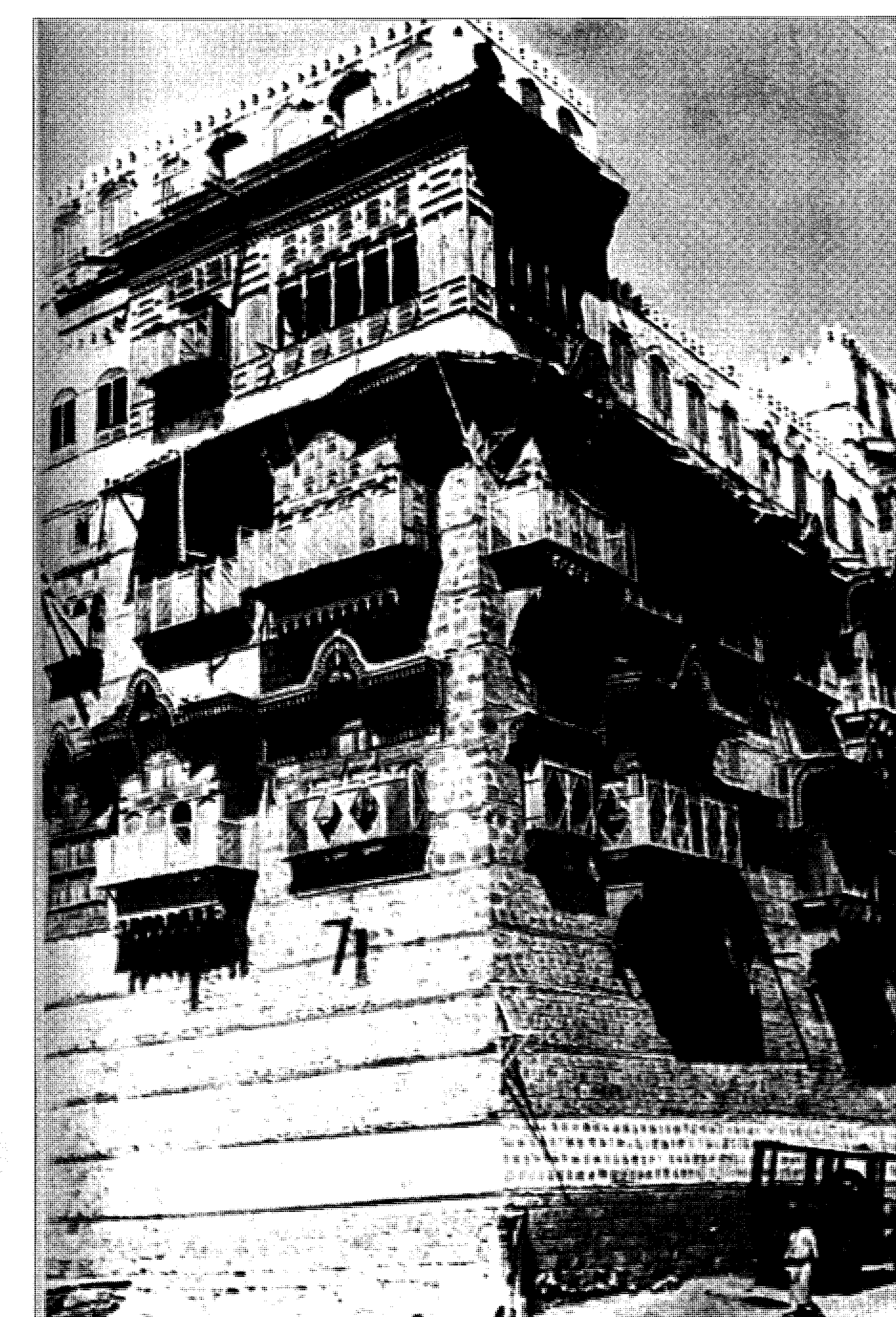
وفي ٨ ربيع الآخر عام ١٣٤٤هـ/ ٢٦ أكتوبر ١٩٢٥م وجه سلطان نجد مذكرة للحكومات التركية و المصرية والعراقية والأفغانية والفارسية أكد فيها على أنه لم يكن لديه أي طموحات شخصية في ضم الحجاز و أهله . وأنه يسعى الى إيجاد حكم مستقر ، يضمن الأمن والعدل للجميع ، ويحافظ على الأرواح

منظر للسور الداخلي للرياض عام ١٩١٧

الحصن القديم للطائف كما يبدو في العشرينات الميلادية



فيلبي ومرافقوه في جدة عام ١٩١٨ حيث يبدو يمين الصورة


71

منزل البغدادي في جدة

ذج لمنزل في جدة عام ١٩٢٠ سكنه فيلبي خلال الثلاثينات الميلادية

منظر من جدة ١٩٢٦

والممتلكات، وحرية الحجاج وحمايتهم . في ظل دستور مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ(٩٦) .

جاءت هذه المذكرة لتطمئن زعماء العالم الإسلامي على وضع الحجاز ، ليخطو ابن سعود الخطوة المهمة المتمثلة في إعلان نفسه ملكاً على الحجاز .

كان موسم حج ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م محك اختبار ، نجح فيه ابن سعود ، فقد كان ميناء جدة وهو المعبر الرئيس لحجاج البحر الى مكة ، وكذا ميناء ينبع البحر ، تحت سيطرة علي بن الحسين ، بينما اختص ابن سعودبمكة المكرمة . الأمر الذي أعاق وصول الحجاج الى المشاعر المقدسة هذا العام . فنشر ابن سعود في رجب ١٣٤٤هـ/ ٢٥ فبراير ١٩٢٥م بلاغاً إلى كافة المسلمين ، يشير الى أنه بسبب الحصار الذي فرضه علي بن الحسين على جدة ، فقد تقرر استقبال الحجاج من خلال موانيء رابغ ، و الليث ، و القنفذة ، ليصلوا آمنين الى مكة(٩٧) . وبالفعل تمكن ابن سعود من انجاح هذا الموسم بشهادة حاج بريطاني أدَّى فريضة الحج تلك السنة(٩٨) .

وبعد انتهاء الحج ، استأنف ا بن سعود عملياته الحربية ،وعسكر أمام المدينة المنورة وينبع البحر . فأستسلمت المدينة المنورة في١٩ جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ/ ٥ ديسمبر ١٩٢٥م وينبع البحر في جمادى الآخرة/ ٢١ ديسمبر ، من العام نفسه . لقد كان موقف علي بن الحسين في جدة حرجاً ، فأرسل في جمادى الآخرة/ ١٨ ديسمبر ، مذكرة إلى القناصلة في جدة يخبرهم بإنه سينسحب (٩٩) . ملتمساً وساطة القنصل البريطاني لينقل استسلامه إلى ابن سعود وأن يؤمن مغادرته(١٠٠) . وفي ١٩ ديسمبر مثل وفد من وجهاء جدة بصحبة القنصل البريطاني أمام ابن سعود لتقديم الولاء(١٠١) . وفي ٢٢ديسمبر ، غادر علي بن

الحسين أرض الحجاز إلى العراق ، وفي جمادى الآخرة ٢٥ من الشهر نفسه ، أعلن سلطان نجد رسمياً أما م القناصلة الأجانب العاملين في جدة نهاية الحرب . وفي هذا البلاغ ، أشار ابن سعود إلى الجهود التي قام بها لحماية الحجاز من ويلات الحرب، واقترح مجدداً ، عقد لقاء إسلامي في مكة للتشاور في وضع تصور لرعاية الأماكن المقدسة ، وحمايتها(١٠٢) .

وبعدة أيام من ضم جدة ، أجمع وجهاء مكة على أن يكون سلطان نجد وملحقاته هو ملك الحجاز ، شريطة أن يحكم بكتاب الله ، وبما صح من سنة رسوله ﷺ . ولقي هذا الاجماع تأييد وجهاء المدن الحجازية الأخرى ، وصيغ على هيئة « بيعة » ورفع الى ابن سعود للتوقيع عليه(١٠٣) .

وفي ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/ ٨يناير ١٩٢٦م ، بويع ابن سعود ملكاً على الحجاز في حفل مهيب ، أقيم في مكة المكرمة . وفي اليوم نفسه ، أنشأ ابن سعود مجلساً مكوناً من واحد وخمسين عضواً ، ضم من بينهم ثلاثة من رعايا نجد، وفي ٢٨ جمادى الآخرة/ ١٣ يناير من العام نفسه ، عَيَّن ابنه فيصلاً رئيساً للمجلس . وكوّن فيصل هيئة استشارية من ثلاثة : اثنان من الحجاز ، وواحد من نجد(١٠٤) . وفي ١٤ يناير لعام ١٩٢٦م نشرت وكالة مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها في القاهرة نصاً ، فحواه :

« وصلت الى سمو السلطان برقيات متعددة تعلن أن أهل الحجاز جاؤوا يبايعون السلطان عبدالعزيز ملكاً على الحجاز . وقد فضّل جلالته ، وبكل نزاهة ، أن يؤجل الاعلان . لكن شعب الحجاز ، وهو يمارس حقه في اختيار أميره ، الحَّ على جلالته بقبول بيعتهم له ، وقد تعهد جلالته في الحفاظ على حقوق المسلمين في الأماكن المقدسة . وأن جلالته يرحب بما من شأنه راحة الحجاج والزوّار وأمنهم»(١٠٥) .

جاء هذا البيان ليؤكد مسؤولية ابن سعود عن المستقبل السياسي في الحجاز ، وأنه لم يعد لأحد الحق في ذلك سواه ، وأن التشاور متاح للعالم الإسلامي فيما يتعلق بحرية الحج وأمنه .

لقد أصبح ابن سعود ملكاً على لحجاز ومعترفاً به من قبل بريطانيا و فرنسا والإتحاد السوفييتي وهولندا ، وهي قوى غير مسلمة تحكم شعوباً مُسلمة .

وظل ابن سعود في ربيع ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م في مكة ، ينظم إدارة الحجاز مع ابنه فيصل[١٠٦] ، وفي ٢٦ من ذي القعدة / ٧ يونيو من العام نفسه ، أُفتتح في مكة المؤتمر الإسلامي الذي دعى له ابن سعود ، حضره أكثر من ستين مندوبًا . وتناول المؤتمرون وسائل راحة الحجاج ، وتنظيم الحج . و تمت الموافقة على قرار واحد يختص بموضوع معان والعقبة ، وهما ضمن أراضي شرق الأردن ، ويخضعان لقوة غير مسلمة ، وهذا أمر اعتبره المشاركون مرفوضًا[١٠٧] . وهذا القرار تضمن دعم المؤتمر في مسألة تعيين حدود الحجاز إلى الشمال[١٠٨] .

في جمادى الآخرة عام ١٣٤٤هـ/ يناير ١٩٢٦م ، حقق ابن سعود أهم أهدافه الاستراتيجية بسيادة آل سعود على الأماكن المقدسة ، تلك الأهداف التي بدأ برسمها عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، وكان القنصل البريطاني في جدة ، قد تسلَّم رسالة من سلطان نجد ، يخبره فيها أن الأمير حسين الإدريسي الذي كان يحكم الجزء الساحلي لعسير ، ممّا لم يسيطر عليه ابن سعود في عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ، قد جاء ليقدم ولاءه لابن سعود[١٠٩] . وأصبح الإدريسي وكيلاً لابن سعود في عسير. وبذلك دان لابن سعود الشريط الساحلي للبحر الأحمر من العقبة إلى حدود اليمن.

خلاصة الباب الثالث

منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، كانت الحكومة البريطانية متشددة في ترتيب نظام سياسي في المشرق وفي داخل الجزيرة العربية ، مغفلة طموحات ابن سعود ، مما ورطها في أسلوبين : الأول دعم الهاشمين ، ونجم عن ذلك ظهور ممالك بإرادة انجليزية ، ممتدة بين البحر المتوسط والخليج العربي . أما الثاني ، فاعتمادها على الصراع بين زعماء الجزيرة العربية ، وتقديم الدعم لهم ، ليظل التأثير البريطاني ماثلاً في المنطقة .

وأمام هذا الوضع ، كان ابن سعود مُضطرا للمناورة في مجال لم تتعمق فيه بريطانيا رغم وضعها نظاماً خاصاً بسياسة الصحراء . فاعتمد ابن سعود على الولاء القبلي ، ونسج من عنصر « البدو » قوة لا يستهان بها ، وهم الذين يعتبرهم الغربيون جماعات منفرطة العقد ، لا يلتفون حول قائد واحد. لقد نظم ابن سعود «قوة الإخوان » على قواعد وأعراف محلية ، بمنأى عن أي تأثير دخيل .

وأبدى الإخوان مرونة ، سمحت لابن سعود أن يتحرك دبوماسياً باتجاه البريطانيين وعسكرياً شطر الهاشميين في آن . مما جعله يحافظ على معونات بريطانيا ، ويدرأ معارضتها ، ويمارس دبلوماسيته ومفاوضاته بمعزل عن الإخوان.

وفي الواقع ، فإن كل دبلوماسية ابن سعود نجحت في صبغ حركة الإخوان بشعار «الجهاد» ، دون أن يثير بذلك مخاوف بريطانيا ، وبهذا السلاح مد ابن سعود ظله على أجزاء كثيرة من الجزيرة ، وتوَّج أعماله في الحجاز بخروج الشريف

حسين وابنه علي من جدة . إن دخول الحجاز يعني انفتاح القبائل الداخلية على الأماكن المقدسة ، والبحر الأحمر . وأخيراً ، يمكن أن يكون ضم الحجاز الثمرة الحقيقية للثورة العربية .

هوامش الباب الثالث

المدخل

(١) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., p. 66-68.

(٢) Busch, Britain, India and the Arabs, op. cit., p. 321.

(٣) عن اتصالات ابن رشيد بالسلطات البريطانية، انظر برقية "Commander-in- chief" (Egypt) أو "War Office " في ١٧ أغسطس١٩١٨ :

no 3660, P.S.D.S.F. India Office Records, 2182/1913. (II).

وبرقية اللنبي الى F.O. ، في ١ يونيو ١٩١٩(III), Shuckburgh, Hirtzel, and Holderness. 8 .6.1919. IV.

وبرقية سكرتير الدولة لشؤون الهند الى ويلسون، في ١٩ يونيو١٩١٩ :

P.S.D.S.F. India Office Records 3161/1919.

(٣) Kelly, Eastern Arabian Frontiers, op. cit., p. 115.

(٤) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., p. 67.

(٥) Dickson's Diary, Dickson's Papers, Box 2 A, Folder V.

وكذا: صالح المطوع ، عقود الجمان في سيرة آل سعود في عُمان. وأيضاً:

Morsy Abdullah Muhammad, The United Arab Emirates. A Modern History, op. cit., pp.178-179.

الفصل الأول

(١) Captain Garland of the Arab Bureau on the Khurma Dispute, 4 June 1919, Annexe I, in lettre from Allenby to Curzon, 11 June 1919, no 6995, P.S.D.S.F. India Office Records 2182/1919. II.

تعليقات ويلسون على قضية الخرمة : ٨ أغسطس١٩١٩ :

no 6995, ibidem. III.

Philby, Arabian Jubilee, op. Cit., pp. 59-61. IV.

Troeller, The Birth of Saudi Arabia. op. cit. pp. 127-138.

(٢) Oriente Moderno, IV, op. cit., pp. 646-647.

وهذا المقال تجده مترجماً في : المقطم ، عدد ١٤ سبتمبر١٩٢٤ .

(٣) Philby, Memorandum to C.C. (Baghdad), 13.8.1918, P.S.D.S.F., India Office Records, no 5335.2182/1913.

(٤) Philby, Najd Report, op. cit.

(٥) انظر رسالة خالد بن لؤي الى ابن سعود، في ١٠ رجب ١٣٣٦هـ:

Philby's Papers, Box XV, File 5.

(٦) انظر رسالة خالد بن لؤي الى ابن سعود، في ٢٧ شعبان ١٣٣٦هـ: ibidem

(٧) انظر برقية من الدائرة السياسية في بغداد الى حكومة الهند في ٢٨ يونيو ١٩١٨ :

no 2240/116176, F.O. 371/3389.

(٨) انظر رسالة من ابن سعود الى خالد بن لؤي ، في ١٨ رمضان ١٣٣٦هـ:

Philby's Papers, Box XV, File 5.

(٩) Philby, Memorandum to C. C. (Baghdad), 13.8.1918. op. cit.

(١٠) انظر نهاية الفصل الأول من الباب الثاني.

(١١) انظر برقية من وينجت الى F.O. ، في ٢٦ أغسطس ١٩١٨ :

no 2240/147594/, F.O. 371/3390.

(١٢) انظر رسالة من خالد بن لؤي الى ابن سعود ، ١ من ذي القعدة ١٣٣٦هـ:

Philby's Papers, Box XV, File 5.

(١٣) انظر رسالة من ابن سعود الى فيلبي ، في ٢٢ من ذي القعدة ١٣٣٦هـ.

(١٤) انظر نهاية فقرة « أثر الصراع العثماني ـ البريطاني» في الفصل الثالث من الباب الثاني.

(١٥) Telegramme from Philby, to C. C. (Baghdad), 12.10.1918, no 2240/174691, F.O. 371/3390.

(١٦) انظر رسالة ويلسون الى ابن سعود، في ١٤ أكتوبر ١٩١٨ :

Philby's Papers, Box XV, File 5.

(١٧) انظر برقية من بغداد الى حكومة الهند في ١٨ نوفمبر ١٩١٨ :

no 2240/191471, F.O. 371/3390.

وللاطلاع على نص الإعلان الفرنسي ـ البريطاني ، أنظر :

Nevakivi, J., Britain, France and the Arab Middle East, 1914-1920, London, The Athlone Press, 1969. pp. 80-83, and Appendex B, or no 183683, F.O.371/3384.

(١٨) انظر تعليقات Shuckburgh على:

Nejd - Hedjaz Feud, 7 jan. 1919, no 873 P.S.D.S.F. India Office Records, 2182/1919.

(١٩) Captain Garland, 4 jun. 1919, op. cit.

(٢٠) انظر برقية ويلسون الى F.O. في ٢ مارس ١٩١٩ :

no 2240, F.O. 371/3390.

(٢١) انظر برقية سكرتير الدولة لشؤون الهند الى C.C. في ٣٠ مايو ١٩١٩ :

no 2903, P.S.D.S.F. India Office Records,n° 2182/1913.

(٢٢) انظر برقية اللنبي الى F.O. في ١٤ يونيو ١٩١٩ :

no 969 P. S. D. F. , n° 3298. India Office Records, 2182/1919.

(٢٣) انظر برقية اللنبي الى .F.O في ٢٥ يونيو ١٩١٩ :

no 970. P.S.D.S.F. no 3566, India Office Records, 2182/1919.

(٢٤) Foreign Office and India Office, 1 nov.1919, no 142/152298, F.O. 371/4147.

(٢٥) انظر رسالة من .F.O الى .I.O ، في ١٦ مارس ١٩٢٠ :

no 2123. P.S.D.S.F. India Office Records, 2182/1913.

(٢٦) انظر تقرير مهمة صادق حسن الى نجد ، من المكتب السياسي في الهند الى الوكيل البريطاني المعتمد في جدة ، في ٢٠ أغسطس ١٩٢٠ :

no 7439, P.S.D.S.F. India Office Records, 488/1920.

(٢٧) انظر برقية سكوت الى .F.O في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٠ : .no 6305, ibidem

(٢٨) أنظر مذكرة ديكسون الى وكيله في بغداد في ١٩ فبراير ١٩٢٠ :

Dickson's Papers, Box 2 A, Folder V.

(٢٩) Ibidem ، أنظر أيضاً برقيات ويلسون الى سكرتير الدولة لشؤون الهند ، من ٢٤ الى ٢٨ يناير ١٩٢٠ : F.O. 371/4147 ، وبرقية ديكسون الى ويلسون في ١٠ فبراير ١٩٢٠ : F.O. 371/4147

(٣٠) انظر مذكرة ديكسون الى وكيله في بغداد في ١٩ فبراير ١٩٢٠ : ibidem

(٣١) ibidem.

(٣٢) انظر رسالة ابن سعود الى ديكسون في ٦ فبراير ١٩٢٠ :

no 2780, P.S.D.S.F. , India Office Records, 2182/1913, II.

ورسالة ديكسون الى وكيله في بغداد في ١٠ فبراير ١٩٢٠ :

no 2780. ibidem. and, (III)

وبرقية الوكيل المعتمد الى سكرتير الدولة لشؤون الهند في ١٥ فبراير ١٩٢٠ :

no 1264, ibidem.

(٣٣) H . R . P. Dickson , Kuwait and her Neighbours. op. cit., p. 247.

(٣٤) Ibidem, p. 248.

(٣٥) H . R . P. DICKSON, Kuwait and her Neighbours. op. cit., p. 249.

(٣٦) Philby, Saudi Arabia, op. cit., pp. 279-280.

وبرقية كوكس الى سكرتير الدولة لشؤون الهند، ١١أكتوبر ١٩٢٠ :

no 7555, P.S.D.S.F. India Office Records, 6499/1920.

(٣٧) Ibidem. and: Busch ., Britain, India and the Arabs,, op. cit. , pp. 423-474.

(٣٨) Ibidem.

(٣٩) Aaron S. Kleiman, Foundations of British Policy in the Arab World. The Cairo Conference of 1921, Baltimore and London, The John Hopkins Press, 1970, p. 206.

(٤٠) H. Kohn, Nationalism and Imperialism in the Hither East. London, George Routledge and Sons, 1932, p. 308.

(٤١) انظر الفصل الرابع من الباب الثاني .

(٤٢) A. Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World. op.cit., pp. 105-138.

(٤٣) Benoist-Mechin, Ibn S`eoud ou la naissance d'un royaume, Paris, Albin Michel, 1955, p. 233 .

(٤٤) انظر برقية نائب الملك الى وزارة الهند ، في ٥ يناير ١٩١٨ :

no 2240/4279, F.O. 371/3389.

(٤٥) B. C. Busch, Britain, India and the Arabs,1914 - 1921, op. cit.

A. Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World, op.cit,

E. Kedourie, In the Anglo-Arab Labyrinth, London, Cambridge University Press .1976.

Antonius, The Arab Awakening. op. cit.

Troeller,, The Birth of Saudi Arabia. Britain and the Rise of the House of Sa'ud. op. cit.

A. C. Tibawi, Anglo - Arab Relations and the Question of Palestine, 1914 - 1921, London, Luzac, 1977.

(٤٦) " The British policy of Kingmaking in Iraq and Transjordan" .

G. Troeller, The Birth of Saudi Arabia , op. cit., p. 159 .

(٤٧) انظر بداية الفصل الأول من الباب الأول. ومعاهدة١٩١٥ في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٤٨) Lawrence, T. E. Seven Pillars of Wisdom : A Triumph. op. cit., p. 99.

وأيضاً، رسالة السير ريدر بولارد الى السير ريان ، غير مؤرخة :

(٤٩) Ibidem.

(٥٠) انظر رسالة ضاري بن طوالة الى ابن سعود في ١٥ من ذي القعدة ١٣٣٦هـ. يحذره من أطماع الدويش الذي يسعى ليكون أمير نجد :

Philby's Papers, Box XV, File 2.

(٥١) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., pp. 213-214.

(٥٢) Dickson, Note on the Political Situation in Najd at the End of July 1920, Dickson's Papers, Box 2A, Folder V.

(٥٣) انظر « ضم حائل» في الفصل الأول من الباب الثالث.

(٥٤) Dickson, Note on the Political Situation in Najd, op. cit., p. 5.

(٥٥) Dickson, Note on the Political Situation in Najd, op. cit., p. 5.

(٥٦) انظر نص هذه المعاهدة الموقعة في ١٤ فبراير١٩١٧ ، في :

Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East: A Documentary Record. Princeton , van Nostrand, 1959. 2 vols, Vol. II, pp. 12-13.

(٥٧) Busch , Britain, India and the Arabs, 1914 - 1921, op. cit., p .239.

(٥٨) Ibidem, pp .236-243.

(٥٩) عن نص هذه الاتفاقية ، انظر : " Ryan Papers, Box VI, File 7.

(٦٠) عن ضم فيصل بن عبدالعزيز لعسير ، أنظر تقرير Ryan :

Tentative Outline of the Historical Background of the War Between Ibn Sa'ud and the Imam Yahya in 1933-1934, p. 18, ibidem.

(٦١) عن هذه الحدود ، أنظر :

British Documents on the Origin of the War, op. cit., Vol. X Pt. II, pp. 190-194, Articles V , and VII.

(٦٢) Dickson, Kuwait and her Neighbours. op.cit., pp. 250-259.

(٦٣) انظر تقرير المعتمد السياسي في الكويت ، الى وكيله في بغداد، في ١٣ يونيو ١٩٢٠ :

no 6317, P.S.D.S.F. , India Office Records, 6499/1920.

(٦٤) برقية المعتمد السياسي في البحرين ، الى وكيله في بغداد، في ٣ يونيو ١٩٢٠ :

no 6417, P.S.D.S.F. , India Office Records, 6499/1920.

(٦٥) برقية المعتمد في بغداد ، الى المعتمد السياسي في الكويت، في ٩ يوليو ١٩٢٠ : no 6317. ibidem.

(٦٦) قطر ، والكويت ، وإمارات ساحل عمان (الساحل المتهادن) .

(٦٧) H . R . P. Dickson, Kuwait and her Neighbours, op.cit., pp.250-259.

(٦٨) Amin Rihani, Ibn Saoud of Arabia, op. cit., p1 65.

Lady Ann Blunt, A Pilgrimage to Najd, The Cradle of the Arab Race, op.cit.

(٦٩) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., p. 66.

(٧٠) انظر برقية من المعتمد السياسي في البحرين الى وزارة الهند ، في ٤ أبريل ١٩٢٠ :

no 2854. P.S.D.S.F. India Office Records, 4929/1918.

(٧١) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., pp. 66-67.

(٧٢) انظر برقية من المعتمد السياسي في البحرين الى وزارة الهند ، في ٤ أبريل ١٩٢٠ :

no 2854. P.S.D.S.F., India Office Records, 4929/1918.

وكذا برقية الوكيل في بغداد الى وزارة الهند ، في ٧ مايو ١٩٢٠ :

no 3690, ibidem.

وكذا برقية المفوض السامي في بغداد الي سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ٦ ديسمبر ١٩٢١ :

no 5407, P.S.D.S.F., India Office Records, 7251/1920.

(٧٣) عن أحداث ضم حائل من قبل ابن سعود، أنظر :

Dickson, Note on the Political Situation in Najd at the End of July, 1920.

Dickson's Papers, Box 2 A, Folder V.

حيث وصف ديكسون لقاءاته في الأحساء والبحرين مع عبدالعزيز القصيبي وكيل ابن سعود في البحرين ، وفهد البسام تاجر من القصيم والأحساء ، ومحمد الحواس تاجرمن الرياض والأحساء ، وزواره من بني هاجر ، وبني خالد ، والدواسر ، وغيرهم .

(٧٤) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., pp. 66-67.

(٧٥) Eastern Report LXVI, 2.5. 1918, no 1927, P.S.D.S.F. India Office Records, 705/ 1916.

(٧٦) انظر تفصيلات من C.C. Garbett في ١٠ مايو ١٩٢٠ :

no 3690. P.S.D.S.F., India Office Records, 4929/1918.

(٧٧) انظر : رسالة G. Bell الى أبيه السير Hugh Bell :

Lady Bell, The Letters of Gertrude Bell, London, Benn, 1927, Vol. II, pp. 659-660.

(٧٨) عن اعتلاء فيصل وعبدالله ابني الحسين ، عرش العراق ، وشرق الأردن . أنظر :

A. Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World, op.cit., pp. 139-170, and pp. 205-236.

(٧٩) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., p. 272.

(٨٠) Philby, H.St.J.B. Saudi Arabia, op. cit., p. 283.

(٨١) Longrigg, S. H., Iraq 1900-1950. A Political, Social and Economic History, London, Oxford University Press, 1953, p. 137.

(٨٢) انظر: برقية المفوض السامي في بغداد الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ١٦ مارس ١٩٢٢:

no 1214, P.S.D.S.F., India Office Records, 7251/1920.

(٨٣) Report on Iraq Administration, April 1922, March 1923, London. H.M.S.O. 1923.

(٨٤) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., p. 60.

(٨٥) انظر نص المعاهدة في:

Report on Iraq Administration, April 1922, March 1923, op. cit.

(٨٦) Philby, Saudi Arabia, op. cit., p. 284.

Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., p. 59.

(٨٧) انظر: برقية المفوض السامي في بغداد الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ١٧ يونيو ١٩٢٢:

no 2564, P.S.D.S.F., India Office Records, 7251/1920.

Amin Rihaani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit. , pp. 59-65.

(٨٨) انظر «الحدود الشمالية: الإخوان» في الفصل الأول من الباب الثالث. وأيضاً:

Proposed Greenbook on Clayton Negotiations, 1928, p. 2, Philby's Papers, Box XVI, File 1.

(٨٩) انظر: برقية المفوض السامي في بغداد الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ١٠ يناير ١٩٢٢:

n° 457, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٩٠) Notes on Trans - Arabian Railway by major A. C. Griffin, 6 jan. 1922, no 990, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

G. Troelller, The Birth of Saudi Arabia , op. cit., p. 211, note 2.

(٩١) انظر: برقية المفوض السامي في العراق الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ٢٦ يناير ١٩٢٢:

no 457 , P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٩٢) Proposed Greenbook on Clayton Negotiations, 1928, op. cit.

Minutes of Meetings of Conference, First Meeting , Tuesday 8.5. 1928, p. 2.

(٩٣) انظر رسالة ابن سعود الى القنصل البريطاني في جدة، في ٧ فبراير ١٩٢٨:

n° 1458. F. O. 371/12991 .

(٩٤) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., pp. 61-62.

(٩٥) Philby Saudi Arabia , op. cit., p. 283.

(٩٦) Amin Rihani , Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., p. 214.

(٩٧) عن مؤتمر العقير انظر:

Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., pp. 270-278.

Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., pp. 69-89

(٩٨) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., p. 75.

(٩٩) Ibidem, p. 68.

(١٠٠) Ibidem, p. 76.

(١٠١) Ibidem, p. 77.

(١٠٢) Ibidem, p. 78.

(١٠٣) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., pp. 274-275.

(١٠٤) DICKSON, Kuwait and her Neighbours, op.cit. , p.2 75.

(١٠٥) Elizabeth Monroe , Philby of Arabia, London, Faber and Faber, 1974, p. 228.

(١٠٦) انظر نص بروتوكولات العقير في:

no 1474, F.O. 317/13714

Report on Iraq Administration, April 1922, March 1923, op. cit.

(١٠٧) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit.,79.

(١٠٨) Dickson, Kuwait and her Neighbours. op. cit., pp. 276-277.

(١٠٩) Proposed Greenbook on Clayton Negotiations, 1928, op. cit.

Minutes of First Meeting , Tuesday 8.5.1928, p. 2.

(١١٠) انظر رسالة ابن سعود الى القنصل البريطاني في جدة ، ملحق ١ في رسالة القنصل الى السير شامبرلاين، ، في ٢٠ ديسمبر١٩٢٨ :

no 140, F.O . 371/13713.

الفصل الثاني

(١) انظر : برقية سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، الى المفوض السامي في العراق ، والمفوض السامي في فلسطين ، في ٧ أبريل١٩٢٣ :

no 1355, P.S.D.S.F., India Office Records, 488/1920.

G. Troeller , The Birth of Saudi Arabia. op.cit., pp. 159-167.

(٢) انظر : برقية المفوض السامي في العراق الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ٢٥ أغسطس١٩٢٣ :

no 3223, P.S.D.S.F., India Office Records, 7251/1920.

(٣) رسالة من F.O. الى C.O ، في ٥ أكتوبر١٩٢٣ :

no 3837, ibidem, India Office Records.

(٤) Collins, (ed.) An Arabian Diary. Sir Gilbert Clayton, op. cit., p. 100.

(٥) Lady Bell (ed.), The Letters of Gertrude Bell, op. cit., p. 660.

(٦) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., pp. 274-275.

(٧) انظر رسالة ابن سعود الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ١٩ يناير

no 989. P.S.D.S.F., India Office Records, 7251/1920.

(٨) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., p. 78.

(٩) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., p. 78.

(١٠) Philby, Arabian Jubilee, op .cit., p .68.

(١١) Amin Rihani, Ibn Sa'ud of Arabia, op. cit., pp. 79-86.

(١٢) انظر تعليقات كوكس، في :

G. J. Eccles , The Sultanate of Muscat and Oman, in Journal of the Royal Central Asian Society, XIV, I, 1927, p .40.

(١٣) انظر : برقية المفوض السامي في العراق الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ٢٤ سبتمبر١٩٢٣ :

no 3673, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(١٤) انظر : برقية المفوض سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، الى المقيم السياسي، في ٤يوليو١٩٢٣ :

no 2634, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(١٥) انظر : برقية المقيم السياسي ، الى المفوض سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ٧يوليو١٩٢٣ :

no 2634, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(١٦) Troeller, The Birth of Saudi Arabia. .op. cit., p. 194.

(١٧) John B. Glubb, A Note on Policy on the Najd Frontier, 14 Jan. 1929, no 880 F.O. 371/13714.

(١٨) John B. Glubb, A Note on Policy on the Najd Frontier, 14 Jan. 1929, no 880 F.O. 371/13714.

(١٩) Dickkson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., pp. 281-282.

(٢٠) انظر رسالة من F.O. الى C.O ، في ٥ نوفمبر١٩٢٣ :

no 4256, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٢١) Note on the Invitation to King Hussain to participate in the Kuwait Conference, by E. T. Richmond (India Office), 25 jan. 1924, no 891, P.S.D.S.F., India Office Records, 488/1920.

(٢٢) Note on Invitation to King Hussain to participate in the Kuwait Conference, by E. T. Richmond (India Office), 25 jan.1924, no 891, P.S.D.S.F., India Office Records, 488/1920.

(٢٣) انظر: برقية سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، الى المقيم السياسي، في ١٢نوفمبر١٩٢٣:

no 4834, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٢٤) انظر: برقية المفوض السامي في العراق الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ٧ نوفمبر١٩٢٣:

no 4297, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٢٥) Troeller, The Birth of Saudi Arabia. op. cit., pp. 198-200.

(٢٦) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., p. 70.

(٢٧) كان وفد نجد، يضم فؤاد حمزة رئيساً، وعبدالله أفندي، وحافظ وهبة، وعبدالعزيز القصيبي، وسعيد هاشم.

(٢٨) انظر رسالة وزير الشؤون الخارجية في الحجاز الى F.O.، في ١٦ نوفمبر١٩٢٣:

no 56574, C.O., 727/6.

(٢٩) انظر: برقية سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، الى المقيم السياسي، في ٨ نوفمبر١٩٢٣:

no 4303, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٣٠) Philby, Saudi Arabia, op. cit., p. 285.

(٣١) انظر: برقية سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، الى المقيم السياسي، في ٥ فبراير ١٩٢٤:

no 678, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٣٢) انظـر: برقية نـوكس الى سكـرتير الدولـة لشؤون المـستعمـرات، ، في ٢٢فبراير١٩٢٤ : ibidem.
وانظرأيضاً: برقية تروفر الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، ، في ١٩مارس١٩٢٤ :

no 1371, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٣٣) انظـر: برقية نـوكس الى سكـرتير الدولـة لشؤون المـستعمـرات، ، في ٢١ديسمبر١٩٢٣ :

no 4996, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٣٤) Troeller, The Birth of Saudi Arabia, op. cit., pp. 201-205.

(٣٥) انظـر: برقية نـوكس الى سكـرتير الدولـة لشؤون المـستعمـرات، في ٢٢ديسمبر١٩٢٣ :

no 4996, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٣٦) O. Collins, (ed.) An Arabian Diary. Sir Gilbert Clayton, op. cit., p. 38.

(٣٧) انظـر: برقية نـوكس الى سكـرتير الدولـة لشؤون المـستعمـرات، ، في ٢٢ديسمبر١٩٢٣ :

no 4996, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٣٨) انظـر: برقية نـوكس الى سكـرتير الدولـة لشؤون المـستعمـرات، ، في ٢٦يناير١٩٢٤ : no 516, ibidem.

(٣٩) انظـر: برقية نـوكس الى سكـرتير الدولـة لشؤون المـستعمـرات، ، في ٢٨ديسمبر١٩٢٣ :

P.S.D.S.F., India Office Records, no 74, 488/1920

and, Report on the Eighth Session of the Kuwait Conference,

23 .12.1924, no 3393, Colonial Office, 727/8.

(٤٠) Report on the Eighth Session of the Kuwait Conference, op. cit.

(٤١) G. Troeller , The Birth of Saudi Arabia , op. cit., p. 206.

(٤٢) انظر : برقية نوكس الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات ، ، في ٢٨يناير ١٩٢٤ :

no 547, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1920.

(٤٣) انظر : برقية سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات ، الى نوكس ، في ١٤فبراير ١٩٢٤ :

no 801, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٤٤) كان الشريف حسين في عمَّان يزور ابنه عبدالله الذي ، يقال بأنه هو الذي دفعه الى إعلان نفسه خليفة . لقد جاء الشريف الى الضفة الغربية للقاء كلايتون ومناقشة المسألة الفلسطينية معه . الشريف حسين اعتبر الضفة الغربية منذ هذه الزيارة جزءاً من مملكة ابنه عبدالله .

(٤٥) Collins (ed.) An Arabian Diary, Sir Gilbert Clayton. op. cit., p. 38.

من أجل معرفة أسباب إخفاق المفاوضات في مؤتمر الكويت . انظر : الكتاب الأخضر ، الذي حررته سلطات نجد : دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ملف ٦ . ويلقي هذا الكتاب تبعة الفشل على السلطات العراقية ، وسلطات شرق الأردن .

(٤٦) B. Shwadran, Jordan, A State of Tension, New York Council for Middle Eastern Affairs Press, 1959, p. 144.

(٤٧) Philby, Arabian Jubilee, op. cit., p.70.

(٤٨) انظر : برقية نوكس الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات ، ، في ٢٤ديسمبر ١٩٢٣ :

no 164, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٤٩) انظر : برقية نوكس الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات ، ، في ٢٩فبراير ١٩٢٤ :

no 10670, C.O.729/9.

(٥٠) انظر: برقية المفوض السامي في العراق الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ١٣ مارس ١٩٢٤:

no 1277, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٥١) انظر: برقية نوكس الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ٣ أبريل ١٩٢٤:

no 1687, P.S.D.S.F., India Office Records, 450/1922.

(٥٢) C.O. report by H.M.G. on the Administration under Mandate of Palestine and Transjordan for the Year 1924, London, p. 69.

(٥٣) G. Antonius. The Arab Awakening. op. cit., p. 341,343.

(٥٤) Ibidem, pp .335-336.

(٥٥) انظر رسالة القنصل البريطاني في جدة السير ريدر بولارد الى ماكدونالد، في ٢٩مارس ١٩٢٤:

no 2062, F.O. 1707/1924.

(٥٦) الأهرام، عدد ١٥ أغسطس ١٩٢٤.

(٥٧) Oriente Moderno, IV, 8 , pp. 478-479

وتجد المقال مترجماً في الأهرام، عدد ٢٤ يونيو ١٩٢٤.

(٥٨) Oriente Moderno, IV, 10, pp. 645-646.

(٥٩) A. Toynbee, The Islamic World since the Peace Settlement, The Rise of the Wahhabi Power & The Delimitation of Frontiers, Survey of International Affairs. London, 1925, Vol. I. 1927. p 63.

(٦٠) Oriente Moderno, IV, 10, pp. 645-646.

(٦١) رسالة من ابن سعود الى فيلبي، في نوفمبر ١٩٢٤:

Philby's Papers, Box XV, File 5.

(٦٢) Ibidem.

(٦٣) A. Toynbee, Survey of International Affairs, 1927, Vol. I, op. cit .P.36.

عن جمعية الخلافة في الهند، انظر :
A. Toynbee , Survey of International Affairs, 1927, Vol. I, op. cit., 25-90.

(٦٤) عن تفصيلات العمليات العسكرية ، أنظر :
Oriente Moderno IV, 10, pp. 647-655.

(٦٥) لقد تخلت حرب وعتيبة عن الشريف حسين . أنظر :
Oriente Moderno, IV, 10, pp. 646.

(٦٦) انظر : برقية بولارد الى ماكدونالد، في ٢٨سبتمبر ١٩٢٤ :
no 4232, P.S.D.S.F., India Office Records, 1707/1924.

(٦٧) انظر : برقية من .F.O ، الى بولارد، في ١٢ سبتمبر ١٩٢٤ :
no 3746, P.S.D.S.F., India Office Records, 3665/1924.

(٦٨) Troeller, The Birth of Saudi Arabia, op. cit., p. 218.

(٦٩) انظر : برقية سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، الى المقيم السياسي، في ١٣ سبتمبر ١٩٢٤ :
no 43017, Colonial Office 727/8.

(٧٠) انظر « الخرمة وتربة» الفصل الأول ، من الباب الثالث .

(٧١) انظر « مؤتمر الكويت» : الفصل الثاني ، من الباب الثالث .

(٧٢) انظر : برقية سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات الى المفوض السامي في العراق وفلسطين، في ٣٠ سبتمبر ١٩٢٤ :
no 3979, P.S.D.S.F., India Office Records, 3665/1924.

(٧٣) انظر : برقية المقيم السياسي الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، ، في ١٩ أكتوبر ١٩٢٤ :
no 4241, P.S.D.S.F., India Office Records, 3665/1924.

(٧٤) Troeller, The Birth of Saudi Arabia, op .cit., p. 218.

(٧٥) Oriente Moderno IV, 10, p. 655.

(٧٦) انظر: برقية بولارد الى ماكدونالد، في ٢٨سبتمبر ١٩٢٤:
no 4232, P.S.D.S.F., India Office Records, 1707/1924.

(٧٧) Oriente Moderno, IV, 10, p.758.

(٧٨) انظر: برقية من بولارد الى .F.O ، في ١٤أكتوبر ١٩٢٤:
no 4169, P.S.D.S.F., India Office Records, 3665/1924.

(٧٩) Oriente Moderno, IV, 12, pp.758-759.

(٨٠) Oriente Moderno, IV, 12, pp. 758-759.

(٨١) Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit., pp. 303-304.

(٨٢) انظر «الأهرام» عدد ١١ أكتوبر, ١٩٢٤، وأيضاً:
Oriente Moderno, IV, 12, pp. 759-760.
le Temps, Paris, 6 and 28 nov.1924.

(٨٣) Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit., pp. 301-302 .

(٨٤) Ibidem, p. 301.

(٨٥) Ibidem.

(٨٦) Ibidem.

(٨٧) Oriente Moderno, IV, 12, pp. 752.
ورسالة ابن سعود الى القنصل السامي لمسلمي فلسطين.

(٨٨) انظر مقال علي الغياثي، نشر في جنيف، في:
La Tribune d'Orient , 20 Oct. 1924.

(٨٩) انظر رسالة عبدالله علي رضا الى فيلبي ، في ٣٠ أكتوبر ١٩٢٤:
Philby's Papers Box XV, File 5.

(٩٠) Oriente Moderno, IV, 12, p. 629.

(٩١) Oriente Moderno, IV, 12, pp. 761-762.

(٩٢) Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit., p. 305.

(٩٣) Oriente Moderno, V. 3, pp.146-147, V. 6 P. 310 V.12 p. 674.

انظر أيضاً: رسالة Lindsay الى شامبرلاين:

no 882, F.O.371/11431.

(٩٤) Oriente Moderno, ibidem.

(٩٥) انظر أم القرى ، عدد٢٤ يوليو, ١٩٢٥

Oriente Moderno, V. 9 , pp. 451 - 452.

(٩٦) Oriente Moderno, V. 12 pp. 667-668.

(٩٧) Oriente Moderno, V. 4, pp. 179-180.

(٩٨) Eldon Rutter, The Holy Cities of Arabia, London, Putnam's Sons Ltd. 1928.

(٩٩) Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit., p. 307.

(١٠٠) انظر التقرير الذي أرسله جوردان ، القنصل البريطاني في جدة الى شامبرلاين، في ١٨ يناير١٩٢٦ :

no 363, F.O. 371/11432.

(١٠١) انظر: برقية من القنصل البريطاني الى .F.O ، في ٢٢ديسمبر١٩٢٥ :

no 4517, P.S.D.S.F., India Office Records, 3665/1924.

انظر أيضاً: رسالة قاسم علي رضا الى فيلبي:

Philby's Papers Box XV. File 5.

(١٠٢) انظر هذه المادة مترجمة في: أم القرى، عدد٢٦ ديسمبر, ١٩٢٥

Oriente Moderno, VI, 1, p. 44.

(١٠٣) انظر «الأهرام» ، عدد٢٥ ، ٢٧ يناير١٩٢٦ :

Oriente Moderno, VI, 2, pp. 101-103.

انظر أيضاً: برقية من القنصل البريطاني في جدة الى .F.O ، في ١١ يناير ١٩٢٦ :

no 245, F.O., 371/11431.

(١٠٤) Ibidem.

(١٠٥) Oriente Moderno, VI, 1, pp. 43-44.

وأيضاً، «الأهرام»، عدد١٥/ ١/ ١٩٢٦ .

(١٠٦) Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit., p. 311.

(١٠٧) Oriento Moderno, VI, 7, p. 360.

(١٠٨) انظر الفصل الأول من الباب الثالث .

(١٠٩) انظر برقية بولارد ، القنصل البريطاني في جدة الى شامبرلاين، في ٢٠ يوليو١٩٢٥ :

no 2809, P.S.D.S.F., India Office Records, 1707/1924.

الباب الرابع



الاستقرار والتوطيد

الفصل الأول

على المستوى العالمي

١) إتفاقيتا بحرة وحَدَّة :

ركز توينبي [١] في دراسته حول ضم ابن سعود للحجاز ونتائجه ،على المقارنة المهمة جداً بين الوضع الذي واجهه ابن سعود عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥ م خلال عملية دخول الحجاز وبين الوضع الذي حدث لأبي بكر رضي الله عام ١٢هـ/ ٦٣٣م ، حيث اقتبس توينبي مقتطفاً من دراسة بيكر . C.H حول توسع العرب خلال العصر الإسلامي الأول .

« وجدت حكومة المدينه نفسها أمام مشكلة جسيمة ، تمثلت في تحويل القبائل الصحراوية التي دأبت على الغارات بعضها على بعض ، إلى نظام اجتماعي يقوم على المؤاخاة ، والعيش بسلام وفق مباديء الإسلام . واستثمار طاقات العرب في نشر الإسلام خارج الحدود الطبيعية للجزيرة العربية »[٢] .

لقد طرحت على ابن سعود في عامي١٣٤٣ و ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥ و ١٩٢٦م ، إشكاليات حول أسلوب ضم الحجاز الى نجد ، وصنع مزيج سكاني متحد من النجديين والحجازيين ، وكذا تنظيم الحج ، والإشراف على الأماكن المقدسة .

علماً بأن آلة الحرب « الإخوان » لن تبارح أطراف الجزيرة الشمالية كما فعل الفاتحون المسلمون في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي .

وثمة مشكلة مالية كما يرى توينبي(٣) ، واجهت ابن سعود . فمن المعروف أن الجزيرة العربية اعتمدت دائماً على الذهب المجلوب من : القسطنطينية ، و بلاد النهرين ، ودمشق ، وبغداد ، والقاهرة ، و من اسطانبول ، واخيراً من لندن . وفي عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م ، توقفت المساعدات البريطانية ورأينا كيف اعتمد ابن سعود على عائدات الحج لانعاش ماليته . ولكن هل هذه العائدت كافية لتغطية متطلبات دولة جديدة ؟

في عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م ، خلال عملية ضم الحجاز ، أصبح أمام ابن سعود خياران . إمّا أن يحل تلك المشكلات بالتوسع شمالاً ، وتوجيه الإخوان نحو بادية الشام، وسهول بلاد ما بين النهرين ، أو أن يلتزم بالغاية التي حددها لنفسه عَلَناً في الرياض أمام قادة الإخوان في ربيع الآخر عام ١٣٤٣هـ/ ٢٩ أكتوبر ١٩٢٤م وهي «تكوين دولة منسجمة مع مطالب التقدم الحضارة »(٤) .

فالخيار الأول كان ينسجم مع التعريف الذي اعطاه لورنس للبدو وهو «شعب الرحلات الجميلة » ألم يصل أجداد ابن سعود حتى تخوم الشام والعراق وبغداد ؟ وبماأن استراتيجية ابن سعود قد تأسست على استعادة الأراضي وضم القبائل التي كانت ذات يوم تابعة لآل سعود ، فقد كان بمقدوره أن يصدر قراراً مثل هذا ، و نتائج مثل هذا القرار كانت وقتها سهلة التوقُّع . ولكنه لن يعيد مأساة الإخوان على حدود شرق الاردن وعلى الحدود العراقيه في عامي١٣٤١ و١٣٤٣هـ/ ١٩٢٢ و١٩٢٤م أمام الطيران والمصفحات البريطانية . ومحاولة كهذه ، تفضي إلى استثارة القوة البريطانية المرابطة في عدن والخليج ، وشرق الأردن ، وفلسطين ،

ثم إن أفواج الجمّالة من الإخوان لم تجهز بأسلحة حديثة ، وليست نداً للقوات البريطانية في التنظيم . إن ابن سعود غني عن مغامرة خاسرة ، تلغي مكتسباته منذ عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢ م الى أن حقق تحالفاً مع بريطانيا عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م .

وبشفافية تامة ، تمكن ابن سعود من دخول الحجاز ، وإنهاء إحدى الحلقات الهاشمية الثلاث التي نفذت عبرها بريطانيا سياستها العربية . ولم تتدخل الحكومة البريطانية للأسباب التي شرحناها . لكن بريطانيا لا تسمح لابن سعود بأن يهدد الحلقتين الباقيتين في العراق والشام ، حتى لا تفقد دعائم نظامها السياسي في المنطقة. لأجل هذا لم ير ابن سعود فائدة من جراء زحف الإخوان نحو الشمال ، ولا يخدم أهدافه الاستراتيجية .

الخيار الآخر هو إعادة تنظيم الحجاز ، سيما وأن كل العالم الإسلامي يراقب عن كثب ما يجري في الأماكن المقدسة ، و المسلمون على ثقة بكفاءة ابن سعود في أمن الحجاز ، وراحة الحجيج . كما أن ابن سعود يدرك ما للحجاز من أهمية عددية ، وامتداد جغرافي ، وانفتاح على العالم الخارجي ، كل ذلك وضعه ابن سعود في اعتباره وهو يضم هذا الإقليم الى الأقاليم الشرقية و الوسطى . وإذا كان ابن سعود قد قبل باللقب الجديد ملك الحجاز في جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ/ يناير ١٩٢٦م مع الاحتفاظ باللقب الآخر وهو سلطان نجد وملحقاته ، فإنه قصد بذلك ابراز أهمية الحجاز عنده ، ومنح هذا الإقليم ميزة تليق به وبأهله الذين كانوا ينتظرون من ابن سعود كل خير لهم ولمنطقتهم ، وأن يحافظ على امتيازاتهم التجارية المحلية والموسمية(٥) . لأول مرة منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، يدخل في حكم ابن سعود إقليم ، يغلب عليه التحضر أكثر من البداوة . لأن أقاليم الأحساء، وجبل شمَّر وشمال القصيم ، و وادي السرحان وتخوم بادية الشام كانت

كلها أراضي تسيطر عليها البادية ، ولم يواجه ابن سعود عقبة نفسية في ضم هذه الأقاليم الى نجد لتشابه النمط الحضاري ، بينما تتصف مكة وجدة ، والمدينة المنورة بنمط متمدين ، متأثر بالوجود العثماني الذي استمر قروناً .

ولكي تكون كل خطوة مدروسة وصحيحة ، عُني ابن سعود عام١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، عناية يومية في تخطيط مستقبل الحجاز ، ويتذكر جيداً ماحدث لأجداده قبل قرن ، عندما حرضت الدولة العثمانية مصر ضدهم ، بسبب دخولهم الحجاز ، ولكنه هذه المرة يؤسس خطواته على قواعد راسخة ، ضمن إطار استراتيجي ، يعتمد على تأييد شعبي ، وينسجم مع مشاعر السكان ومستويات معيشتهم وتفكيرهم .

وهذا الإختبار المبني على ميزان المصالح والتكاليف ، يبدو جلياً في الخيارين الممكنين اللذين واجها ابن سعود خلال عملية دخول الحجاز ، ومنهما صنع ابن سعود خياراً نهائياً وهو تقوية سلطته الجديدة في الحجاز . مما يعني أنه أعطى اهتمامه للأوضاع الداخلية ، أكثر من الأخطار الخارجية المحتملة . وهذا منعطف جديد ، يختلف عن مسار ابن سعود في أهدافه الاستراتيجية منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، لتوجيهها نحو ضرورة التقوية الداخلية .

ولا شك أن ابن سعود في تعهداته للبريطانيين في عام١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ، استطاع أن يوائم بين الظروف الداخلية ، والضغوط الخارجية ، دون أن يشكل ذلك عائقاً في سبيل ضم الحجاز الى سلطانه . يقول ترولر (٦) :

« عندما أوشك العام الميلادي ١٩٢٥م على الانصرام ، أصبح دخول كل الحجاز في حكم ابن سعود أمراً واقعاً لا محالة . وأدركت السلطات البريطانية ـ بدون ريب ـ أن ابن سعود سيوجه قواته نحو خصومه الهاشميين ، في شمال

الجزيرة العربية ، فقررت فتح مفاوضات معه ». وكان الاهتمام البريطاني ينصب على منطقة معان والعقبة[٧] .

وقد رأينا كيف وجّه ابن سعود قواته نحو الشمال ، للقيام بعلميات عسكرية في الوقت الذي كان الإخوان على مشارف الطائف ، وذلك خشية تدخل عبدالله وفيصل لصالح أبيهم . إضافة الى هدف آخريتجلى في ضم أكبر قدر من المواقع ، في حين أن الهدف العسكري - هذه المرة - موجه الى الاماكن المقدسة و المدن المحيطة بها . ومن المُناسب التذكير هُنا أن الشريف حسين ، عندما أجبر على التنحي في شهرربيع الأول عام ١٣٤٣هـ/ أكتوبر ١٩٢٤م ، غادر إلى العقبة . وكانت معان والعقبة موضع نزاع بين الحجاز وشرق الأردن[٨] ، ولقد تنبهت الحكومة البريطانية ، الى أهمية تأمين ميناء العقبة ، لأنه منفذ شرق الأردن على البحر الأحمر ، فخشيت أن يستغل ابن سعود وجود الشريف حسين في هذا الميناء ، لتعقب خصمه ، وابعاده . وفي الوقت نفسه وجدت بريطانيا نفسها ملزمة بإيواء الشريف حسين في شرق الأردن أو في العراق تحديداً ، وإن اعتبر ابن سعود ذلك ذريعة لمهاجمة تلك الدولتين[٩] .

وفي شهر ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ/ نهاية أكتوبر ١٩٢٤م ، استلم ابن سعود رسالة من المعتمد البريطاني في البحرين أبلغه ـ بناءاً على تعليمات المقيم السياسي ـ بالحدود التي عينتها الحكومة البريطانية باتجاه الجنوب الشرقي لشرق الأردن[١٠] . وتشمل هذه الحدود العقبة ومنطقة معان . فأجابه ابن سعود بأن السلطات البريطانية لم تتحدث مطلقاً فيما مضى عن تلك الحدود وأنها لم تشر إلى ذلك أيضا خلال مؤتمر الكويت . ورغم ذلك ، وفي ظل هذه الظروف ، أبدى سلطان نجد استعداده للتفاوض حول هذه الحدود متى شاءت الحكومة البريطانيه وفي المكان الذي تريد[١١] .

كان الشريف حسين ، يمد ابنه علياً بالسلاح ، من ملجئه في العقبة ، وكانت المدينه المنورة ، على وجه الخصوص ، يأتيها التموين من العقبة . وهذا كاف لأن يهاجم ابن سعود العقبة . ولكن بريطانيا أمرت الشريف في ٢٧ مايو ١٩٢٥م ، بمغادرة العقبة تجنباً لأي هجوم سعودي [١٢] . وفي فبراير ، لفتت لندن نظر عبدالله بعدم مساعدة أخيه علي انطلاقاً من معان ، كما أشعرت علياً بأن يختار ملاذاً بعد مغادرة جدة خارج نطاق شرق الأردن[١٣] . وبالطبع فإن بريطانيا اتخذت الاحتياطات الضرورية لإزالة كل ذريعة يتخذها ابن سعود للتدخل العسكري في شرق الأردن . وفي الوقت نفسه أصرت بريطانيا أن يظل عبد الله بن الحسين مشرفاً على منطقة معان .

وعندما أبحر الشريف حسين من العقبة الى قبرص ، في ربيع عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م ، على ظهر باخرة بريطانية ، طلبت لندن من ابن سعود منع الإخوان من التقدم الى العقبة واقترحت فتح مفاوضات عامة حول كافه المسائل الحدودية وغيرها ، من الأمور المعلقة بين سلطان نجد والعراق وشرق الأردن[١٤] .

وفي يونيو ، أصدر عبد الله بن الحسين هذا الإعلان :

« بناءاً على أمر جلالة الملك الهاشمي علي ملك الحجاز ، نعلن بأن منطقتي معان والعقبة جزء لا يتجزأ من إمارة شرق الأردن ، وباسم شعبنا وحكومته نكن لجلالته اصدق الامتنان »[١٥] .

ونجحت بريطانيا في إلحاق معان والعقبة بشرق الاردن وبقي الوضع الى الآن ، وتقبل ابن سعود الأمر الواقع . وفي ٩ أكتوبر ١٩٢٥م وصل إلى جدة

جليبر كلايتون ، مبعوثاً خاصاً من قبل « وزارة الخارجية » للتفاوض مع ابن سعود لتسوية حدودية بين سلطان نجد من جهة ، والعراق وشرق الأردن من جهه ثانية ، وكان كلايتون « رئيس سكرتارية الحكومة الفلسطينية »[١٦]. لقد أعيد البحث في حدود شرق الأردن التي سبق أن حددها نوكس في مؤتمر الكويت ، وأُشعر بها ابن سعود بواسطة المقيم السياسي في البحرين في ٢٠ أكتوبر عام ١٩٢٤ م [١٧]، وانحصر الخلاف حول قرية « كاف » . أما هذه المرة ، فإن نوكس قد تسلم تعليمات بعدم التنازل عن كاف في نهاية المطاف إذا انتهت المفاوضات الى طريق مسدود [١٨] .

أما المفاوضات حول الحدود بين نجد والعراق ، المحددة سابقاً من قبل برسي كوكس ، فإنها تهدف الى التوصل إلى إتفاق يمنع الغارات والغارات المضادة التي تشنها القبائل الحدودية ، على الأراضي المجاورة . فلابد أن تتمحور المفاوضات حول وادي السرحان وكاف . وخلال الاجتماع الأول ، اندهش ابن سعود من اصرار السلطات البريطانية على ضمّ كاف إلى شرق الأردن : « اعترض ابن سعود بشدة على ترسيم الحدود الشمالية ، لكونها تربط العراق بشرق الاردن ، وتفصل نجداً عن سوريا»[١٩] .

لقد أكد ابن سعود في موضوع كاف ، على استحالة تقسيم وادي السرحان مستنداً في ذلك على تصريحات برسي كوكس ، في العقير ، وعلى الرسالة التي تسلمها من المقيم السياسي في ٢٣ أكتوبر ١٩٢٤م ، أكد له فيها إلحاق كاف بنجد. وهذا يشكل قاعدة أساسية في مفاوضات الكويت ، مثلما تشير الرسالة [٢٠] ، كما ذكر ابن سعود أن وشيجة القربى بين أجداده وهذه القبائل ، تحتم عليه أن يعتبر كاف جزءاً من أراضيه كالتزام قبلي . أما المطالبة بالأراضي الممتدة من وادي

السرحان ، مروراً بجبل عنزة ، الى حدود سوريا ، فقد لقيت معارضه من كلايتون، الذي تلقى تحذيراً من « مكتب المستعمرات » بأنه لا يمكن السماح لابن سعود بأي حال من الأحوال التوسع ، بحيث تفصل أراضيه ما بين شرق الاردن والعراق « وعبر الطريق الجوي للامبراطورية نحو الشرق »(٢١) .

وخلال تلك المفاوضات ، من ١٠ أكتوبر إلى٣ نوفمبر ١٩٢٥م ، حاول كلايتون أن يدفّع ابن سعود ثمناً عالياً على كاف ، وأعلن أن ذلك لم يكن مُراعاة لبرسي كوكس الذي لم يحتل بعد هذه القرية . وعندما عرض كلايتون مخاوف شرق الأردن من أن تتحول كاف الى مركز استراتيجي ترابط فيه قوات سعودية ، أجابه ابن سعود بأن نيته هي جعل كاف مركزاً دفاعياً ليس إلا(٢٢) . من خلال هذه المناقشة ، تبين لكلايتون عزم ابن سعود على المضي قُدماً الى النهاية، و لن يتنازل عن كاف(٢٣) .

لم يرد ابن سعود أن تتحول هذه المفاوضات حول كاف ، الى شد ومد ، يزيد التوتر في المنطقة ، بل أراد أن يتواكب ذلك مع جهوده في تثبيت حكمه في الحجاز، وناقش كلايتون مع ابن سعود اللمسات الأخيرة لما توصل اليه الطرفان. ورغم أن سلطان نجد ، لمْ يتسلم المعونات البريطانية منذ اكثر من عام ، إلا أنه تمكن بجدارة من إكمال عملية دخول الحجاز ، وإنهاء الحكم الهاشمي من الجزيرة العربية، وأصبحت أقاليمه منذ ذاك الحين ممتدة من الغرب إلى الشرق ، ومن الشمال الى الجنوب ، حتى غدت القوة الرئيسة في الجزيرة العربية .

وفي عام١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ، بلغ ابن سعود ـ بعد ضم الأحساء ـ سواحل الخليج العربي ، محطماً طوق العزلة الجغرافية والسياسية ، فلم يعد أميراً على وسط الصحراء ، بل تسنم مكانة عالمية مُعتبرة بالنسبة لبريطانيا بموجب سياسة

تمركزها في الخليج العربي ومصالحها في آسيا . وكما رأينا سابقاً ، في عام١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، قرر ابن سعود فور وصوله الى مياه الخليج أن ينضم وبشكل متزامن إلى نظام المصالح البريطانية . وفي أكتوبر ١٩٢٥م ، كان على وشك إنهاء ضم الحجاز ، والإشراف على البحر الأحمر ، الذي تملك بريطانيا فيه وعليه مصالح مهمة. وللضغط على ابن سعود ، أشار كلايتون في مفاوضات أكتوبر ١٩٢٥م « إلى ضرورة الصداقة البريطانية لنجد ، كأسلوب حذق للضغط على ابن سعود . آخذاً في الحسبان المصالح البريطانية في الهند ، و الخليج العربي ، و البحر الأحمر إلى السودان ، وفي مصر ، و شرق الأردن و العراق ، مُشيراً أيضا -بحصافة - الى أن ابن سعود أصبح محاطاً بأقاليم مازالت تحت التأثير البريطاني . وركز كلايتون وهو يضع الشؤون العربية داخل إطار أكثر اتساعاً على المكاسب التي يمكن أن يجنيها ابن سعود ـ في ظل وضعه الحالي ـ من الصداقة مع بريطانيا ، والح عليه بقبول بعض التنازلات اليسيرة من أجل تمتين هذه الصداقة »(٢٤) .

إن هذه الأفكار التي طرحها كلايتون فتحت مجالاً لابن سعود وهو يهم بدخول الحجاز ، لكي يشرك بريطانيا في الوضع الجغرافي السياسي للجزيرة ، وهذا دور قامت به بريطانيا منذ عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م . ولابد لبريطانيا من خلال التصور الذي قدمه كلايتون أن تبني رؤيتها السياسية للجزيرة العربيه وفق الوضع الجديد لابن سعود . لذلك جرت مفاوضات أكتوبر ١٩٢٥م ، بوتيرة تختلف عما كان في مؤتمر الكويت . لقد كان من مصلحة السلطات البريطانية توطيد علاقاتها مع ابن سعود ، ليمنع الإخوان عن شرق الأردن . كما أن سلطان نجد ، وقد مر عليه وضع مشابه عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م بعد ضم الأحساء، كان على يقين من أن وصوله سواحل البحر الأحمر وَضَعه في منطقة نفوذ بريطاني ، يتوق ابن سعود إلى التخلص منه .

إن مفاوضات أكتوبر ١٩٢٥م استبقت الأحداث . واختلفت عواملها الاستراتيجية عن تلك التي ميَّزت كل المفاوضات السابقة بين الطرفين . فلم تقتصر هذه الجولة التفاوضية على الاتفاقيات الحدودية بين نجد والانتداب البريطاني على العراق وشرق الأردن كما يتصور ترولر [٢٥] ، ولكن أخذت المفاوضات مساراً آخر بسبب ماتمخض عنه دخول الحجاز في حكم ابن سعود ، فاتجه الطرفان الى إعادة بناء العلاقات الثنائية بين الطرفين ، بدءاً بمعالجة المعوقات الموروثة من الماضي .

لقد مهدت هذه المفاوضات بشكل مباشر الطريق نحو مفاوضات قادت ، في عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م ، إلى التوقيع على معاهدة جدة [٢٦] . وبالإضافه إلى ذلك ، ألمحت تلك المفاوضات أيضا إلى أن ضم الحجاز والأماكن المقدسة سيمنح ابن سعود مكانة عالمية . وعلى ضؤ تلك النتائج ، ستحدّد محور متطابق لفترتين من تاريخ عبد العزيز بدأت بمناقشة المسائل الحدودية بين برسي كوكس وابن سعود على قواعد أُخذت في الحسبان الوضع السياسي الجديد لسلطان نجدْ . واتفاقية بحرة حول موضوع العلاقات بين نجد والعراق واتفاقية حدة حول الحدود بين نجد وشرق الأردن ، حيث وقُعَّتا في شهر ربيع الآخر عام ١٣٤٤هـ/ نوفمبر عام ١٩٢٥م [٢٧] .

ورسّخ اتفاق حدة في بنده الأول الحدود بين نجد وشرق الأردن ، وضم الى نجد «كاف» وكل وادي السرحان ، وترك هذا الترسيم ممراً واسعاً بطول مئة كيلو متراً بين شرق الاردن والعراق ، فاصلاً نجداً عن سوريا . و تعهدت الحكومة البريطانية « البند الثالث عشر» بتأمين حرية المرور لتجار نجد العابرين الى سوريا ، و إعفائهم من الرسوم الجمركية على بضائعهم . ونصت البنود : الثاني والرابع

والثامن على أن من حق شرق الأردن صد أي اعتداء سعودي ، وأن تبقى كاف غير محصَّنة . ونظمت البنود: الخامس ، والسادس ، والسابع ، والثامن تحركات القبائل عبر الحدود وتشكيل آلية لمنع الغارات القبلية . أماالبند الثاني عشر فيعالج قضية نهب الحجاج . وتطرق البند الثالث الى وضع وسيلة اتصال مباشرة بين «رئيس الممثلية البريطانية » في عَّمان وحاكم وادي السرحان المُعيَّن من قبل ابن سعود لتجنُّب حدوث أي سوء تفاهم و خلاف . وأخيراً فالبنود : التاسع والعاشر والحادي عشر، تُغطي بعض التنظيميات الحدودية .

ومن الملاحظ أن هذا الاتفاق لا يتحدث عن الحدود بين الحجاز وشرق الاردن، وبخاصة عن معان والعقبة . ورغم أنه كان مطروحاً خلال المفاوضات ، لكن لم يتوصل الطرفان إلى اتفاق حولهما. وقد لاحظ كلايتون أن ابن سعود قد اعتبر - مؤقتاً - إلحاق معان والعقبة بشرق الأردن موضوعاً منتهياً .

وبالنسبه لاتفاق بحرة ، فإنه يعالج العلاقات الحدودية بين نجد والعراق . آخذاً بالاعتبار المقترحات التي قدمتها السلطات البريطانية خلال مؤتمر الكويت والنقطتين الرئيستين اللتين سببّتا فشل المؤتمر ، فقد تم حسمهما في هذا الاتفاق ، مثل إبعاد القبائل اللاجئة ، والشروط التي تطالب باقصاء الفرق العسكرية من بين القبائل المقيمة على أراضي الدولة الأخرى « البندان الثامن والعاشر »(٢٩) .

ونسجل هنا أن ابن سعود تنازل عن نقاط سبق أن رفضها مندوبوه في الكويت، لأن الظروف في أكتوبر عام ١٩٢٥م قد تغيرت كثيراً ، وكان هم سلطان نجد ، خلال شتاء عامي ١٣٤٢و١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣ و١٩٢٤م ، هو إفشال مؤتمر الكويت حتى يتمكن من إطالة الضغط الذي يمارسه بواسطة الإخوان ، على الحدود العراقية ، وعلى شرق الأردن ، طالما أنه لم يتم بعدُ تحقيق اختراق ضد

الهاشمين . ولو قبل ابن سعود في الكويت بحلّ مسألة الحدود مع العراق وشرق الأردن ، فإن بريطانيا ـ اهتماماً منها بحكمي فيصل وعبد الله ـ ستحلّ أيضا مشكلة الحدود بين نجد والحجاز . لذلك كان على ابن سعود أن يراقب بحذر الظروف التي تطرأ على هذه الجبهات الثلاث ، ليضرب في الوقت المناسب في الجزء الأقل مقاومة .

ولعلة دينية ، فضَّل ابن سعود أن يبدأ بجبهة الحجاز . في أكتوبر ١٩٢٥م ، بدأ يناور كلايتون ، ويطلب منه مد حدوده الشمالية حتى جبل عنزة ، فاصلاً بين العراق وشرق الأردن ، وهو يدرك مسبقاً أن كلايتون سيرفض هذا الطلب بشدة ، عندها تراجع ابن سعود مراعاة للتحالف مع بريطانيا ، ليتفرغ بهدوء لاستكمال عملية دخول الحجاز ، وهو الأهم .

منذ اتفاق المحمرة ، تبنّى ابن سعود تكتيكاً تسويفياً مع البريطانيين ، الذين تغاضوا عن دخوله الحجاز ، وعملوا على تحاشي أي إئتلاف بين فيصل وعبد الله لإنقاذ أبيهما الشريف حسين في مكة . والتزموا الحياد منذ شهر أغسطس ١٩٢٤م، عندما انطلقت جحافل الإخوان باتجاه الطائف ، ومنعوا تدخل عبد الله و فيصل ابني الحسين . وهذا الموقف البريطاني كان بلا ريب مُستوحى من رغبة السلطات البريطانية عدم التدخل في مسألة الحجاز واعتبارها شأناً دينياً ، بينما كانت لخمس سنوات مضت توجه إنذاراً لابن سعود دفاعاً عن الشريف حسين . كما أن بريطانيا خشيت – إن هي تدخلت لصالح الشريف – أن يهاجم النجديون حدود العراق وشرق الأردن(٣٠) .

وإذا كانت مسائل الحدود قد عولجت ، فإن ابن سعود قد دافع عن مصلحته ودعى كلايتون أن ينقل بعض مطالبه إلى الحكومة البريطانية ، وبخاصة مراجعة

معاهدة التحالف المؤُقتة عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، لتنسجم مع الوضع الجديد بعد ضم الحجاز . وعلى هذه الدعوى أجاب كلايتون :

« إن الحكومة البريطانية يصعب عليها التفكير في فتح مفاوضات مع ابن سعود بموجب مراجعة معاهدة عام ١٩١٥م طالما أن الصراع محتدم بين نجد والحجاز . ونادت الحكومة البريطانية بحيادها ، داعيةً - بشكل مفتوح - إلى مفاوضات تتلافى مثل هذا الوضع . بالإضافة الى أن المعاهدة الجديدة ـ بشكل عام ـ يصعب إعدادها ، والوضع في الجزيرة مازال مُبهماً وغامضاً جداً» . واتفق ابن سعود مع رأي كلايتون في أن الوقت لم يكن مناسباً . وبناءًا على طلب الدبلوماسي البريطاني لخّص ابن سعود النقاط الرئيسة التي يجب أن تراجع في معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م . وهذه النقاط تتضمن الإعتراف العالمي بسيادة نجد ، والحق في إستيراد أسلحة ، ومساعدة مالية من بريطانيا[٣١] .

وطلب ابن سعود هذا جاء ليؤكد الذي رأيناهُ بخصوص موضوع مفاوضات أكتوبر ١٩٢٥م ، وهو أن تلك المفاوضات كانت بالنسبة له وسيلة لجرّ البريطانيين نحو مراجعة معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م أكثر من كونها غاية في ذاتها . والنتائج التي استنتجها توينبي ، وتلك التي برزت في كتاب ترولر ، التي على ضوئها أحرزت بريطانيا نجاحاً مؤكداً في إقامة السلام على حدود نجد والعراق وشرق الأردن ، يجب أن تصحح بحقيقة مفادها أن شروط اتفاقيتي بحرة وحدة ، تتلاءم ـ في الوقت الراهن ـ مع مصالح ابن سعود ، الذي كان حينها قد قدم تنازلات ضرورية ، أما الآن فيمكنهُ أن يطلب مراجعة المعاهدة التي تربطه ببريطانيا [٣٢] .

ومن المؤكد أن اتفاقيتي بحرة وحدة ، أغلقت أمام ابن سعود الطريق إلى أقاليم الهلال الخصيب ، التي يعتبرها جزءاً من « أراضي أجداده » . وقد أجبره

التصلب البريطاني على التراجع ولا يملك أن يواجه عسكرياً ذلك التصلب . وكل ما في الأمر ، أن تنازلات ابن سعود ، كانت نظرية أكثر من كونها واقعية ، وأنها أتاحت له الفرصة لأن يحدد أولوياته ، ويتخذ قراراته ، وأهمها ضم الحجاز ، والسؤال : هل كان البريطانيون يعرفون كل طموحات ابن سعود . كل ذلك رأيناه في حديثنا عن « الاستقرار والتوطيد ».

٢) معاهدة جدة واعتلاء ابن سعود السيادة العالمية :

يقول فيلبي :

« انتهت الحرب ، وبلغ ابن سعود أوجه .وأصبحت الجزيرة العربية ، التي قدر له أن يحكمها قرابة ثلاثين عاماً ، متحدة كما لم تكن من قبل ، وضمن أقصى الحدود العملية في الظروف الدولية السائدة آنذاك . إنها تزيد على أي رقعة سيطر عليها أسلافه سيطرة فعالة . ولأول مرة في التاريخ يحكم الجزيرة العربية حاكم فرد جدير بما أبدى له الكل من احترام .

ولما بلغ عبدالعزيز الخامسة والأربعين من عمره كان في أوج رجولته ، مخلفاً وراءه في حياته سجلاً حافلاً بجلائل الأعمال . لقد كان آرستقراطياً ، قلباً وقالباً وتربية ، ومؤمناً الإيمان الكامل بالله ، وبالواجب الملقى عليه تجاه رعاياه ، غير أنه كان بطبعه ديموقراطياً ، ألف الشورى في أعماله ، تلك الشورى التي كانت جزءاً لا يتجزأ من حياة العرب .

وربما كان الفضل على شخصيته التي وفقت بين هاتين السجيتين الى خُلقه . فقد مكنه هذا من سهولة تقلد المركز القيادي : هذه الزعامة التي اعتاد تفسير مهمتها الحقة باستشهاده بالآية القرآنية : ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ﴾ : آية ١٥٩ من سورة آل عمران .

لقد كان هذا المنهاج يقوّمه في مواقف كانت آنذاك تتطلب استخدام الحذق الغريزي الذي هو من مزايا الخبراء . إلا أن مكانته الجديدة كشخصية عالمية كانت تجابهه بمشاكل من نوع لم يألفه »(٣٣) (م١) .

بعد اختتام المؤتمر الإسلامي في صيف عام١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م مباشرة ، أرسل ابن سعود ابنه فيصلاً إلى لندن وباريس ، وإلى هولندا ، يحمل شكر والده إلى هذه الدول التي اعترفت به ملكاً على الحجاز، واعداً بإدارة حكيمة للأماكن المقدسة ، والحج . وفي لندن أبلغ الأمير فيصل السلطات البريطانية رغبة والده في إعادة التفاوض حول معاهدة عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م .

لقد أبدى ابن سعود انزعاجه من المعاهدة التي أبرمت بين اليمن وإيطاليا وتساءل عمَّا سيكون موقف بريطانيا في حال قيام إمام اليمن بمهاجمة أراضي عسير التي لم تنزل تحت سيطرة الإدريسي . و أجابه السيد اوستن شمبرلين بأن بريطانيا كانت مستعدة لبدء مفاوضات مع ابن سعود من أجل مراجعة معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، وحول ماهية المعاهدة التي بين اليمن وإيطاليا فلم يكن لدى اوستن الوقت الكافي لإبداء رأي فيها . أما يتعلق باحتمال هجوم من اليمن ضد الإدريسي ، فإن الحكومة البريطانية ستوليه أكبر قدر من الإهتمام في حال حدوثه (٣٤) .

وبدأت المفاوضات من أجل مراجعة معاهدة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م في رجب ١٣٤٤هـ/ نوفمبر١٩٢٦م ، بالقرب من جدة ، بين ابن سعود من جهة ،

(م١) نقلنا النص حرفياً من كتاب فيلبي ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ترجمة عمر الديراوي ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت . ص ٣٤١ - ٣٤٢ . [المترجمان]

والقنصل البريطاني في جدة والمفوض السامي جوردن ، وبمساعدة جورج أنتونيوس الجهه الأخرى . وعُلقت المفاوضات في ٢٦ ديسمبر من العام نفسه .

في الجزء الأول من المفاوضات ، ألحَّ ابن سعود على أن يُلحق بالمعاهدة النقاط الآتية :

١- اعتراف بريطانيا باستقلاله الكامل والتام .
٢- إلغاء الحصار الذي قررته بريطانيا ، أثناء دخول الحجاز على تصدير الأسلحة الى نجد والحجاز .
٣- مساندة السلطات البريطانية له في استلام ريع «أوقاف الحرمين» في البلدان الخاضعة لسيطرتها ، وبالتحديد من مصر ، و فلسطين ، و العراق ، و الهند.
٤- إعادة تشغيل سكة حديد الحجاز في اقرب فرصة ممكنة ، على أن تكون محطاتها في فلسطين وشرق الأردن ، أملاكاً للحكومة الجديدة في الحجاز ، باعتبار ابن سعود مسؤولاً عن خط حديدي هو ملك للعالم الإسلامي . . إلا أن بدايات هذه المفاوضات اعترضتها معوقات منها :

١- مطالبة المفاوضين البريطانيين ، ابن سعود بالاعتراف بالوضع الخاص لبريطانيا في العراق ، وشرق الاردن ، و فلسطين .واعترض ابن سعود قائلاً : إنه سبق له أن اعترف بالوضع الخاص في العراق وشرق الاردن عندما وقَّع اتفاقيتي بحرة وحدة مع حكومتي تلك الدولتين ، ولكنه في المقابل لا يستطيع توقيع معاهدة مع بريطانيا تتضمن ، شروطاً ، وتغفل في الوقت نفسه ، معارضته على قرار « بلفور »، الذي أساء ـ كما يقول ـ إلى العالم الإسلامي .
٢- إصرار ابن سعود على عدم الإشارة إلى اتفاقيات التسليم في نص المعاهدة .

٣- رفض ابن سعود إلغاء الرق ، بالأسلوب المقترح من المفاوضين البريطانيين

٤- مشكله الحدود بين الحجاز وشرق الاردن .

٥- مسألة علاقات ابن سعود مع إمارات الخليج العربي[٣٦] .

وفي شوال ١٣٤٥هـ/ أبريل ١٩٢٧م ، أرسلت الحكومة البريطانيه جليبر كلايتون إلى جدة ، وهو الذي سبق له أن تفاوض في عام ١٩٢٥م ، مع ابن سعود حول اتفاقيتي بحرة وحدة ، وذلك بغية معاودة المفاوضات والتوصل إلى إتفاق . وكانت تعليماته تتجلى في الآتي :[٣٧]

١- بما أن الحكومة العراقية أعتبرت أن أي إضافة داخل المعاهدة المُعدة للتوقيع بين بريطانيا وابن سعود تتعلق باعترافه بنظام الحماية البريطانية لن تكون في جوهر الوثائق التي تنظم العلاقات بين ابن سعود نفسه والحكومة البريطانية ، لذلك ليس هناك داعٍ للإلحاح على اعتراف ابن سعود بالوضع الخاص لبريطانيا في العراق وشرق الأردن وفلسطين . ويكفي أن يعترف بحق الحماية التي يتمتع بها الرعايا العراقيون لدى المؤسسات الدبلوماسية والقنصليات البريطانية ، في أقاليمه ، حسب العُرف الدولي المعمول به ، رغم أن الحكومه البريطانية لم تُعين قناصل داخل أقاليم ابن سعود[٣٨] .

٢- ترك كل مطالبة من ابن سعود بالإعتراف بنظام التسليم .

٣- يجب أن يلتزم ابن سعود بالتعاون في موضوع إلغاء تجارة الرقيق ، مع مكاتب القنصليات البريطانية . وفي حال اعتراضه على إدراة هذا الأمر في نص المعاهدة ، يمكن أن يكون ذلك موضوعاً لتبادل الملاحظات والآراء .

٤- فيما يتعلق بمسألة الحدود بين الحجاز وشرق الأردن ، فإن من الضروري توقيع ابن سعود على المحضر الملحق بالمعاهدة ، الذي يثبت سيادة شرق

الاردن على معان والعقبة ، الذي سبق أن عُرض عليه أثناء الجولة الأولى من المفاوضات . وإذا رفض ابن سعود كل التعهدات بهذا الخصوص ، فإن من الملائم القول بأن الحكومة البريطانية ترغب في الاحتفاظ بتلك المطالبة ، كما يجب على ابن سعود أن يحترم سيادة شرق الأردن على هذا الإقليم ، وإن أجل كل اتفاق رسمي على هذه المسألة انتظاراً للحل النهائي كما وعد ابن سعود ، جوردن .

٥- تعلق الحكومة في الهند اهتماماً كبيراً حول تعّهد ابن سعود نحو إحترام المعاهدات الموُقّعه بين بريطانيا و إمارات الخليج العربي ، وإقامة علاقات وديّة وسلام معها .

٦- وأخيراً ، فإذا أُضطر إلى قطع المفاوضات ، فإن الحكومة البريطانيه تفضِّل أن يكون على مسألة تحرير الرقيق بدلاً من أن يكون على مشكلة الحدود بين الحجاز وشرق الأردن .

وأعيدت المفاوضات إذاً في ٨ من ذي القعدة عام ١٣٤٥هـ/ ١٠ مايو١٩٢٧م بين ابن سعود ، بحضور الشيخ يوسف ياسين من جهة ، و كلايتون ، ومعه كل من جوردن ، و انتونيوس من جهة أخرى . وانتهت المفاوضات في ١٨من ذي القعدة ١٠ مايو١٩٢٧ من العام نفسه ، بالتوقيع على معاهدة جدة . ومن المناسب تدوين ملخص هذه المعاهدة ، على النحو الآتي :(٣٩)

١- الإعتراف الكامل من قبل بريطانيا باستقلال وسيادة ابن سعود . « البند الأول » .

٢- الغاء معاهدة عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م . « البند التاسع » .

٣- يمكن لابن سعود أن يستفيد من الآن فصاعداً من كل المصالح التي تؤمنها علاقات الصداقة والمساواة مع بريطانيا .

٤- نجح ابن سعود في تجنب الاعتراف بالوضع الخاص الذي فرضته بريطانيا في الأقاليم الواقعة تحت مظلة الانتداب ، ونجح في رفض الاعتراف بإعلان «بلفور» فيما يخص موضوع فلسطين.

٥- كانت مسألة اتفاقية التسليم معروضة لمناقشات حامية.

وقد لخصَّها كلايتون بالآتي :

« إتضح جلياً أن معارضات ابن سعود على البند السادس كانت مؤسسةً في الحقيقة على تخوفه من أن يعتبر التوقيع قبولاً بنظام التسليم. وموقفه يعني تجاهل وجودهم ، ولابد أن يلح على إلغاء نظام التسليم والتمسك بذلك بثبات»(٤٠).

واخيراً ، كانت المشكلة محاولة ترك البند السادس من مشروع النص البريطاني وإلحاق عبارة في البند الخامس هي :

« وحيث إن مبادئ القانون الدولي ، سارية المفعول في العلاقات بين الحكومات المستقله ستكون مُحترمة. . . »(٤١).

٦- تخلى ابن سعود عن طموحاته في إمارات الخليج العربي . وتعهد بإقامة علاقات سلمية ودِّيه مع الكويت وقطر ، والبحرين، و عُمان التي تظل من خلال المعاهدة تحت نظام الحماية البريطانية . (البند الخامس) .

٧- يتعهد ابن سعود بالتعاون مع بريطانيا من أجل إلغاء تجارة الرقيق (البند الثامن).وفي النص النهائي ، قَبِل كلايتون حذف كل شرط متعلق بمتابعة تحرير الرقيق بواسطة المؤسسات القنصلية البريطانية. وأعلم وقتها أن هذه الممارسة يمكن أن تستمر(٤٢).

لقد أشارت معاهدة جدة إلى صعود السيادة الدولية لحكم ابن سعود على أقاليمه . وقد جددت هذه المعاهدة في عامي ١٣٥٥ و١٣٦٣هـ/ ١٩٣٦م و ١٩٤٣م، وبخاصة تجديد البند الثامن .وسارعت إلى الإعتراف بابن سعود بعد بريطانيا ، كل من : فرنسا ،و هولندا ، و الاتحاد السوفييتي ، وبعد وقت يسير ، اعترفت بلجيكا، وتركيا وسويسرا . وفي عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ، وهكذا وحَّد ابن سعود مملكة الحجاز ونجد تحت أسم دولة واحدة هي : المملكة العربية السعودية(٤٣) .

الفصل الثاني

على الصعيد الداخلي : تمرد الإخوان

منذ عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، عمل ابن سعود على تطهير الحجاز من اللصوص ، وقطاع الطرق[١] وأسند عملية « التطهير » الى هيئة متخصصة ، أطلق عليها « هيئة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر »[٢] ، كانت مسؤولة عن نشر الفضيلة ، ومكافحة الرذيلة ، ومنع تعاطي المحرمات كالخمور ، والتبغ ، والحث على أداء الصلوات الخمس جماعة[٣] ، ومكث ابن سعود في الحجاز عامين، بعيداً عن الرياض . وترتب على غيابه نتائج سياسية ، فقد ساور زعماء القبائل في وسط الجزيرة ، وكذا العلماء مخاوف على ابن سعود من أن يتأثر بهذه الأجواء الجديدة .ولاريب أن ابن سعود خلال إقامته في الحجاز سنتين ، قد انفتح على الوسائل الحديثة : كالمذياع والهاتف والسيارة فبادر إلى اقتنائها وكان مفتقراً اليها ، بالنظر الى ترامي أطراف بلاده . مدركاً أن سبب هزائم أسلافه ، عزوفهم عن الانفتاح ، وتقوقعهم داخل الصحراء .

وعاد ابن سعود إلى الرياض في خريف١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦ م ، في سيارة ، وليس على ظهر جمل .برهاناً واضحاً على تأثير الحجاز على أسس الحكم السعودي[٤] ، وهو أمر لابد منه ، للتعامل مع منطقة مفتوحة على العالم الإسلامي ، ولإضفاء مزيد من التسامح ، الذي لا تتحلى به قبائل نجد كما أشار اليه

ديكسون[٥] . وفور عودته الى الرياض ، أصدر ابن سعود قرارات عدة : تشكيل مجلس للوزارء ، وهيئة للسفراء ، وجهاز إداري . . . ، وأدخل نظام الاتصالات بواسطة المذياع ليصل بثه الأقاليم البعيدة . وربط الرياض بالساحل الشرقي بخط حديدي ، وبنى جيشاً أكثر حداثة وأفضل تجهيزاً من ذي قبل ، وأنشأ مصلحة للطيران ، وجلب الآلات اللازمة لشق الطرق ، وأنشأ المطارات ، الخ ... ومكنت وسائل الاتصالات الحديثة ، ابن سعود من مراقبة الصحراء ، وفرض الأمن ، لتصبح البادية عنصراً فاعلاً في وحدة البلاد وقوة الحكم .

يضاف الى ذلك ، أن ابن سعود ، سعى الى نشر التسامح الديني بين قبائله الداخلية[٦] . بعد أن استثمر حماسها في مرحلة سبقت ضم الحجاز ، مستفيداً منها في مجال علاقاته الخارجية ، وتوازن القوى الداخلية . ولكنه في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، ومن أجل دمج الحجاز ونجد ، لقُبّ بملك الحجاز ، ونجد وملحقاتها . وكانت هذه الخطوة الأولى نحو توحيد كامل لإقليمين يحكمهما .

لقد شكل الإخوان عقبة كؤوداً في وجه قرارات ابن سعود . لقد أصيب زعماؤهم بإحباط من مواقف ابن سعود منذ دخول الطائف ، حتى ضم جدة ، تلك المواقف التي حرمتهم من مزاولة الغارات العشوائية ، ولم ترق لهم الإصلاحات السعودية التي كانت تستهدف توحيد الشعب في الحجاز ونجد ، يضاف الى ذلك ما تمخضت عنه اتفاقيتا بحرة وحدة ، من وقف لعمليات الإخوان على جبهتي العراق وشرق الأردن . و«الغزو» ، كما يقول ديكسون : « كان بالنسبة للبدوي ذا قيمة أغلى من الحياة نفسها . ويصبح أكثر كآبة ، حين يمنع منه »[٧] وأخيراً ، فدخول السيارة ، والمذياع ووسائل تقنية أخرى ، قرر ابن سعود نشرها ، جعلت الإخوان حانقين . وهم يرون سلطانهم داخل العربة ، متخيلين أنه أصبح أسيراً بيد بريطانيا[٨] .

كان فيصل الدويش ، زعيم مطير ، غير راض على قرارات ابن سعود ، واستصرخ سلطان بن بجاد ابن حميد ، شيخ عتيبة ، وضيدان ابن حثلين شيخ العجمان ، لمساندته في إملاء شروطهم على ابن سعود ، ومواجهة زحفه ضد أي منهم(٩) ، بدعوى أن موقف الدويش يترجم شعور الكثيرين . في صيف عام١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م ، أحبطت مؤمراة لاغتيال سعود بن عبد العزيز ، في الرياض ، و عبد الله ابن جلوي ، أمير الأحساء(١٠) .

لقد كان السخط الذي أبداه الإخوان ذريعة لإعلان التمرّد. لقد تزامنت محاولة الاغتيال في صيف عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م ، مع بناء قلعة للشرطة العراقية في بُصَيّة على بعد مائة كيلو متر من الحدود العراقية النجدية ، بأمر من السير هنري دوبس المفوض السامي البريطاني في العراق ، فاعتبر الإخوان وبخاصة مطير وزعيمها فيصل الدويش ، هذه القلعة مهددة لحقوقهم في الرعي ، وخرقاً للبند الثالث من المحضر الأول لمعاهدة العقير والملحق بمعاهدة المحمرة ، فجاء ردهم عنيفاً(١١) .

وقد أكد ابن سعود دائماً لهم أن هذه الاتفاقيات الحدودية لم تأت لتضر بأي حق من حقوقهم الرعوية ، إلا أنهم اعتبروا أن بناء هذا المركز العسكري هو بمثابة خيانة. وقبل ذلك بوقت قصير ، طلبت السلطات البريطانية من ابن سعود إمكان إنشاء الخدمات الضرورية لتشييد خط جوي باتجاه الهند على ساحل الخليج العربي. ورفض ابن سعود الطلب تحت ضغط الإخوان ، ربطوا بين تشييد قلعة بُصيّة ، ومشروع تشييد الخط الجوي ، فانتابهم الشك حول خلفيات ذلك ، وبخاصة بعد دخول أوروبيين إلى الجزيرة(١٢) . لهذا، قرر الإخوان أخذ زمام

المبادرة . وفي عام ١٣٤٦هـ/ ٥ نوفمبر ١٩٢٧ م .هاجمت فرقة من مطير مركز بُصَيَّة ، وقتلت مجموعة من أفراده ، بتحريض من فيصل الدويش .

وكان من نتائج ذلك الهجوم إلغاء اجتماع مُقرر في الكويت بين الجانبين النجدي والعراقي برئاسة المعتمد السياسي البريطاني ، الميجور مور . وكان يراد من هذا الاجتماع أن يحل محل المحكمة الخاصة التي تقرر إنشاؤها في اتفاق بحرة ، هذا الاتفاق الذي بدا غير قادر على حل الشكاوي المتبادلة للقبائل الحدودية لكلا الدولتين . وأمام كثرة الشكاوي تقرر عقد اجتماع لمراجعة وتحديد إجراء أكثر كفاءة لحل المشكلات المستقبلية . ولكن هذا المؤتمر أُلْغيَ بناءاً على طلب من ابن سعود الذي فضَّل أن يتولى بنفسه حل المشكلة القبلية [١٣] . وفي غضون ذلك ، وصل حافظ وهبة مُوفداً من قبل ابن سعود . واتصل يوم ٨ ديسمبر ١٩٢٧م ، بالميجور مور ، وأخبره أنه قد تسَّلم رسالة من ابن سعود فحواها إبلاغ السلطات البريطانية بأن هناك اضطرابات إنفجرت في نجد خارجةً على أوامره . وأبلغ حافظ وهبة التحذير نفسه شيخ الكويت[١٤] .

كانت سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨ م بداية تمرد الإخوان على ابن سعود [١٥] . حيث شهدت تلك السنة في البداية غارات منظمة ضد العراق ، و الكويت . وقد حاول ابن سعود أولاً معالجة الوضع عن طريق الحوار . فانحاز إلى صف الإخوان ، وطالب البريطانيين بإزالة قلعة بُصيّة التي قال إنها تتعارض مع البند الثالث من المحضر الثاني للعقير [١٦] . وفي ظل هذا الهدف ، قابل ابن سعود السيد جليبر كلايتون مرتين في جدة في شهر مايو وشهر أغسطس عام ١٩٢٨ م ، دون الحصول على قبول من الوفد البريطاني على إزالة مركز بُصيَّة ومركز السلمان الذي أنشيء مؤخراً ، وأكد ابن سعود لكلايتون إصراره على ذلك حتى لا يفقد

سيطرته على قبائل الإخوان. معلناً أن لديه خيارين : إما القطيعة مع بريطانيا ، وهذا أمر لا يستطيعه ، وإما أن يبلغ قبائله بعدم جدوى الاتفاق الذي وقّعهُ في العقير. وكما يقول كلايتون فإن ابن سعود كان صادقاً معه ، قلقاً بين أمرين : تحاشي القطيعة مع بريطانيا ، وفي الوقت نفسه حرصه على هيبة سلطانه لدى القبائل(١٧) .

لقد رغب ابن سعود عام١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م ، في تلافي اختبار الاختيار بين بريطانيا و الإخوان ، رغم أن كلايتون قد عرض عليه آنذاك المساعدة ، غير أن ابن سعود كان واثقاً وقتئذ من قدرته على تفكيك هذه القوة من خلال الأسلوب التقليدي ، وفي الوقت المناسب ، متجنباً اللجوء الى القوة التي تخلف ضغائن وحقداً. ولو أن كلايتون استجاب لابن سعود ، لاستطاع ابن سعود أن يبرهن أمام قبائله قدرته على التأثير على البريطانيين من خلال نجاح دبلوماسي ، ولأمكنه جذب المعتدلين من الإخوان ، وعزل المعارضين منهم ، وإيجاد ثغرة ينفذ منها عندما يقرر اللجوء الى القوة . وكان الإئتلاف الذي سعى ابن سعود الى جمعه عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٨ م مشكوكاً فيه ، لأنه كان سيجمع العجمان «ضيدان بن حثلين» ، ومطير « فيصل الدويش » وعتيبة « سلطان بن بجاد بن حميد» ومجموعة من الإخوان الرولة بقيادة فرحان بن مشهور.

وبعد أن أخفقت محادثاته مع كلايتون ، عاد ابن سعود إلى الرياض ، في رجب عام ١٣٤٥هـ/ سبتمبر ١٩٢٨ م. حيث دعا زعماء قبائل نجد ، و الإخوان ، والعلماء الى اجتماع عامّ يوم ١٠ جمادى الأولى / ١٩ أكتوبر من العام نفسه ، وكان عددهم يزيد على ثلاثة عشر الف شخص(م١) . حضروا جميعاً ماعدا فيصل الدويش الذي أناب عنه ابنه « عزيّز» ، وغاب أيضاً سلطان ابن حميد وضيدان ابن

(م١) لقد بالغ المؤلف بعدد الحاضرين ، والصحيح ، أن العدد لا يتجاوز الفاً ، كما تشير معظم المراجع [المترجمان].

حثلين . وتردد ابن سعود في افتتاح الاجتماع بسبب غياب هذين الزعيمين ، ولكنه أراد التقليل من نفوذ الزعماء الثلاثة على قبائلهم فافتتح المداولات[١٨] .
وعرض الإخوان ثلاثة مطالب رئيسة :

١- إلغاء الضرائب التي فرضها ابن سعود على قبائل نجد .
٢- منع استخدام السيارات ، والمذياع ، والهاتف وكل مخترعات الكفار التي دخلت إلى البلاد .
٣- إزالة المراكز العراقية المبنية حديثاً على حدود بُصَيَّة والسلمان[١٩] .

وفيما يخص النقطة الأولى ، فقد وافق عليها ابن سعود . أما الثانية ، فقد أعلن سلطان نجد أنه يعتبر هذه المخترعات مفيدة جداً للمسلمين ، وأخبرهم بأنه سيقبل هذا الطلب شريطة أن تدمر أسلحتهم النارية وذخيرتهم ، لأنها من صنع الكفار . ثم طلب من العلماء الحاضرين تبيان الحق ، وايضاح ما هو جائز وغير جائز من الاختراعات الحديثة .فأيَّد المشايخ والعلماء ما ذهب إليه ابن سعود . أما المطلب الثالث ، فقد اقترح ابن سعود منحه مهلة شهرين ، يحاول خلالها إقناع البريطانيين عبر المفاوضات ، وبعد انتهاء المدة ، سيكون من حقهم ـ وهو معهم ـ مهاجمة تلك المراكز الحدودية . و طلب من القبائل البدء في تخزين المواد التموينية من الأسواق التي حددها[٢٠] .

ثم باشر ابن سعود ، تحويل الإخوان من الكويت و الحدود العراقية ، ليستوطنوا في منطقة الأحساء ، ومنع تدريجياً القبائل من التنقل والترحال عبر الحدود الكويتية والعراقية ، خوفاً من تماديهم في الإغارة على أهداف أبعد .

وخلال إجتماع الرياض ، استطاع ابن سعود الانتصار على شريحة من الإخوان المعارضين ، وتفنيد حججهم الدينية ، التي استندوا عليها في مطالبهم ،

كما أفاد من مهلة الشهرين ، ليعيد تنظيم وضعه . وعاد جميع الزعماء المشاركين إلى مواقعهم آمنين . ولذلك كان أكبر نجاح حققه أنه أستطاع أن يثبت عزل المقاطعين لهذا التجمع عن الإجماع الوحدوي على شخصيته ، وعندما عرض ابن سعود على المجتمعين التنحي عن الحكم واختيار آخر من أسرته ، تعالت الصيحات تأييداً له ، وكأن ذلك استفتاء شعبي .

وفي مناقشات جانبية ، ذكر ابن سعود لرهط من الإخوان أن الوقت لم يحن بعدُ لمهاجمة العراق ، لأن فرص النجاح ضئيلة بسبب التصلب البريطاني ، ولا مناص من الانتظار الى أن تقوم اضطرابات داخل العراق ، تهيء فرصة للهجوم(٢١) .

بعدالمؤتمر مباشرة ، أبلغ ابن سعود الكونويل لوش ، المعتمد السياسي في البحرين ، بعزمه على مقابلته في أقرب فرصة ممكنة في الأحساء وحُددت المقابلة في شهر ديسمبر . ولكن ابن سعود أخبر لوش في نهاية شهر نوفمبر بأن وضعه لا يسمح له بمغادرة الرياض .

وفي الفترة نفسها ، تسَّلم ابن سعود رسالة من القنصل البريطاني في جدة تتعلق بمفاوضاته السابقة مع كلايتون حول قضية مركزي بُصَيَّة و السلمان الحدوديين ، واقترح القنصل في هذه الرسالة إجراء تحكيم حول مسألة الخلاف . وقد رد ابن سعود برسالة في بداية شهر ديسمبر تضمنت قبوله لهذا الاقتراح ، ومرئياته حول اجراءات التحكيم(٢٢) . ولم يعد ثمة داع إلى لقاء بين ابن سعود ولوش .

في رمضان عام١٣٤٧هـ/ نهاية ١٩٢٨ م ، بلغت ابن سعود أخبار عن عزم فيصل الدويش و ضيدان ابن حثلين ، القيام بغارات مع نهاية مهلة الشهرين . فأخذ

ابن سعود يعد العدة لمواجهة تمرّد الإخوان .وأمضى ربيع عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م ينظم قواته ويحاول الاتصال بزعماء الإخوان ، ولكنهم ـ كما يقول فيلبي ـ «رفضوا طلب الملك منهم الاستسلام دون قيد أو شرط كي يحاكموا أمام محكمة الشرع التي يمكن أن تدينهم بالخيانة العظمى وتصدر حكمها عليهم بالإعدام . وإن كانوا في هذه الحالة يستطيعون أن يطلبوا رأفة الملك الذي سيمنحهم إيَّاها بكل تأكيد . وربما كان هؤلاء الزعماء يدركون أنهم أمعنوا في ثورتهم إلى درجة لا يستطيعون معها المغامرة »(٢٣) (م٢) .

وانتقل ابن سعود باتجاه القصيم حيث تتمركز قوات الإخوان في روضة السبلة قرب الزلفي ، وبدأت المفاوضات ، فطلب الملك من ابن بجاد أن يسلّم الغنيمة التي غنمها خلال إحدى الغارات . ولكن ابن بجاد ، اقترح عرض هذه المسألةعلى محكمة شرعية ، مبيناً الحجج التالية :

« كنت إمامنا ، ياعبد العزيز ، ودعوتنا إلى «الجهاد» ضد كل الكافرين والمنافقين . وكثيراً ماكنت تردد من وجوب تدمير العراق ، وأن الغنيمة ستكون حلالاً . وتقرأ القرآن كثيراً ، لتؤكد أنَّ ما يمارسه المسلمون ضد المنافقين أمر مشروع . واليوم ، وبناءاً على طلب الانجليز الكفار ، وبعد أن نعتنا بالمقاتلين المحنكين وبأننا سيف الإسلام ، تصفنا بأننا مخطئون ، وأن علينا تسليم الغنيمة التي غنمناها .فإما أن تكون مفترياً علينا ولا يهمك سوى مصلحتك الخاصة ، أو أن القرآن الكريم ليس هو الكتاب الصحيح . وعلى علماء نجد أن يختاروا بيننا وبينك»(٢٤) .

(م٢) لقد نقلنا النص كاملاً من فيلبي ، استكمالاً للموضوع [المترجمان] .

أدرك ابن سعود خطورة الإخوان ، واستفحال أمرهم القائم على التعصب ، وعدم التسامح ، والرفض التام لكل تقدم وتطور .وكان عليه أن يختار بين أن يؤسس دولة حديثة ، يتوافر فيها كل ما يطمح إليه ، أو أن يخضع للإخوان . يقول ديكسون : « فبدلاً من القطيعة مع البريطانيين قرر الامتثال للإخوان بشكل سريع ونهائي »[٢٥] .

وفي ١٩ شوال من عام ١٣٤٧هـ/ ٢٩ مارس ١٩٢٩م، وصل ابن سعود إلى «السبلة» ، وبينما كانت المحادثات جارية بين الجانبين ، هاجم ابن سعود فجأة مخيم زعماء الإخوان ، الدويش وابن بجاد ، وهُزم الإخوان وتكبدوا خسائر جسيمة وجُرح فيصل الدويش جُرحاً بالغاً حتى لم يعد قادراً على القتال . و هرب ابن بجاد صوب الغطط ، القاعدة الرئيسة للإخوان من عتيبة ، وطارده عبد الله بن عبد الرحمن ، حتى استسلم . وتم تمشيط الغطط . أما الدويش الجريح فقد اقتيد إلى ابن سعود ، الذي سمح له رأفةً به ، أن يعود إلى الأرطاوية لكي يتلقى علاجه هناك ، أو يموت بين أهله وذويه[٢٦] ، وبالنسبة لابن بجاد فقد سُجن في الرياض[٢٧] .

وبعد معركة السبلة ، غادر ابن سعود إلى مكة المكرمة ليشرف على الحج السنوي ، وهو مطمئن إلى أنه قضى على تمّرد الإخوان ، حيث كان مجموعهم أكثر من الف رجل ، وأعلن لهم مختصراً :

« كل ما يتعلق بالدين ، لا تحسمه قرارات فردية ، كما فعل المتمردون من الإخوان ، وهو خطأ جسيم ، وكان لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم وإلى سنة الرسول ﷺ. فأهل الذكر هم الذين يُسألون في تفسير القرآن والأحاديث ولا بد من طاعتهم » .

« عليكم أن تطيعوا ملككم في أعمالكم وفي آرائكم . عليكم أيضاً أن تنصحوه دون وجل ، ولكن حينما يتخذ قراراً عليكم الإمتثال » .

« ليس لكم الحق في عقد اجتماعات عامة لمناقشة شؤون الدين أو السياسة ، دون إذن ملككم لأن ذلك يجعل الجهلة والمغرضين يسعون الى إفسادكم » .

« عليكم أن تحترموا جميع المسلمين ، وأعراضهم ، وأملاكهم ، والأشخاص الذين يتواجدون تحت حمايتهم »[٢٨] .

وبعد ذلك عمل على تصديق أحاديثه تلك من قبل العلماء الحاضرين .

وبعد معركة السبلة بوقت قصير ، وبعد أن أبلَّ فيصل الدويش من جراحه ، رد على رسالة كتبها إليه سعود بن عبد العزيز ، يطلب منه المثول أمام والده . وقد حمل رد الدويش تفسيراً لتمردالإخوان ، أوجزها في الآتي :

« تسلمت فعلاً رسالتك وفهمت فحواها . أما نصيحتك بأن أمتثل لوالدكم ، فهذه أمنية غالية لديَّ ، بالنظر إلى مروءته تجاهي أثناء معركة السبلة ، ويعلم الله أنني مستعد للتضحية بثرواتي وأملاكي في سبيل مرضاة والدكم . ولكن ثمة عقبتين يحولان بيني وبين ذلك :

أ) نحن الإخوان لم نشن غارات إلا ضد المنافقين ، والذين خرقوا مواثيقهم بعدم بناء قلاع ، وهم الذين حرضوا رعاياكم على التمرد ضدكم ، وأبلغت والدكم بهذا ، وإنا لعاتبون عليه ، سوى ذلك أعمالكم بالنسبه لنا صحيحة ، جزاكم الله خير الجزاء .

ب) والغنيمة التي غنمناها سبق أن قُسمت ولم يبق منها شيئ ياسعود ، لقد تركت أرضي وزعامة قبيلتي ، وضحيت بثرواتي من أجل أجر الآخرة ، وجهاد

المنافقين .فإذا منعتمونا عن مقاتلتهم ، و عصى أحد منا أوامركم ، زججتم به في السجن أو قتلتموه .وتلك مصيبة لنا ، ومدعاة لهجرة رعاياكم ، الذين قيدتم ممارساتهم توددا [للانجليز]. الذين سعوا من خلال فيصل بن الحسين الى تأليب رعاياكم ضدكم ، وبذلوا لهم الأموال والأملاك . في العام المنصرم ، حاول أبو حنيك [جلوب باشا] إغرائي بذلك ، وأحطتكم علماً بما حصل(٢٩) حتى ابن صباح وهو لا يساوي شيئًا ، بالنسبة للنصارى و العرب .أثار العجمان وأغراهم بالمال ، وطلب منهم المجيء إلى الوفرة ، وتعهد بحمايتهم من ابن سعود. . وأخبرهم أن أراضيه مفتوحة أمامهم ، يلجأوون إليها ، وأنه سيتحدث بشأنهم مع النصارى ».

« عليكم أن تدركوا مكايد النصارى في خداعكم ، وتحريض رعاياكم على التمرد ، أما أمير الكويت ، فهو أداة بأيديهم ،يعمل معهم . وقد أستلمت رسائل من العراق ، و الكويت تغريني بالتخلي عنكم إذا منعتوني من الغزو ضد البدو . لم نعد - والحالة هذه - مسلمين لاننا لا نستطيع أن نقاتل الكافرين ولا عرباً أوبدواً ، لأننا لا نمارس الغزو ضد بعضنا الآخر ولا العيش على الغنائم . حقاً ، بذلتم لي ولقبيلتي ما قدرتم عليه . ولكن ماذا بوسع قومي أن يفعلوه ؟ إنهم سيهلكون . فهل نرضى لهم هذا ؟ في الماضي تقابلون الخطأ بالعفو ؟ ، وتنسون النصارى ، إن عقيدتهم وقلاعهم التي بنوها ، تهدد وجودكم ياسعود. . . وإذا أردتم حل القضية ، عليكم مراجعة الأمور عن كثب ، ونطالبكم بثلاثة أشياء، على والدكم الموافقة عليها مع تصديق من المشائخ :

أ) العمل على تجاوز الماضي

ب) إطلاق سراح المسجونين من الجانبين .

ج) السماح لنا بمقاتلة الكافرين بقيادة أحد أنجال عبد العزيز . وسنبذل لكم الكثير نحن أهل نجد ، فإذا قُتلنا ، فلا يهم ، وإذا انتصرنا ، فالظفر لكم ولنا ، وكلنا أخوة ، نحن إخوان الغطط .

« فإذا وافقتم على تلك النقاط الثلاث ، أعدكم أن أصبح خادمكم ، وعبدكم وأعطيكم كل الحقوق على حياتنا وعلى أموالنا ، وإخواننا سيتعهدون بذلك وأنتم ـ أهل نجد ـ لا تتركوا احداً يخدعكم من أولئك القريبين منكم . وإذا أردتم أن نعود إليكم ، أبعثوا لنا عالماً معروفاً ، و الله شاهد عليَّ ، أني أقسم مع العجمان ، ومطير والآخرين الذين هم اليوم في صّفي بأننا سنهاجم الكافرين حتى قبل أن نأتي لرؤيتكم ، هداكم الله . وأتمنى أيضا وأعرف كم يحب والدكم رعاياه ويحب أن يصفح عنهم . والدكم رجُلنا السياسي نحن العرب . إذن ، أعطونا الأمان بأن شيئاً لن يحدث ضد العجمان ، أوضد ابن مشهور وكل الذين معه ، واصفحوا عما بدر منهم» .

« نناشدكم باسم الله أن لا تخيبوا آمالنا ، وتضطرونا إلى تضييع ديننا ، بالذهاب إلى النصارى الذين لا نحبهم ولا يحبوننا» .

« فإذا وافقتم ، فالله شهيد على ذلك ، ولكم أن تضعونا تحت الإختبار وسترون أننا ملتزمون بذلك . وإذا حدث حادث فافعلوا فينا ماتريدون . ويعلم الله أننا ودعنا أهلنا وأولادنا وزوجاتنا بالدموع . ياأخي سعود ردوا عليَّ سريعاً ، ولا تنسوا أن الذي ليس على دينك لا يعينك»[٣٠] .

وخلال صيف عام١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩ م ، أصبح الوضع غامضاً ، وصار ولاء القبائل لابن سعود مشوباً بالشك ، لا تعاطفاً مع الإخوان أو الدويش ، وإنما مبدأ سياسة الصحراء القائم على « الولاء للأقوى » ، وعم هذا الموقف القبائل من

عتيبة الحجاز حتى قبائل الخليج العربي . وهم وإن القوا بأنفسهم في تهلكة التمرد المعلن، إلا أنهم أخذوا ينتظرون نتائج الصراع ، لينضموا إلى المنتصر(٣١) .

وأخذت قبائل البادية ، تراقب الوضع ، وتحاول استجلاء مستقبل المعركة ، وترجح انتصار أحد الخصمين . منسحبة من ظل الولاء ، إلى زاوية الحياد . ونادراً ما يخضع البدوي إلا لاعراف قبيلته ، وتقاليد عشيرته .

أما الإخوان، فيشكلون ظاهرة مختلفة ، لكنها مترابطة . وهم حركة طالما استطاعت - بتحريك من ابن سعود - أن تتوسع ، حتى بلغت الحدود مع الهاشميين و البريطانيين ، باعتبارهم أعداءاً لا يُعتد بهم . وحينما هاجم الإخوان في عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م المركز الحربي العراقي في بُصَيّة ، كان شعورهم بأن هذا الإجراء ينم عن ازدراء الهاشميين وحلفائهم البريطانيين ، بقوة الإخوان . فأرادوا إثبات قدرتهم على التمادي - كما قال الدويش - إلى البصرة . إن الثقة بالنفس ، واحتقار الخصوم جوهر روح الإخوان . وعندما منعهم ابن سعود من مواصلة تلك الغارات ضد العراق ، مع أنه لم يحصل على وعد من السلطات البريطانية بهدم تلك المراكز المحدثة ، بدا موقفه يضعف ، وامتثاله للإرادة البريطانية يزداد .

لقد ارتكزت سياسة سلطان نجد ، منذ التوقيع على محاضر العقير ، على إستمالة قبائل الظفير والعمارات الموالية له بكل الوسائل المتاحة ، لأنه كان يعتبرها قبائله ، بموجب التبعية القبلية للبدو الرحَّل(٣٢) . وحيث إن إقامة هذه المراكز الحدودية ، جاء لبسط نظام المراقبة الهاشمية على تحرك القبائل ، بدعم من البريطانيين ، ولأن الإخوان لا يأبهون بقوة العراق ، ولكي يحافظ ابن سعود على صورته في أعين القبائل الحدودية ، التي ترى فيه شخصية أسمى من فيصل بن

الحسين حليف البريطانيين ، لكل هذه الأسباب ، أُضطر ابن سعود إلى الاعتراض بكل قوته على بناء تلك المراكز الحدودية لكي يفرض ، أمام الملأ ، إرادته على السلطات العراقية والبريطانية معاً ، والاحتفاظ بسياسة استمالة القبائل الحدودية .

وفي صيف عام١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م ، أُضطر ابن سعود ، إلى إعادة تقويم وضعه، ولأول مرة منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، يصطدم التوسع السعودي بعقبة، ولأول مرة يمنح ابن سعود اهتماماً بالأوضاع السياسية الدولية وتأثيرها على سياسة الصحراء ، ولكن هذه السياسة بدت تجلب له المتاعب . وما تمرد الإخوان، سوى مسألة تساؤل لدى القبائل حول مستقبل حكم آل سعود(٣٣) .

لقد استمد تمرّد الإخوان ، قوته من مصادر شتى . وعندما شعر الملك فيصل بضعف موقف ابن سعود ، ناشد اللاجئين من شمَّر في العراق بالعودة إلى نجد والانضمام إلى قوات فيصل الدويش(٣٤) . ذكر ذلك أمير الكويت لديكسون :

« تَذَكَّر ، أن غاية الدويش سياسيّة . وليس وراء حركته باعث ديني . ومايريده هو القضاء على أسرة آل سعود ليحلّ محلها . ومنحه نجاحه أملاً في أن يصبح الزعيم في نجد . أما الحجاز ، فلا يهمه إن عاد الى الهاشميين ، وكذا الأمر بالنسبة لرجوع آل رشيد الى حائل»(٣٥) .

احتج ابن سعود لدى البريطانيين على المساعدات المادية التي يتلقاها المتمردون من العراق ، و الكويت(٣٦) . وحقيقة ، بعد أن قطعت الجسور بين ابن سعود والمتمردين ، ولّى هؤلاء المتمردون وجوههم شطر الكويت ، و العراق ، بل صوب بريطانيا ذاتها . وكان الإخوان المحاصرون من قبل ابن سعود ، داخل صحراء قاحلة، يبحثون عن المراعي لمواشيهم وعن الدعم السياسي لأهدافهم .

في ١٧ و ٢٥ يونيو عام ١٩٢٩م بعث فيصل الدويش برسالتين متتاليتين إلى أحمد الجابر الصباح ، أمير الكويت ، طلب في خطابه الأول حماية ابن صباح وتوسطه لصالحه ، لدى السلطات البريطانية : « رغبتنا الوحيدة أن تقوم بدور الوسيط بيننا وبين الحكومة البريطانية ، مثلما كان ابن سعود رسولنا لدى تلك الحكومة بخصوص شؤوننا المباشرة » .

وفي الرسالة الثانية يذهب الدويش إلى أبعد من ذلك فيقول :

« نحب أن تكون معنا ، لننفذ معاً مقاصد شريعتنا الإسلامية . وندعوك لتصبح إمام جيش الإخوان ، يضعه الله أمانة بيديك . وإذا رغبت أن تساعد الشريف فيصلاً «ملك العراق» على إثارة حرب في الحجاز بدعم عتيبة ، فأسرع بإعطائه هذه النصيحة . أنت تعرف الصداقة المتينة التي كانت بيني وبين والدك . . . باسم هذه الصداقة ، أخبرك أنك ستعيش في الكويت بفضل الله سعيداً مزهواً ، فاعمل على بناء قوتها ومجدها»(٣٧) .

وفي يوليو١٩٢٩م ، قدم حزام ابن حثلين زعيم العجمان ، على ديكسون ، يطلب توقيع معاهدة تحالف بين المتمردين من الإخوان و بريطانيا . على أن يلتزم الإخوان بعدم مهاجمة العراق أو الكويت ، وأن يحترموا حدود تلك الدولتين ، فرفض ديكسون ذلك بشكل قاطع(٣٨) .

ولو تجاوب الملك فيصل ، ملك العراق ، مع دعوات الإخوان ، و ساعدهم ، من وراء السلطات البريطانية ، فلن يجد في الكويت شيخاً بقوة أميرها مبارك الصباح جد أحمد الجابر . ثم إن السلطات البريطانية أبلغت فيصلاً بأن ولاءه لبريطانيا يتطلب رفضه كل اتصال مع الإخوان المتمردين ، والتوقف عن ،

مساعدتهم[٣٩] . وفي صيف عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م . بدأ ابن سعود تحركه لاختراق صفوف الإخوان ، منهياً فترة التربص التي حددها القنصل البريطاني في جدة . وفي يوليو ١٩٢٩م ، نجح ابن سعود في الاجتماع بزعماء من قبيلة عتيبة في الدوادمي ، وغيرها من القبائل الرئيسة في نجد . ومما قال لهم :

« تعلمون يا أهل نجد ، أنني زعيمكم ، من صلب زعمائكم السابقين ، وأنا بإذن الله وقدرته ملككم . رحيم للضعيف ، موقر للكبير . لقد أصبحتم أغنياء بعد أن كنتم فقراء ، و أقوياء بعد أن كنتم ضعفاء ، فوسوس الشيطان في صدوركم ، واعتقدتم أنكم تستطيعون التدخل في شؤون الحكومة وتصدرون أوامركم ، وأنتم لا تملكون كفاءة لذلك ، فساءت الأمور ، وكنت مُضطراً لعلاجها ، وأنذرتكم مراراً فلم تجد النذر . حتى حسم الله الأمر بمعركة السبلة . واليوم ، إما أن تقفوا معي فهذا حسن منكم ، وإما أن تساندوا المتمردين عليَّ وعندها سترون ما أفعل بكم . يا أهل نجد ، عاهدت الله أن أحقق ثلاثة أمور :

١ - نشر العقيدة بين الناس ، وتطبيق الشريعة في كل نواحي الحياة . .
٢- القضاء على الطغاة والبغاة بالسيف .
٣- تقريب المخلصين ، ومكافأتهم .

ومنكم ، أطلب ثلاثة أمور :
١ - إذا كانت لديكم شكاوي فاعرضوها عليَّ مباشرة .
٢ - عليكم ، ياشيوخ القبائل ، أن تعاملوا أهلكم مثلما أعاملكم حسب ما تقتضيه الشريعة .
٣ - أعطوا المتمرد فرصة التوبة ، وامنحوه الأمان ، حتى يعود إلى الطريق الصحيح ، وإذا رفض فعاقبوه . واعلموا أنني ساقوم بحملة ضد المتمردين مع

مطلع الشهر القادم . وسأبيد الخونة ، وأطلب من الجميع ، أن يرافقوني ، فإن غاب أحد منك دونما عذر مقبول ، فليعاقب»[٤٠] .

في خضم الصعوبات التي واجهت ابن سعود ، أخذت السلطات البريطانية تتجه نحو تأييد ملك الحجاز ونجد[٤١] وعلى الرغم من أنها لم تسمح له بملاحقة المتمردين داخل أراضي الكويت ، إلا أنها ضغطت على أمير الكويت ، وملك العراق، لإجبارهما على منع إيواء المتمردين أو إمدادهم[٤٢] .

وفي يونيو ١٩٢٩م ، عندما أبدى عبدالعزيز بن فيصل الدويش ، رغبته في دخول الكويت مع مئات من رجاله ، بغية التزود بالمؤونة ، و الاستقرار في الصليبية ، عارض ذلك قطعياً المعتمد السياسي في الكويت الكلونيل ديكسون[٤٣] ، لكنَّ أمير الكويت ، وملك العراق ، تعاطفا مع الإخوان ، وقَّدما بطرق ملتوية مساعدات لهم[٤٤] .

وزودت السلطات البريطانية ابن سعود بمعلومات عن أوضاع قوات المتمردين واتصالاتهم ، وبخاصة مع أمير الكويت[٤٥] . وقد فوّض «مكتب المستعمرات» ديكسون في الكويت بتزويد ابن سعود مباشرة بما يجد من معلومات[٤٦] .

ناشد ديكسون الإخوان أن يوقعوا سلاماً مع ابن سعود ، مؤكداً لهم أن بريطانيا لن تقدم لهم شيئاً . وأثناء مقابلة تمت في الكويت مع اثنين من زعماء المتمردين « الفغم »من مطير و«حزام بن حثلين» من العجمان ، حاول ديكسون اقناعهم بإقامة سلام مع الملك عبدالعزيز[٤٧] . وفي أثناء ذلك ، قام الطيران البريطاني ، المتمركز في العراق بعدة طلعات جوية استعراضية على الحدود العراقية النجدية ، وأحيط ابن سعود بذلك[٤٨] .

ومن جانبه ، كان ابن سعود يحيط السلطات البريطانية علماً بتحركاته على التخوم العراقية والكويتية ، لكي لا يحدث سؤ تفاهم . وقد طلب منها في مذكرة دبلوماسية مؤرخة في سبتمبر ١٩٢٩م ، تشديد الحراسة على حدود الكويت لئلا يصل الدعم إلى المتمردين ، وعرض ابن سعود على السلطات البريطانية خططه العسكرية ، مكرراً طلبه السماح له بملاحقة المتمردين داخل الأراضي الكويتية . بل إنه استبق نهاية عملياته العسكرية ، باستجلاء موقف السلطات البريطانية فيما لو أراد المتمردون اللجوء إلى العراق (٤٩) .

وفي نوفمبر وحيث إن ابن سعود لم يتسلم بعدُ جواباً على استيضاحه المتعلق بموضوع لجوء المتمردين إلى العراق أو الكويت ، كتب إلى القنصل البريطاني في جدة يعلمه أنه طارد المتمردين باتجاه الحدود العراقية والكويتية . وأنه لم يبيِّت النية لملاحقتهم خارج الحدود ، ولكنه يحتفظ بحق مطاردتهم داخل أراضي العراق ، أو الكويت أو شرق الاردن ، إلا إذا منعتهم السلطات المسؤولة لتلك الدول من الدخول الى أراضيها . وإذا لم يحصل على هذا الضمان ، وإذا لم يسمح له باجتياز تلك الحدود ، فإنه يتحلَّل من كل مسؤولية فيما يحدثه الإخوان في المستقبل ضد هذه الدول الثلاث (٥٠) .

وفي مستهل شهر ديسمبر ، جاءه الرد ، متضمناً دعم السلطات البريطانية له ، غير أنها منعته من حق المطاردة . إثر ذلك ، خيَّم ابن سعود على مشارف الحدود الكويتية ، وكتب إلى المقيم السياسي ، يخبره بنهاية وشيكة لقضية فيصل الدويش ، وشكر السلطات البريطانية على بيعها له أسلحه وطائرات « بقيادة طيارين بريطانيين » ، وطلب أن يسمح لفيصل الدويش بدخول العراق أو الكويت .

كان المتمردون ، قد طردوا من الكويت نهاية نوفمبر ١٩٢٩ م ، بواسطة الدبابات المدرعة البريطانية . ووصلت المجموعات الأولى منهم إلى الحدود

العراقية في الواحد والثلاثين من الشهر نفسه . واستسلم عدد من زعمائهم خلال شهر ديسمبر للسلطات العراقية . وفي ٥ شعبان عام ١٣٤٨هـ/ ٥ يناير ١٩٣٠م ، وصل ابن سعود إلى الحدود ، في الرقعي ، برفقته ستة عشر الف رجل وحوالي ثلاثين سيارة و كان يوجد هناك أيضاً قوات بريطانية وعراقية متمركزة مسؤولة عن منع دخول الإخوان الأراضي العراقية .

وفي ١٠ شعبان / ١٠ يناير من العام نفسه ، سلّم فيصل الدويش ، الذي كان آخر من استسلم ، سيفه إلى البريطانيين . وتم نقله في الحال مع نايف بن حثلين وجاسر بن لامي(م٣) ، وزعماء آخرين إلى البصرة (٥٣) . وفي ٢٨ شعبان / ٢٨ يناير ، سُلّم فيصل الدويش واثنان آخران من الزعماء المتمردين إلى ابن سعود مع اختتام المفاوضات التي قادها بيسكو القنصل العام المقيم السياسي في بوشهر .

واشترط البريطانيون على ابن سعود ، وهم يسلمونه الزعماء المتمردين الحفاظ على حياتهم . وتوالى تسليم البقية ، وتوقيع الاتفاق . وتعهد ملك الحجاز ونجد بمنع الغارات على العراق ، و الكويت مستقبلاً ، وإذا لم يستطع منعها، فسيطبق إجراء التحكيم الذي نصت عليه معاهدة بحرة ، وستدفع التعويضات بصورة عاجلة .وأخيراً ، دفع ابن سعود دفعة من التعويضات المستحقة للقبائل العراقية التي تضررت من غارات الإخوان المتمردين ، انتظاراً لتحديد قيمة التعويضات المستحقة على العراق لنجد مثلاً بمثل ، و التعويض المتبادل عن الغارات المتتابعة التي قامت بها القبائل العراقية والنجدية في أراضي الطرف الآخر (٤٥).

إذن ، تحقق في شعبان ١٣٤٨هـ/ يناير ١٩٣٠م، القضاء على تمرد الإخوان، بتعاون السلطات البريطانية مع ابن سعود ، و حيادها الذي فرضته على العراق ،

(م٣) سماه المؤلف صاهود بن لامي Sahud ، والصحيح جاسر كما أثبتته المراجع . [المترجمان].

والكويت. وكان للقرارات ـ التي اتخذها ابن سعود منذ بداية ضم الحجاز، وتوجها بتوقيع اتفاقيتي بحرة وحدة، مع بريطانيا، التي مثلت العراق، و شرق الاردن ـ أثر في إنهاء حركة الإخوان. وإذا كان ابن سعود قد استعان بالإخوان في توسعه، وأوجد وضعاً متوتراً، أفاد منه في مفاوضاته مع البريطانيين الذين هم في عيون الإخوان منافقون، فإن ابن سعود اعتبر البريطانيين منذ عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، حلفاء في تنفيذ أهدافه الاستراتيجية، التي أصبحت أهدافاً سياسية واجتماعية، كبناء الدولة وتطوير شعبها. والقضاء على تمرد الإخوان الغاءًا لسياسة الصحراء التي سعى زعماء الإخوان إلى التشبث بها، ولاشك أن هذه تغيرات عميقة أثَّرت على ابن سعود مثلما قال بسيكو:

«لم أقابل أبداً ابن سعود من قبل، ولكن الكلونيل ديكسون يعرفه جيداً وقال لي: إنه قد هرمَ كثيراً عندما رآهُ للمرة الأخيرة وتغيرت أساليبه هي الأخرى. وبينما كان يتصرفَ كشيخ عربي، وهذا بالتأكيد مهم، فقد تبنى الآن أساليب شخصية ملك» (٥٥).

وفي أقل من شهر بعد نهاية تمرد الإخوان، نظمت السلطات البريطانية اجتماعاً بين ابن سعود، والملك فيصل ملك العراق، على متن البارجة بريطانية «لوبن»، في ٢١و ٢٢ رمضان عام ١٣٤٨هـ/ ٢٢و٢٣ فبراير ١٩٣٠م ووصف المفوض العالي البريطاني في العراق أجواء اللقاء: «بين الملكين اللذين، كان ينظر أحدهما إلى الآخر نظرة ريبة وغموض، إن لم يشبها اشمئزاز من كلا الاثنين ـ إلا أنهما في هذه المقابلة اجتمعا في جو ودي، وأنصت كل واحد منهما للآخر يعبر بصراحة عن مشكلاته، ومطالبه»(٥٦).

ولو أن الملكين وافقا سلفاً على التحكيم في مسألة المراكز العسكرية التي أقامتها السلطات العراقيه على مقربة من الحدود النجدية، منذ عام ١٣٤٦هـ/

١٩٢٧م ، لأمكن حلّها من خلال حكمين من كل منهما ، ولكن العقبة تكمن في الحكم الخامس الذي يجب أن يكون محايداً وخارجياً . وقد قبل ابن سعود - بعد رفضه مراراً - أن يُعين هذا الحكم الخامس من قبل البريطانيين . كما قبل الملك فيصل، بأن يقنع ابن مشهور ، الزعيم الأخير للمتمردين ، الذي لجأ إلى ملك العراق ، بالعودة إلى نجد ، بعد أن قدم ابن سعود ضمانات بحياته . واتفق الملكان على عقد محكمة في الكويت في الشهر التالي لمناقشة دفع التعويضات عن الأضرار التي خلفتها الغارات المتبادلة بين قبائل الطرفين ، حسب الإجراء المُعّد طبقاً لاتفاقية بحرة . وأخيراً تبادل الملكان رسائل حسن الجوار ، التي أُعدت من قبل المفوض السامي البريطاني في العراق(٥٧).

إن نهاية تمرد الإخوان ، ولقاء فيصل العراق مع ابن سعود إشارة إلى نهاية عصر تولّى ، وبداية عصر صعد فيه ابن سعود الى السيادة العالمية ، بدءاً بتوقيع معاهدة جدة مع بريطانيا ، وانتهاءاً باعتراف القوى العظمى .. وستتغيّر استراتيجيته ببروز المتغيرات الجديدة ، متوافقة مع المبادئ الرئيسة التي حكمت هذه الاستراتيجية، كل ذلك سنراه في الخاتمة العامة . .

هوامش الباب الرابع

الفصل الأول

(١) Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit. p., 324.

(٢) C. H. Becker, Islamstudien, Vol. I "Die Ausbreitung des Araber" Leipzig, Quelle und Meyer, 1924, p .67.
Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit., p. 325.

(٣) Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit., p. 325.

(٤) انظر " الأهرام " عدد ١١ نوفمبر ١٩٢٤، وأيضاً:
le Temps, 6 and , 28 nov.1924.
Oriente Moderno, IV, 12, pp. 759-760.

(٥) Oriente Moderno, VI, 5, p. 289.
انظر الأصل: أم القرى ، عدد ٢٣ أبريل١٩٢٦ .

(٦) Troeller, The Birth of Saudi Arabia, op. cit., p. 277.
Muhammad Morsy Abdullah , The United Arab Emirates. A Modern History, op. cit., pp .50-51 , and pp. 178-179 .

(٧) B. Shawadran, Jordan, a State of Tension, op. cit. pp. 154-158.
Troeller, The Birth of Saudi Arabia. op. cit., pp. 221-227.

(٨) Ibidem.

(٩) انظر: برقية المفوض السامي في فلسطين الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات في ١١أكتوبر١٩٢٤ :
no 4115, P.S.D.S.F., India Office Records, 3665/1924.

(١٠) انظر: برقية المقيم السياسي الى الوكيل السياسي في البحرين، ، في ٢٠أكتوبر١٩٢٤ :

no 607.14, Colonial Office 727/8.

(١١) انظر: برقية المقيم السياسي الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات في ٢٥نوفمبر١٩٢٤ :

no 4637, P.S.D.S.F., India Office Records, 3665/1924.

(١٢) انظر: برقية من .F.O ، الى Cornflower في العقبة ، ٢٧مايو١٩٢٥ :

no 2990, F.O. 371/10808.

(١٣) انظر: برقية من سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات الى المفوض السامي في فلسطين، في ٢٥فبراير١٩٢٥ :

no 585, P.S.D.S.F., India Office Records, 3665/1924.

(١٤) انظر رسالة غير مؤرخة من .F.O الى القنصل البريطاني في جدة ، لنقلها الى ابن سعود:

no 1603, P.S.D.S.F. India Office Records, 3665/1924.

(١٥) P. P. Graves, (ed.) Memoirs of King Abdullah of Transjordan, London, Jonathan Cape, 1950, p. 217.

(١٦) Collins (ed.) , An Arabian Diary, Sir Gilbert Clayton . op. cit., pp. 99-129.

(١٧) انظر هامش .(20)

(١٨) انظر تعليمات Vernon لكلايتون ، في ١٠ سبتمبر١٩٢٥ :

Colonial Office 38484/25.

Report by Sir Gilbert Clayton on his Mission to negotiate certain Agreements with the Sultan of Najd and Instructions issued to him in regard to his Mission, p. 5.

يشار اليه فيما بعد بـ: .Clayton Report

26 .2.1926, no 747, P.S.D.S.F., India Office Records, 87/1926.

(١٩) Clayton Report, op. cit, . p. 5.

(٢٠) هذا النص يعين حدود نجد مع شرق الأردن .

(٢١) Clayton Report, op. cit., p. 16.

(٢٢) Ibidem, pp. 17-18.

(٢٣) Clayton Report, op. cit., (Annexe 4.).

(٢٤) Clayton Report, op. cit., pp .20-21.

(٢٥) G. Troeller, The Birth of Saudi Arabia, op. cit., p. 230.

(٢٦) انظر " معاهدة جدة " الفصل الأول من الباب الرابع .

(٢٧) انظر نصوص هذه المعاهدات في الوثائق المنشورة مثل :

British White Paper, Cmd. 2566, 1925.

(٢٨) Clayton Report, op. cit., (Annexe 4.).

(٢٩) انظر تحليلاً مفصلاً لهذه المعاهدة ، في :

Toynbee, Survey of International Affairs, op. cit., pp. 344-345.

Troeller, The Birth of Saudi Arabia, .op. cit., pp. 229-230.

(٣٠) انظر رسالة كلايتون الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات ، في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥ . : في :

Collins (ed.), An Arabian Diary. Sir Gilbert Clayton. op.cit., p.126.

(٣٢) Toynbee, Survey of International Affairs, op.cit., pp. 346.

Troeller, The Birth of Saudi Arabia, op. cit., pp. 227-230.

Collins, (ed.), An Arabian Diary. Sir Gilbert Clayton. op.cit., pp.124-125, note28.

(٣٣) Philby, Saudi Arabia, op. cit., p. 292.

(٣٤) Memorandum of Conversation between H.H. The Emir Feisal and the Secretary of State for Foreign Affairs, no 5796, F.O. 371/11432.

(٣٥) انظر تقرير Jordan و Antonius حول المفاوضات مع ابن سعود، الى السير شامبرلاين ، في ١٣ يناير ١٩٢٧ :
pp. 5-6, no 477, F.O. 371/12244.

(٣٦) انظر تقرير Jordan و Antonius :
pp. 6-8, F.O. 371/12244.

(٣٧) انظر تعليمات Chamberlain لكلايتون ، في ١٤ أبريل١٩٢٧ :
no 1744, F.O. 371/12245.

(٣٨) تجدر الإشارة الى أن السلطات البريطانية وافقت على سحب هذه النقطة من مشروع الاتفاقية ، في حين أنهاأضافتها شرطاً الزامياً في خاتمة اتفاقية مع الشريف الحسين بعد الحرب العالمية الأولى .

(٣٩) انظر تقرير كلايتون، الى السير شامبرلاين ، في ٦ يونيو ١٩٢٧ :
no 2583, F.O. 371/12245.

(٤٠) انظر تقرير كلايتون، الى السير شامبرلاين ، في ٦ يونيو ١٩٢٧ :
op. cit., p. 9

(٤١) انظر نص المعاهدة ، المادة ٥ من الملحق الرابع . في آخر الكتاب .
V, Annexe iv , pp. 262-264 .

(٤٢) انظر تقرير كلايتون، الى السير شامبرلاين ، في ٦ يونيو ١٩٢٧ :
op. cit., p. 6.

(٤٣) انظر برقية المكلف بالشؤون البريطانية في جدة الى F.O. :
no 4845, F.O. 371/16025.

الفصل الثاني

(١) Philby, Saudi Arabia, op. cit., p. 303.

(٢) Ibidem.

(٣) أنظر برقية القنصل البريطاني في جدة الى F.O. ، في ٦ أبريل١٩٢٦ :
no 2287, F.O. 371/11431.

(٤) Philby, Saudi Arabia, op. cit., pp. 303-305.

(٥) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op .cit., p. 295.

(٦) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., p. 295

(٧) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., p. 285.

(٨) Ibidem, p. 286.

عن موقف الإخوان من التقدم التقني انظر أيضاً : المقطم، عدد ٢٠ أكتوبر ١٩٢٩ :

Oriente Moderno, IX, no 10, pp. 481-482.

(٩) Dickson, Kuwait and her Neighbours. op. cit., p. 287.

(١٠) Ibidem, p. 287.

(١١) Report on Iraq Administration, April 1922, March 1923, op. cit.

(١٢) Dickson, Kuwait and her Neighbours. op. cit., p. 286,
J. B. GLUBB, War in the Desert, London, Hodder and Stoughton, 1960, pp. 193-194.

عن إنشاء خط جوي عبر الخليج ، وردود الفعل في المنطقة، انظر :
Muhammad Morsy Abdullah, The United Arab Emirates. A Modern History, op. cit., pp. 49-51 .

(١٣) Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., p. 288.

(١٤) Ibidem, p. 289.

(١٥) عن تفصيلات هذا الموضوع ينظر في :
Dickson, Kuwait and her Neighbours, op. cit., p. 281-332,
Philby, Saudi Arabia, op. cit., pp. 306-313,
T. B. Glubb, War in the Desert. op. cit.

(١٦) انظر رسالة ابن سعود الى القنصل البريطاني في جدة، في ٧ فبراير ١٩٢٨ :
no 1458. F. O. 371/12991.

(١٧) انظر تقارير كلايتون، من١١ يوليو الى٣ سبتمبر١٩٢٨ :
no 3463, F. O. 371/13014, and, no 4337. F. O. 371/13015.
وانظر كذلك : " الكتاب الأخضر " ، الذي أعدته سلطات نجد ، وترجمه فيلبي :
"Proposed Greenbook on Clayton Negotiations," Philby's Papers, Box XVI, File I.

(١٨) انظر : برقية المفوض السامي في العراق الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ١٠ نوفمبر١٩٢٨ :
no 113, F. O. 371/13713.

(١٩) تقرير الكابتن جلوب :
Intelligence from Najd,
ملحق برسالة من المفوض السامي في العراق الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات، في ٣٠ نوفمبر١٩٢٨ :
no 114, F., O. 371/13713.

(٢٠) تقرير الكابتن جلوب :
Intelligence from Najd,op.cit.

(٢١) انظر التقرير الشهري الإداري عن منطقة جنوب العراق : شهر ديسمبر١٩٢٨ ، بغداد ، في ١٧ يناير١٩٢٩ :
no 809, F. O. 371/13714.

(٢٢) انظر رسالة ابن سعود الى جاكينز ، القنصل البريطاني في جدة ، ملحق ١ في رسالة جاكينز الى السير شامبرلاين في ٢٠ ديسمبر ١٩٢٨ :
no 140, F. O. 371/13713.
انظر أيضاً :
Minutes of Interdepartmental Conference (C.O.-F.O.-I.O.- Air Ministry), 15 April 1929, no 1990, F.O. 371/13715.2).
وكذا : رسالة المفوض السامي في بغداد الى رئيس الوزراء في ٧ مايو ١٩٢٩ :
no 3009, F. O. 371/13715.3.

وكذا: رسالة كلايتون المفوض السامي في بغداد الى ابن سعود في ٢٥ مايو ١٩٢٩:

no 3179, F.O. 371/13715.4) Draft Convention for Proposed Arbitrarion between Iraq and Najdi Governments, 12 july 1929, no 3500, F.O. 371/13715.

(٢٣) Philby, Saudi Arabia, op. cit., p. 308.

انظر أيضاً: تقرير القنصل البريطاني في جدة، الى F.O.، في ٦ مايو ١٩٢٩:

no 2288..F. O. 371/13714.

(٢٤) Dickson , Kuwait and her Neighbours, op. cit., pp. 302-303.

(٢٥) Dickson , Kuwait and her Neighbours, op. cit., pp. 302-303.

(٢٦) كان الدكتور/ مدحت شيخ الأرض، السفير السعودي السابق، طبيباً خاصاً لابن سعود منذ عام ١٩٢٦، رافقه في جميع جولاته ضد تمرد الإخوان. وقد باشر اسعاف فيصل الدويش، عندما جُرح في معركة السبلة، وقد ذكر لي أن جراحه لم تكن قاتلة، وأن ابن سعود سمح له بالعودة الى جماعته في الأرطاوية، لوعد قطعه على نفسه الاّيعود الى تمرده. في حين أن فيلبي يقول: إن جراح الدويش كانت قاتلة.

أنظر: Philby, Arabian Jubilee, op. cit., p. 93.

(٢٧) انظر رسالة ابن سعود إلى كلايتون عندما كان مفوضًا ساميًا في بغداد، المؤرخة في ٢٤ أبريل ١٩٢٩:

no 3179, F.O. 371/13715.

(٢٨) انظر نص هذه الخطبة في : أم القرى ، عدد٢٢٤، في ٦ أغسطس ١٩٢٩ .
انظر البيان الرسمي الذي عمَّمه ابن سعود بعد معركة السبلة، ملحق ١ في رسالة جاكينز القنصل البريطاني في جدة، الى السير شامبرلاين ، في ١٨ أبريل١٩٢٩ :

no 2288, F. O. 371/13715.

(٢٩) المصدر : رسالة الى المؤلف من جلوب المعروف بـ" أبو حنيك " وهو لقب اطلقه البدو على غلوب ، المراقب الإداري للسلطات البريطانية في بغداد .

(٣٠) انظر : رسالة فيصل الدويش الى سعود بن عبدالعزيز :

no 3457, F. O. 371/13736.

(٣١) عن الوضع الصعب لابن سعود عام ١٩٢٩ : انظر :
تقرير القنصل البريطاني في جدة ، الى .F.O ، في ٢٢ سبتمبر ١٩٢٩ :

no 5410, F. O. 371/13738.

(٣٢) ننوه هنا أن ابن سعود أعطي عام ١٩٢٢ في العقير حقوقه على هاتين القبيلتين في العراق .

(٣٣) انظر تقرير جلوب الى مستشار وزارة الداخلية في بغداد :

Intimidation or Provocation. A Note on Policy, 3 nov.1928, no 5302, F. O. 371/12996.

(٣٤) انظر رسالة ديكسون الى المقيم السياسي ، في ٢٦ سبتمبر١٩٢٩ :

no 5422, F. O. 371/13738. b.

انظر أيضاً: تقرير .C.O الى.F.O ، في ١٧ أكتوبر١٩٢٩ :

no 5422, F. O. 371/13738.

(٣٥) Ibidem, a.

(٣٦) انظر رسالة ابن سعود بهذا الصدد الي المقيم السياسي ، والمفوض السامي في العراق ، في ٣٠ سبتمبر ، و٦ أكتوبر١٩٢٩ :

no 5574, F. O. 371/13738.

(٣٧) أنظر هاتين الرسالتين مترجمتين ، ملحقتين في رسالة ديكسون الى المقيم السياسي في بوشهر، في ١٢ يوليو١٩٢٩ :
no 4330, F. O. 371/13737.

(٣٨) انظر برقية المقيم السياسي في بوشهر الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات: رقم ٢٢ في ٢٠يوليو ١٩٢٩ :
no 3678, F. O. 371/13737.

(٣٩) انظر برقية المقيم السياسي في بوشهر الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات: في ١٢ يوليو١٩٢٩ :
no 4330, F. O. 371/13737.

(٤٠) انظر: ١ ، برقية القنصل البريطاني رقم ١١٤ في جدة الى .F.O ، في ٣٠ يوليو ١٩٢٩ :
no 3842, F. O. 371/13737.

٢ ، خطاب ابن سعود ، منشور في: أم القري عدد٦ أغسطس١٩٢٩ .

(٤١) Muhammad Asad, Le Chemin de La Mecque, Paris, Fayard, 1976, pp. 210-226.

(٤٢) انظر رسالة الى المقيم السياسي في جدة، الى فؤاد حمزة ، في ٢١ يونيو ١٩٢٩ :
no 3698, F. O. 371/13737.

(٤٣) انظر رسالة ديكسون الى المقيم السياسي في جدة، في ٢٨ يونيو١٩٢٩ :
no 3850, F. O. 371/13737.

(٤٤) انظر رسالة ديكسون الى المقيم السياسي في جدة، في ٦ يوليو١٩٢٩ :
no 4058, F. O. 371/13737.

(٤٥) انظر رسالة القنصل البريطاني في جدة الى وزير الخارجية ، في ٢٧ يوليو ١٩٢٩ :
no 4138, F. O. 371/13737.

(٤٦) انظر رسالة من .C.O الى ديكسون ، في ٣١ أغسطس ١٩٢٩ :
no 4256, F. O. 371/13737.

(٤٧) انظر رسالة من ديكسون الى المقيم السياسي، في ١٨ يوليو ١٩٢٩ :
no 4651, F. O. 371/13737.

(٤٨) انظر تبادل البرقيات بين المقيم السياسي في بوشهر والمفوض السامي في بغداد، أغسطس ـ سبتمبر ١٩٢٩ :

no 4953, F. O. 371/13737.

(٤٩) انظر مذكرة ابن سعود التي بعثها الى المقيم السياسي في بوشهر ، والمفوض السامي في بغداد، ١٤ سبتمبر ١٩٢٩ :

no 5002, F. O. 371/13737.

(٥٠) انظر رسالة القنصل البريطاني في جدة الى .F.O ، في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٩ :
no 6169, F. O. 371/13738.

(٥١) انظر رسالة .F.O الى القنصل البريطاني في جدة ، في ٣٠ نوفمبر ١٩٢٩ :
no 6205, F. O. 371/13738.

(٥٢) انظر رسالة ابن سعود الى المقيم السياسي في بوشهر، في ١٨ ديسمبر ١٩٢٩ :

no 311, F. O. 371/14450.

(٥٣) انظر تقرير جلوب المفصل عن العمليات على الحدود العراقية ـ النجدية، من أول ديسمبر ١٩٢٩ الى ١٥ يناير ١٩٣٠ :

no 2578, F. O. 371/14451.

وأيضاً :

Dickson, Kuwait and her Neighbours, op .cit., pp. 318-326.

(٥٤) انظر تقرير القنصل العام بيسكو الى .C.O في ٣١ يناير ١٩٣٠ :
no 1081, F. O. 371/14451.

وكذا :

Dickson, Kuwait and her Neighbours. op .cit., pp. 318-326.

(٥٥) انظر تقرير القنصل العام بيسكو الى .C.O في ٣١ يناير ١٩٣٠ :
op. cit.

(٥٦) انظر تقرير المفوض السامي في العراق الى .C.O في ١٥ مارس ١٩٣٠ :
no 2171, F. O. 371/14463.

(٥٧) انظر تقرير المفوض السامي في العراق الى .C.O في ١٥ مارس ١٩٣٠ :
op. cit.

خاتمة الكتاب



هكذا ، استعرضنا أعمال عبدالعزيز في إطار متميز عن المحيط الهاشمي ، بعيداً عن ظلال لورنس ، والثورة العربية التي نسب اليها عدد من المؤرخين وخلال زمن طويل ، دوراً مهماً . إن هذه الدراسة ركزت على عنصر التلاحم الذي لازم استراتيجية ابن سعود منذ سيطرته على الرياض عام١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، و يمكن تلخيصها بهذه العبارة : إعادة تكوين سلطةآبائه في حدود الأقاليم التي بلغها في أوج قوته ، من أجل عظمة الإسلام ، ومجد آل سعود .

إن هذا التلاحم الاستراتيجي ، كما رأيناه ، حقّق أهدافًا استراتيجية أساسية ، خلال سنوات « تأسيس المملكة العربية السعودية » ، عبر سلسلة من القرارات التكتيكية ، التي قامت في نتائجها على « تحقيق المكاسب بأقل التكاليف » ، وإذا كان ابن سعود قد عرف كيف يستفيد من الأوضاع ، فإنه عرف أيضا اغتنام الفرصة المناسبة أو إيجاد ظروفها . لقداستعان ابن سعود في تجربته بعنصر « البادية » التي تمثِّل ظاهرة بشرية ، وعقلية ميّزت العرب الصحراويين بخصائص ذهنية ، تمنحهم سرعة البديهة على رصد الحدث ، وتقويمه، والقدرة على التوقّع ، والتآلف مع الغريب ، بكل ثقة ، نادراً ما تخيب .

منذ عام١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، وللأسباب التي حاولنا تفسيرها ، اختارابن سعود البحث عن تحالف مع بريطانيا . و عزا عدد من المؤلفين ذلك الى تأثير مبارك أمير الكويت .حتى فيلبي الذي كان لعبدالعزيز ، مثل كومين أو جوانفيل(م٤) مؤرخاً ملازماً له ، كان رأيه الخاص بذلك هو أن شيخ الكويت كان المرشد لنجل عبدالرحمن . وأشرنا إلى أن اختيار التحالف مع بريطانيا كان معقولاً ومبنياً على

(م٤) كومين Commynes ، و جوانفيل Joinville ، مؤرخان فرنسيان ، فجوانفيل لازم الملك لويس التاسع وكتب سيرته ، ومات سنة ١٣١٧م ، والثاني لازم لويس الحادي عشر ، ولويس الثاني عشر وكتب مذكراته ، ومات سنة ١٥١١م . [المترجمان].

مبدأ « الحصول على أعلى قدر و قيمة» بالنسبه للأهداف الإستراتيجية لأمير الرياض الشاب . وربما كانت فترة لجوئه في الكويت ، و تجربته الصحراوية القاسية، فرصة له ، لترتيب أفكاره ، واستعراض أوضاعه ، واستقراء الأسباب التي مزقت أسرته ، وأدرك بأن مرد ذلك الى عزلة بلاده. هذه «العزلة المستنيرة» لآل سعود ، منحتهم شعوراً بالاعتزاز بعقيدتهم السلفية التي هيأت لهم مكانة بين المسلمين. وهذه القناعة العقدية ، ممزوجة بالعزلة الجغرافية الطبيعية لنجد ، ذات الواحات الخضراء ، وسط صحارى ذهبية ، في قلب الجزيرة ، صُهرت جميعاً في بوتقة « طموحات آل سعود » . وعلى أي حال، فإن العزلة الجغرافية والفكرية، وإن كانت تقف وراء هذه الطموحات ، إلا أنها كانت السبب في اضمحلالهم في القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، جراء الخوف من الانفتاح ، و التقوقع المحلي.

وخلال أكثر من قرن ، كانت طموحات آل سعود ، تعانق أحلامهم ، وترسم واقعهم ، بصورة تستلهم جمالها ، من تراثها ، وقسماتها من أرومتها ، ببراعة تليدة. إلا أن عبقرية ابن سعود اتخذت « ميراث أجداده » وسيلة ، ينطلق منها وفيها نحو الأسلوب التكتيكي الأكثر جدوى وواقعية .

ولتجنّب هذه العزلة ، قرَّرابن سعود في وقت مبكر البحث عن دعم بريطانيا، رغم أنها « قوة أجنبية» بكل ما يحمله هذا المفهوم من معنى ، بالنسبه للجزيرة ، لكنها قوة حربية وسياسيّة نشطة على شواطىء الخليج العربي . لقد أبدى شكسبير رغبته في أن ينضوي ابن سعود تحت السيادة الإقطاعية البريطانية . وكان ذلك من مصلحة ابن سعود ، طالما أنه لم يكن يملك الوسائل الضرورية لأخذ زمام المبادرة بيده ، فيترك للآخرين مهمة تحّمل بعض المشاق ، وسيكسب في المقابل

الأمن الخارجي والمصادر التي تعينه على مهماته داخل الجزيرة العربية . وكان التحالف البريطاني وسيلة ، لإعادة تشكيل « الولاء » الذي يميّز سياسة الصحراء ، من خلال مفاوضات مستمرة ، تفضي الى وضع علاقات القوى الخارجية .

إن إستمرارية أيّة سُلطــة قائمة في الصحراء لا تعتمد بالضرورة على قوة صاحبها . بل إن « الولاء » أو «رابطة الدم » لا يشكلان أهمية ، مالم يجتازا جميع الحواجز القبلية . وربما كان عدم الاستقرار الذاتي ضماناً للاستمرارية ، شريطة أن لا تتدخل عناصرخارجية ، تثير توتراً مستمراً ، من خلاله ينفذ كل طرف الى مصالحه على حساب مصالح الطرف الآخر . فالتحالفات ، والولاءات ، والمصالحات ، و الاتفاقيات ، لم تكن مقبولة إلا في ظل ظروف مؤقتة ودقيقة . وقد سمّاها ابن سعود « السلام الصغير » ، بمعنى أنها لحظات مختصرة من الراحة في ظل توتر مستمر ، عكست في وقت من الأوقات ، روابط القوى بفضل ما كسبه أحدهم على الآخر . وبجانب كل هذا ، فإن لآل سعود شرف آبائهم ، وحقوقهم الموروثة .

وخطط ابن سعود بالطريقة نفسها ، مسار العلاقات المتميزة التي بحث عنها وحصل عليها مع بريطانيا . لتشّكل إطار حركته بغية الحصول على مكاسب على المدى البعيد . وكان ابن سعود ، منذ البداية ، يمارس سياسة التوتر وإعادة التوازن المستمرة بين الوصاية العثمانية التي رفضها استراتيجياً ولكنهُ يتعامل معها عند الحاجة، وبين وصاية بريطانيّة يتطلبها دعم إستراتيجيته ، و كانت هي الوسيلة الوحيدة التي منحته ـ بعض الوقت ـ مكاسب تكتيكية مُجزية . لقد أتاح هذا «الأسلوب التكتيكي » لابن سعود ، منذ عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م حتى الحرب العالمية الأولى ، توزيع بؤر التوتر الذي صنعهُ وحافظ عليه باتجاه الخطوط الأقل

مقاومةً، جولة بعد جولة داخل نفوذ العثمانيين والبريطانيين . وبحسب درجة التوتر، يحقق ابن سعود كثيراً من مطالبه بالتحالف البريطاني أو من امتثاله الظاهر للوصاية العثمانية.

وبانفجار الصراع العثماني ـ البريطاني ، وبسبب اتفاقية مع بريطانيا ، التي وقعتها عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، راهن ابن سعود على هزيمة العثمانيين . ولكن ميدان نشاطه التكتيكي تقلّص كثيراً ، بفعل الظروف العسكرية الاستراتجية ، والصراع الذي فُرض على بريطانيا ، كل ذلك حدَّ من حجم مناورته . وكان لزاماً عليه ـ وقد توقف عن المد خارج منطقته ـ أن يسخر هذا التآلف لتحقيق أعلى المكاسب المادية بأقل التكاليف العسكرية ، لتقوية وضعه وبخاصة بعد الحرب ، التي أتاحت له ـ حسب رأيه ـ المجال لمبادراته التكتيكية . كما أن الصراع غيَّر من الأوضاع بشكل مغاير لسياسة الصحراء . فقد وجدت سلطة الشريف حسين نفسها في وضع قوي ، لا يتناسب مع وزنها السياسي الذي تمثله حقيقةً . وأفاد من هذه المرحلة أيضاً آل الرشيد .

خيَّمت ظلال القوى البريطانية والعثمانية على الجزيرة العربية ، وأدى صراعهما، الى تقييد حركة ابن سعود ، ولو قرر التحرك لكانت نتائجه وخيمة ، سواءاً على مسرح المنطقة ، أو على مصالح تتجاوز الحدود الإقليمية لطموحاته ، التي تقلق النظام العام المصطنع من قبل خصومه . واستباقاً لما سيكون بعد الحرب ، وتوقعاً لتحررالجزيرة العربية من تلك الأوضاع التي فُرضت عليها نتيجة الصراع العثماني ـ البريطاني، أسس ابن سعود حركة الإخوان التي أثمرت جيشاً حماسياً ، وفياً له ، أزال به حواجز قبلية ، تجاه تنافس القوى المحلية ، مما جعل التوازن الداخلي لحكم ابن سعود في خطر . لقد أراد ابن سعود من هذا « الجيش » أن يكون أداة لبناء قوة سلفية، تعمل على توحيد الأقاليم، وتقاوم كل ما هو أجنبي.

عمل ابن سعود على بناء قوة وطنية لا عن طريق الوحدة السياسية ، بل من خلال الحماس الديني ، وجهَّزها بالوسائل المادية والمالية التي أمدتهُ بها بريطانيا . وقد شبه ابن سعود قبول المساعدات البريطانية ، بأخذ الجزية التي فرضها الإسلام على أهل الذمة ، وذلك لتهدئة نفوس الإخوان . وفي الوقت الذي استمد الشريف حسين مصادره المالية من بريطانيا قبيل وإبَّان الثورة العربية ، قام ابن سعود بتنويع مصادره منذ عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م حتى عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م ، انتظاراً لنهاية الحرب العالمية الأولى التي حررت القوى المؤثرة على سياسة الصحراء ، التي على ضوئها استطاع أن يؤسس حركته .

منذ نهاية الحرب ، شرع ابن سعود في ممارسة سياسة أرهقت بريطانيا ، من خلال الإخوان ، الذين انطلقوا ينشرون مبادئهم الدينية ، في اتجاه الحجاز ، و إمارات الخليج العربي ، و الكويت ، ثم بلغ تأثيرهم الدولتين الهاشميتين اللتين أقامتهما بريطانيا في العراق و شرق الأردن ، وذلك ليختبر ابن سعود رد فعل بريطانيا التي طالما وقفت دون طموحاته . لقد أدرك ابن سعود أبعاد الاستراتيجية البريطانية التي تقوم على توازن القوى في المنطقة ، بعد تدهور سلطة آل رشيد ، فاستبق الأحداث ، وضم جبل شمّر .

لقد كان لوقف بريطانيا مساعداتها عن ابن سعود ، وكذا حرصه على التحالف معها أثرفي تجنبه الاصطدام بوجه المصالح البريطانية في العراق ، و شرق الأردن ، والحجاز ، وأرخى ابن سعود الزمام للإخوان ، فشنوا غارات خاطفة على الحدود هنا ، وهناك ، تاركاً انطباعاً عاماً بأنه لا يملك كبح جماحهم . وهذا الإجراء ، خدم مصالح ابن سعود ، من جهة ، ومن جهة أخرى ضمن له تراجعاً دبلوماسياً باعتبار عمليات الإخوان خارج نطاق أوامره . كما أنه نجح في تأخير

استحقاقات اتفاقية ترسيم الحدود ، التي أراد البريطانيون فرضها عليه . وأمام الأسباب التي ناقشناها، وتوقف المساعدات البريطانية ، تحرك ابن سعود نحو الحجاز عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ، بدافع إسلامي ، لا شخصي . فصبغ صراعه بصبغة دينية ، جعلت بريطانيا وهي قوة نصرانية تتحاشى التدخل في الأماكن المقدسة من أجل الدفاع عن الشريف حسين .

بضم الحجاز، تغيّرت الخريطة الجغرافية و السياسية لابن سعود ، ومنحه وضعه الجديد ، مكانة دولية : دينية وسياسية . فعلى الصعيد الديني ، تمكن من حماية الاماكن المقدسة ، ورعايتها ، وضمان أمن الحجاج والمعتمرين والزوار. وعلى الصعيد السياسي ،رأى أن تحالفه مع بريطانيا يجب أن يتطور الى علاقات بين الطرفين أكثر توازناً ، و انسجاماً، بالنظر الى أن القوى البريطانية تتواجد في شواطئه وأراضيه ، وبموجب المكانة الدولية الجديدة التي بلغها. عندئذ ، أفهم ابن سعود الإخوان بضرورة وقف عملياتهم الجهادية ، لاظهار التسامح أمام الرأي العالمي الإسلامي ، وتقليل التوتر على حدود الانتداب البريطاني في شرق الأردن، والعراق . وتزامن ذلك مع توقيعه اتفاقيتي بحرة وحدة ، اللتين عالجتا قضايا حدودية ، في إطار إعادة التفاوض على محاور تحالفه مع بريطانيا .

إن مُلكاً يمتد من البحر الأحمر غرباً ، إلى الخليج العربي شرقاً ، ومن جبال اليمن جنوباً ، الى وادي السرحان شمالاً ، يحتاج الى وسائل فنية حديثة ، قرَّر ابن سعود جلبها ، لتوفير الأساسات المادية الضرورية لحكومته . مما أثار حفيظة الإخوان الذين عارضوا استعمال هذه الوسائل الحديثة لا عتقادهم بأنها تخالف الشريعة . وكان لابد أن يضع ابن سعود نهاية لتمرد الإخوان خلال أربع سنين وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م ، خضع لابن سعود الحجاز ، ونجد وملحقاتها

بالكامل . وأعلن ابن سعود الواثق من نفسه ، عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م توحيد أقاليمه باسم « المملكة العربية السعودية »

وكما قلنا سابقاً ، فإن تأسيس المملكة العربية السعودية وما قام به ابن سعود من أعمال ، كان لمعظم المؤرخين ، والمحللين وكُتّاب السِّيَرَ الذين درسوا أحوال الشرق الأوسط في تلك الفترة ، بمثابة حدث يوازي الثورة العربية . لأنهم كانوا تحت تأثير النظرة البريطانية من جهة ، ولكونهم ـ من جهه أخرى ـ متشبعين برؤى لورنس، الذي أصبحت انطباعاته لمدة نصف قرن ، المرجع الرئيس لكل نظرية ثقافيه غربية تستهدف الجزيرة العربية . ولا يقلل ذلك من أهمية «المغامرة اللورنسية» ولا من قيمتها الوصفية لعرب الصحراء ، لقد طغى على كتابات اورنس الجو الشاعري ، وهذا مقبول في « عالم البادية » . ولكن خطأه الشنيع حماسه للهاشميين .

أما الضابط الألماني كارس راسون « رضوان » فقد قال عن لورنس :

« قابلت كثيراً من أصحاب لورانس القدامى وكذلك بعضاً من أعدائه . فالذين أحبَّوه أو هابوه ، كانوا كلهم متفقين على القول بأنه كان الصديق الأكثر وفاءًا ، وكان قريباً من العرب وقضاياهم ، والأكثرية منهم يأسفون ، لأنه لم يكن له حظ الوقوف إلى جانب ابن سعود»(١) .

ولا يمكن تفسير تغاضي لورنس عن موضوع ابن سعود ، ففي خريف عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م ، وفي خضم أزمة الخرمة وتربة ، فكرت السلطات البريطانية ، فيما يبدو ، في تنظيم حملة عسكرية ضد ابن سعود للدفاع عن الشريف حسين . ولتحقيق هذا الهدف ، عملت تلك السلطات على إشراك الضابط الامريكي ويليام

يال ، الموجود في مؤتمر في باريس ، ، مع لورنس الذي أُوكلَت اليه هذه العملية ، وكان بلا شك المحرّض عليها[٢] . وفي أسفل حافظةَ أوراق ملف «وزارة الخارجية » وُجدت ملاحظة مكتوبة بخط بارز ، مؤرخة في ١٨ أبريل عام ١٩١٩م ، تؤكد على وجود مشروع مثل هذا .

وكتب لورانس في ذلك :

« لا أعتقد أنه يوجد في هذا فعلاً قضية الخرمة ، بالنسبة لما يتعلق بابن سعود . ونستطيع أن نتصرف في ما لو هجر ابن سعود العقيدة السلفية ، أما إذا بقى ثمة وهابّي ، فسنبعث جحافل إسلامية من الجيش الهندي لاستعادة مكة وسحق الحركة الوهابية . ومهمة كهذه ، سبق أن نفذت في بداية القرن التاسع عشر ، حينما كان الوضع مشابهاً لوضع اليوم ، تلك الحملة التي قادها إبراهيم باشا من مصر ، وكلفته ثلاث سنوات وثمانين الف رجل . أما جيش الهند فهو أفضل مما كان عليه إبراهيم ويستطيع أن ينفذ المهمة نفسها بأسرع وقت ، وكلفة أقل . لقد اقترحت أن أقوم بذلك بنفسي خلال أعياد الميلاد عام ١٩١٨م ، ومعي عشرات الدبابات المصفحة»[٣] .

إن التقليل من قوة الإخوان التي كان لها وزن عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م ، أمر مستغرب من رجل يعتبر آنذاك أفضل الخبراء البريطانيين في الشؤون العربية ، بل إن مايدعو الى الاستهجان ، هو عدم اكتراث لورنس بشأن ابن سعود ، وانحيازه الكامل للهاشميين ، وعلى الرغم من ذلك ، فيظل لورنس العقلية الغربية الأكثر صفاءاً ، والأسرع بديهة ، لم ينحن قط للبدو الرحّل في الجزيرة العربية .

إذن ، حاولت في دراستي هذه ، أن أعطي أعمال ابن سعود مكانة ، ضمن ظاهرة البعث السياسي العربي وفي الإطار الجغرافي المهمل والغامض للجزيرة

العربية. إن أهمية أعمال ابن سعود تعود الى سببين : فهي تختلف عن أسلوب الثورة العربية التي منيت بهزيمة ، ولم تحظ بنجاحات عسكرية إلا لوقت قصير ، رغماً عن لورنس ، الذي أخفق على الصعيد السياسي ، ومن جهة أخرى رسم ابن سعود نقطة الانطلاق ، نحو مايمكن أن نطلق عليها في العالم العربي « صعود الدول البدوية». وفي الواقع ، فإن الحكم الهاشمي ، بالاشتراك مع البريطانيين ، قد صادرمن عرب الصحراء الثمار المتوقعة لثورة كان تمزّقها الوراثي قد حال دون نضوجها.

لقد أدَّت الحرب العالمية الأولى ، الى انتصار العرب المستوطنين في الحضر ، المتأثرين بالغرب ، الموالين لبريطانيا وفرنسا ، بينما نشأت في قلب الجزيرة العربية سلطة بدوية كانت بأصالتها ، تسمو فوق كل تأثير ، رغم ضآلة إمكاناتها الاقتصادية. إن إكتشاف المصادر النفطية في وقت لاحق في الجزيرة العربية أدّى إلى منح السلطة الصحرواية عناصر اقتصادية ، كانت بحاجة اليها عام١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م ، مما جعلها بالتأكيد تثبت وجودها .

وأخيراً ، يجب أن نأخذ في الاعتبار أن أبناء ابن سعود الذين يحكمون المملكة العربية السعودية اليوم ، يستلهمون المباديء السياسية للاستراتيجية التي صنعها لهم والدهم . وهذه الاستمرارية لفكر آل سعود ونجاحهم أسهمت في ميلاد ملحمة واسطورة عبد العزيزحيث أفعمت تلك النماذج المثالية روح القادة والمسؤولين السعوديين . والأروع أن تظل هذه الملحمة الشعرية ، ماثلة في مخيلة المجتمع ، الذي يتغنى بها ، صوراً خالدة ، لا تمحوها النهضة المادية المذهلة .

خاتمة الكتاب

(١) RASWAN Carl R., Black Tents of Arabia. New York, Creative Age, 1947, p. VIII.

(٢) Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, IX(The Paris Peace Conference, 1919), p.123.

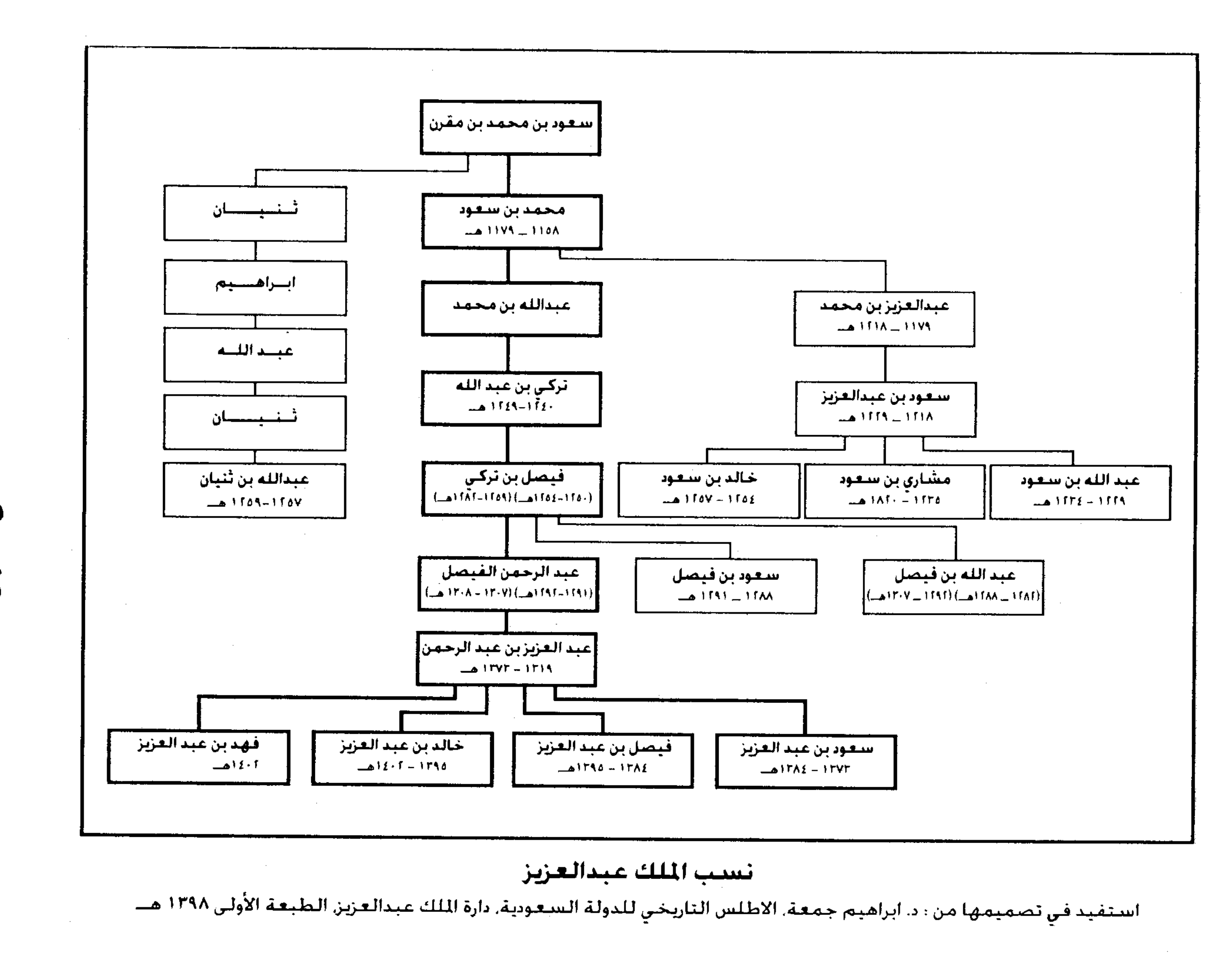
(٣) انظر الكتابة المخطوطة على غلاف ملف رقم٦٧١٥ ، في ١٥ أبريل١٩١٩ :
F. O. 608/80.

في هذا الملف خلاصة السياسة البريطانية تجاه ابن سعود أثناء قضية الخرمة .

الملاحق



الملحق الأول



نسب الملك عبدالعزيز

استفيد في تصميمها من : د. ابراهيم جمعة. الاطلس التاريخي للدولة السعودية. دارة الملك عبدالعزيز. الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ

الملحق الثاني
مقارنة بين نصي مشروع معاهدة ٢٦ يونيو ١٩١٥ المقدمين من ابن سعود والسلطان البريطانية

المسودة البريطانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحكومة البريطانية السامية من جانبها وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، حاكم نجد والأحساء والقطيف باسمه وباسم ورثته وخلفائه ورجال القبائل ، ولكونهم راغبين في تمكين وتقوية العلاقات الحميمة التي ظلت باقية لعدة أجيال ، بين الطرفين ، ولسعيهم لتقوية المصالح الخاصة فإن الحكومة البريطانية تسمي وتعين المقدم السير بيرسي كوكس ، المقيم البريطاني في الخليج الفارسي ، مبعوثًا سياسيًا مطلق الصلاحية لعقد معاهدة بهذا الغرض مع عبد العزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود .

مسودة ابن سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحكومة البريطانية السامية من جانبها ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود ، حاكم نجد والأحساء والقطيف ، والجبيل والمدن والمواني التابعة لها باسمه وباسم ورثته وخلفائه ورجال القبائل ، ولكونهم راغبين في تمكين وتقوية العلاقات الحميمة التي ظلت باقية لزمن طويل ، بين الطرفين ، ولسعيهم لتقويم المصالح الخاصة . فإن الحكومة البريطانية تسمي وتعين العميد السير بيرسي كوكس ، المقيم البريطاني في الخليج الفارسي ، مبعوثًا سياسيًا مطلق الصلاحية لعقد معاهدة بهذا الغرض مع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود .

المقدم المذكور السير بيرسي كوكس وعبدالعزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ويشار إليه فيما بعد بـ «ابن سعود» قد اتفقا وعقدا البنود التالية :

١

تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجداً والأحساء والقطيف ومناطقها وموانئها على شواطئ الخليج الفارسي هي منطقة ابن سعود وآبائه من قبله وهي هنا تعترف بابن سعود المذكور حاكمًا مستقلاً عليها، وبعده أبناؤه وأحفاده بالوراثة ، ولكن اختيار الفرد سيكون خاضعًا لموافقة الحكومة البريطانية بعد مشاورات سرية معهم.

٢

في حال حدوث أي عدوان من أي قوى خارجية على حدود ابن سعود المذكور، وأحفاده فإن الحكومة

المقدم المذكور السير بيرسي كوكس وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ويشار إليه فيما بعد بـ « ابن سعود» ، قد اتفقا وعقدا البنود التالية :

١

تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجداً والأحساء والقطيف والجبيل وملحقاتها ومناطقها التي ستناقش وتحدَّد فيما بعد: ومناطقها وموانيها على الخليج الفارسي هي منطقة ابن سعود وآبائه من قبله وهي هنا تعترف بابن سعود المذكور حاكما مستقلاً عليها، وزعيمًا مطلقا على قبائلها، وبعده أبناؤه وأحفاده بالوراثة، ولكن اختيار الفرد سيكون طبقًا لترشيح الحاكم الموجود لخليفته أو بواسطة تصويت السكان الذين يقطنون تلك المناطق.

٢

في حال عدوان أي قوى خارجية على حدود المناطق التابعة لابن سعود المذكور، ولخلفائه

البريطانية ستقوم بمساعدة ابن سعود إلى الحد والشكل الذي ترى أن الموقف يتطلبه .

٣

يوافق ابن سعود بموجب هذه الاتفاقية ويعد بعدم الدخول في أي مراسلات أو اتفاقية أو معاهدة مع أي دولة أو قوى أجنبية وأن يقوم بتقديم مذكرة عاجلة إلى السلطات السياسية في الحكومة البريطانية عن محاولة التدخل من جانب أي قوى أخرى في المناطق المذكورة .

٤

يتعهد ابن سعود بموجب هذه الاتفاقية بأنه إلى الأبد لايسلِّم أو يبيع أو يرهن الأراضي المذكورة أعلاه أو يتنازل عن أي جزء منها بأي صورة أخرى ، أو يمنح امتياز داخل هذه الأراضي لأي قوى أجنبية أو لأحد رعايا هذه القوى الأجنبية ، دون موافقة الحكومة البريطانية ، وأن يتبع مشورتها .

فإن الحكومة البريطانية ستساعد ابن سعود في كل الأحوال وفي أي مكان .

٣

يوافق ابن سعود بموجب هذه الاتفاقية ويعد بعدم الدخول في أي مراسلات أو اتفاقية أو معاهدة مع أي دولة أو قوى أجنبية وأن يقوم بتقديم مذكرة عاجلة إلى السلطات السياسية في الحكومة البريطانية عن محاولة التدخل من جانب أي قوى أخرى في المناطق المذكورة .

٤

يتعهد ابن سعود بموجب هذه الاتفاقية بأنه إلى الأبد لايسلِّم أو يبيع أو يرهن الأراضي المذكورة أعلاه أو يتنازل عن أي جزء منها بأي صورة أخرى ، أو يمنح امتياز داخل هذه الأراضي لأي قوى أجنبية أو لأحد رعايا هذه القوى الأجنبية ، دون موافقة الحكومة البريطانية ، وأن يتبع مشورتها دون تحفظ عندما تقتضي مصالحه ذلك .

٥

يتعهد ابن سعود بموجب هذه الاتفاقية بفتح الطرق التي تؤدي خلال الأراضي أعلاه إلى الأماكن المقدسة وأن يحمي الحجاج في طريقهم إلى المقدسات المذكورة وعند العودة منها .

٦

يتعهد ابن سعود، كما تعهد آباؤه من قبله، بعدم القيام بأي عدوان أو تدخل في أقطار الكويت، والبحرين، وقطر والساحل العماني أو القبائل الأخرى والزعماء ، الذين هم تحت حماية الحكومة البريطانية ، والذين سيبت في حدود مناطقهم لاحقًا .

٧

اتفق كل من الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد اتفاقية تفصيلية أخرى، متى ما تيسر ترتيبها للطرفين للبت في أمور أخرى تخصهما .

٥

يتعهد ابن سعود بموجب هذه الوثيقة بفتح الطرق التي تؤدي خلال أراضيه إلى الأماكن المقدسة وأن يحمي الحجاج في طريق عودتهم من الأماكن المقدسة .

٦

يتعهد ابن سعود، كما تعهد آباؤه من قبله، بعدم القيام بأي عدوان أو تدخل في أقطار الكويت، والبحرين، ومشائخ قطر وساحل عمان ، الذين هم تحت حماية الحكومة المجيدة ولهم علاقات تعاهد، والذين ستحدد حدود أقطارهم لاحقًا .

٧

اتفق كل من الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد اتفاقية تفصيلية أخرى فيما يختص بالأمور التي تخص الطرفين .

(امضاء)

عبد العزيز بن عبدالرحمن بن فيصل
ابن سعود

(ختم)

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل
ابن سعود

الملحق الثالث

النص النهائي للاتفاقية بين ابن سعود وبريطانيا ، الموقعة في ١٦ نوفمبر ١٩١٨م

انظر :

Memorandum 0n British Commitment to Bin Saud .
(16. novembre,1918,No 11820.F.O.371/12244)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحكومة البريطانية السامية من جانبها ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، حاكم نجد والأحساء والقطيف ، والجبيل والمدن والموانئ التابعة لها باسمه وباسم ورثته وخلفائه ورجال القبائل ، ولكونهم راغبين في تمكين وتقويم العلاقات الحميمة التي ظلت باقية زمناً طويلاً بين الطرفين ، ولتطلعهم لتقويم مصالحهم الخاصة . فإن الحكومة البريطانية تسمي وتعين المقدم السير بيرسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج الفارسي ، مبعوثًا سياسيًا مطلق الصلاحية لعقد معاهدة بهذا الغرض مع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود .

المقدم المذكور السير بيرسي كوكس وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (ويشار إليه فيما بعد بـ ابن سعود) قد اتفقا وعقدا البنود التالية :

١

تقر الحكومة البريطانية وتعترف بأن نجدًا والأحساء والقطيف والجبيل والمناطق التابعة لها وأقاليمها والتي ستناقش وتحدَّد لاحقًا وموانيها على سواحل

الخليج الفارسي هي أراضي ابن سعود وأراضي آبائه من قبله . وهي هنا تعترف بابن سعود حاكما مستقلاً عليها وزعيمًا مطلقًا على قبائلها وبعده أبناؤه وخلفاؤه بالوراثة، ولكن اختيار الفرد يتم بواسطة ترشيح الحاكم الموجود لخليفته ، شريطة ألاَّ يكون شخصًا معاديًا للحكومة البريطانية بأي شكل مثلاً فيما يختص بهذه البنود المبينة في هذه الاتفاقية في حال حدوث أي عدوان من أي قوى خارجية على حدود أراضي ابن سعود المذكور، وخلفائه دون الرجوع إلى الحكومة البريطانية ، ودون إعطائها الفرصة للاتصال بابن سعود واحتواء الموضوع ، فان الحكومة البريطانية ستقوم بمساعدة ابن سعود بما تراه أكثر فعالية بعد مشاورة ابن سعود لحماية مصالحه وأراضيه .

٣

يوافق ابن سعود بموجب هذه الاتفاقية ويعد بعدم الدخول في أي مراسلات أو اتفاقية أو معاهدة مع أي دولة أو قوى أجنبية وأن يقوم بالإضافة لذلك بتقديم مذكرة عاجلة إلى السلطات السياسية في الحكومة البريطانية عن محاولة أي طرف من أي قوى أخرى التدخل في المناطق المذكورة .

٤

يتعهد ابن سعود بأنه لايسلِّم أو يبيع أو يرهن أو يؤجر مطلقًا الأقطار المذكورة أعلاه أو أي جزء منها أو يتنازل بأي شكل آخر ، أو يمنح امتياز داخل هذه الأراضي لأي قوى أجنبية أو لأحد رعايا هذه القوى الأجنبية ، دون موافقة الحكومة البريطانية . وسيتبع مشورتها دون تحفظ بشرط ألا تضر بمصالحه الخاصة .

٥

يتعهد ابن سعود بموجب هذه الاتفاقية بفتح الطرق التي تؤدي داخل أراضيه إلى الأماكن المقدسة وأن يحمي الحجاج في طريقهم إلى الأماكن المقدسة وعند عودتهم منها .

٦

يتعهد ابن سعود ، كما فعل والده من قبله ، بعدم القيام بأي عدوان أو تدخل في حدود الكويت والبحرين ،وأراضي مشائخ قطر و عمان وسواحلها ، وكل المشايخ الذين هم تحت حماية الحكومة البريطانية ، ولهم علاقات معاهدة مع الحكومة المذكورة والذين ستبيَّن حدود أقطارهم لاحقا .

٧

اتفق كل من الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد اتفاقية أخرى فيما يختص بالأمور التي تخص الطرفين .

في ١٨ صفر ١٣٣٤هـ. المصادف٢٦ديسمبر ١٩١٥م.

المقدم بي . ز. كوكس.

المقيم البريطاني في الخليج الفارسي.

(امضاء) شيلمسفورد،

نائب الملك والحاكم العام للهند.

تم التصديق على هذه الاتفاقية بواسطة نائب الملك والحاكم العام للهند في مجلسه بسملا في اليوم الثامن من يوليو ١٩١٦م.

(إمضاء) أ. هـ جرانت،

السكرتير لدى الحكومة الهندية

القسم الأجنبي والسياسي

الملحق الرابع
نص معاهدة جدة ، الموقعة في ٢٠ مايو ١٩٢٧م
بين ابن سعود وبريطانيا العظمى

بريطانيا العظمى، الأوراق البرلمانية، ١٩٣٧ ، مسلسل الاتفاقية
(Great Britain, Parliementary Papers,1927,
Treaty Series No.25,Cmd.2951)

المادة ١

يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام والمطلق للأراضي الخاضعة لسيادة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما .

المادة ٢

سيسود السلام والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما . و يتعهد كل من الطرفين الساميين المتعاقدين على إقامة علاقات حميمة مع الطرف الآخر وأن يسعى بكل الوسائل المتاحة لديه بمنع استخدام أراضيه قاعدة للنشاطات المعادية الموجهة ضد السلام والأمن في أراضي الطرف الآخر .

المادة ٣

يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما بتسهيل أداء الحج للرعايا البريطانيين والأشخاص الذين تحميهم بريطانيا من المسلمين ، ومعاملتهم معاملة الحجاج الآخرين، ويعلن بأنهم سيأمنون على ممتلكاتهم وأنفسهم ماداموا في الحجاز .

المادة ٤

يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما بأن ممتلكات الحجاج المذكورين أعلاه الذين يُتوَفَّون داخل أراضي جلالته وليس لهم أوصياء شرعيون في تلك الأراضي ، تُسلَّم إلى الممثل البريطاني أو أي سلطة يُعَيِّنها لذلك الغرض ليتم ايصالها إلى الورثة الشرعيين للحجاج المتَوفَّين ، ولا تُسلَّم الممتلكات إلى الممثل البريطاني إلا بعد استيفاء إجراءات المحاكم المختصة وبعد دفع كامل الرسوم المقررة حسب قوانين الحجاز أو نجد .

المادة ٥

يعترف صاحب الجلالة البريطانية بحق المواطنة (الحجاز أو نجد) بكل رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما الذين قد يكونون في أي وقت داخل أراضي صاحب الجلالة البريطانية أو أراض تحت حماية صاحب الجلالة البريطانية .

وبالمقابل ، فإن صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما يعترف بحق المواطنة (البريطانية) لكل رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولكل الأشخاص الذين يتمتعون بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين قد يكونون في أي وقت داخل أراضي صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما ، ويكون مفهوما بأنه سيتم احترام مباديء القانون الدولي السارية بين الدول المستقلة .

المادة ٦

يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما بإقامة علاقات صداقة وسلام مع أراضي الكويت والبحرين ومع مشائخ قطر وسواحل عمان الذين لهم علاقات معاهدة خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

المادة ٧

يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما بأن يتعاون بكل الوسائل التي لديه مع صاحب الجلالة البريطانية على القضاء على تجارة الرقيق .

المادة ٨

يصادق على هذه المعاهدة كل الطرفين الساميين المتعاقدين ويتم تبادل التصديقات بأسرع مايمكن ، ويبدأ العمل بهذه الاتفاقية اعتباراً من يوم تبادل التصديقات وتكون ملزمة لمدة سبعة أعوام منذ ذلك التاريخ ، و في حال عدم تقديم أحد الطرفين الساميين المتعاقدين مذكرة إلى الآخر قبل ستة أشهر من انقضاء فترة السنوات السبع المذكورة بنيته بإلغاء الاتفاقية فإن هذه الاتفاقية تظل سارية ولا يمكن اعتبارها لاغية إلا بانقضاء ستة أشهر من اليوم الذي يقدم فيه على أحد الطرفين مذكرة بالإلغاء إلى الطرف الآخر .

المادة ٩

إن الاتفاقية المبرمة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما (آنذاك حاكم نجد وملحقاتها) في اليوم السادس والعشرين من ديسمبر ١٩١٥ تكون غير نافذة اعتباراً من اليوم الذي نصادق فيه الاتفاقية الحالية .

المادة ١٠

حررت الاتفاقية الحالية باللغتين الإنجليزية والعربية . النصان لهما نفس الصلاحية ، ولكن في حال الاختلاف في تفسير أي جزء من الاتفاقية فإن النص الإنجليزي هو المعَّول عليه .

المادة ١١

تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية جدة .



المصادر والمراجع



أولاً : المصادر السعودية

أ) المصادر الوثائقية :

(١) تثبيت الحدود المتنازع عليها بين مسقط وأبو ظبي من جانب والمملكة العربية السعودية من جانب آخر : مذكرات حكومة المملكة العربية السعودية ٣ مجلدات . القاهرة . دار المعارف ١٩٥٦م .

(٢) مراسلات ووثائق عامة وخاصة عن الملك عبدالعزيز آل سعود . دارة الملك عبدالعزيز في الرياض :

ملف رقم ٤ و ٦ : العلاقات مع بريطانيا .

ملف رقم ٣٦ : العلاقات مع الكويت .

ملف رقم ٥٢ : العلاقات مع بريطانيا حول مسألة إمارات الخليج العربي .

ملف رقم ٥٦ : العلاقات مع الدول المجاورة .

(٣) مراسلات عبدالعزيز آل سعود الخاصة (وثائق محدودة الاطلاع) . في : أوراق فيلبي ، كلية القديس أنطوني . مركز الشرق الأوسط . أكسفورد .

ب) روايات وتواريخ مؤرخي نجد :

(١) ابن بشر (عثمان بن عبدالله) ، كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد . بيروت . طبعة صادر . د . ت .

(٢) ابن هذلول (سعود الثنيان آل سعود) ، تاريخ ملوك آل سعود . قدم له وأشرف على طبعه ، محمد العبودي . الرياض . مكتبة النصر الحديثة . ١٩٦١م . يغطي الفترة من ١٨٨٥م الى ١٩٤٠م .

(٣) ابن ناصر (عبدالرحمن) ، عنوان السعد والمجد في المستظرف في أخبار

الحجاز ونجد (مخطوطة محفوظة في مكتبة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن ، ومكتبة أرامكو ، الظهران . يغطي المدة من ١٨٨٥م الى ١٩٣٦م .

(٤) ابن صالح (مطلق وعلي أحمد)، شذا الند في تاريخ نجد . (مخطوطة محفوظة في مكتبة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن ، ومكتبة أرامكو ، الظهران . أرَّخ مطلق للفترة من ١٨٨٠م الى ١٩١٧م . أكمله ابنه علي أحمد من ١٩١٧م الى ١٩٤٠م .

(جـ) المصادر الصحفية :

(١) مجموعة صحيفة " أم القرى " جدة . يومية كانت تصدر في مكة من قبل السلطة الحجازية منذ ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م . (ميكروفيلم في كلية القديس أنطوني . مركز الشرق الأوسط . أكسفورد) .

(٢) مجموعة مجلة " Oriente Moderno " الفصلية ، نشر " Instiuto per l'oriente " في روما ، منذ ١٩٢١م " بالايطالية " .

(٣) مجموعة صحيفة " Orient et Occident " فصلية ، صدرت في باريس . نشر Ernest leroux ، منذ يناير ١٩٢٢م ، بالفرنسية .

(٤) مجموعة الدارة ، دورية ، نشر دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض . منذ يناير ١٩٧٥م .

(جـ) مصادر شفهية :

(١) مقابلة مع معالي الدكتور/ رشاد فرعون ، المستشار الخاص لأصحاب الجلالة الملوك : عبدالعزيز بن سعود وأبنائه : سعود ، وفيصل ، وخالد .

(٢) مقابلة مع معالي السفير الدكتور مدحت شيخ الأرض ، سفير المملكة العربية السعودية .

(٣) مقابلة مع كنعان الخطيب شاعر وبرفيسور وكاتب من أصل سوري ، عاش في بلاط الملك عبدالعزيز منذ عام ١٩٣٦م بصفته صديقاً مقرباً من الأمير ثم الملك فيصل .

(٤) مقابلة مع الأستاذ محمد حسين زيدان أمين عام دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

ثانياً: المصادر البريطانية

أ) الوثائق الرسمية (الإرشيفات) :

(١) Public Record Office, London. (Kew).
Arab Bureau files, series 882
Colonial Office files, series 727(Arabia)
Foreign Office files, series 371(Turkey)
Foreign Office Confidential Print, series 424(Turkey)

(٢) Commonwealth Relations Office: India Office Rocords. London.
Political and Secret Department, Home Correspondence 1875-1911,
Political and Secret Department, Subject files,1902-1931,
Political and Secret Department, Memoranda,
Political and Secret Department, Letters from India, 1875-1911,
Political and Secret Department, Residency files:
i) Bushir, ii) Bahrein, iii)Muscat, iv)Koweit.

(٣) Foreign Office Library, London.
The Arab Bulletin: 1915-1919.

ب) الوثائق الخاصة :

St. Antony's College. Middle East Centre, Oxford.
The Papers of H.R.P. Dickson.

The Papers of H. St.J.B. Philby.
The Papers of W. Shakespear (partial collection).
The Papers of Sir Andrew Ryan.

جـ) الوثائق الرسمية المنشورة . بريطانيا العظمى .

1) Admiralty: Naval Intelligence Division, Geographical Hanbook Series, Western Arabia and the Red Sea. Oxford. 1946.
2) Foreign Office Confidential Print The Affairs of Arabia.1905-1906. Edited by R. Bidwell. London. Frank Cass.1971. 2vols .
3) Foreign Office: British Documents on the Origins of the War,1898-1914. edited by G.P. Gooch and H. Temperley. london. H.M.S.O. 1926-1938. 11 vols. in 13.
4) United Kingdom Memorial; Arbitration Concerning Buraimi and the Common Frontier Between Abu - Dhabi and Saudi Arabia. London. H.M.S.O. 1955. 2 vols.
5) Cmd 5957(1939) Correspondence between Sir Henry McMahon...and the Sherif Hussein of Mecca.
6) Iraq . Report on Iraq Administration, April 1922- March 1923. London, 1923.
7) Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq, April 1923- December 1924. London, 1925.
8) Palestine, Report of the High Commissioner on the Administration of Palestine, 1920- 1925. London. 1926.

الهند

1) Foreign and Political Department. A Collection of Treaties, Engagement and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries, compiled by C.V. Aitchinson.5 th edition. Vol. XI. Delhi. 1933. Klaus Reprint. 1973.

2) lorimer. J.B. Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. 2 vols. in 4. Calcutta. Superintendent Government printing. India. 1915. Republished in 1970 by Gregg International Publishers, Ltd., Westmead, Farnborough.

د) مصادر أخرى:

Hurewitz, J.C. Diplomacy in the Near and Middle East: A Documentary Record. Princeton, van Nostrand. 1956. 2 vols.

ثالثاً: المؤلفات العامة: السير والمذكرات

(١) ABU HAKIMA, A.M. History of Eastern Arabia. 1750-1800.Beirut, Khayats, 1965.

(٢) الخميس (ابراهيم بن عبدالرحمن)، أسود آل سعود، بيروت، دار النجاح، ١٩٧٢م.

(٣) ANDERSON, M.S. The Eastern Question, 1774-1923. A Study in International Relations. London, MacMillan, 1966.

(٤) ANTONIUS, Georges. The Arab Awakening. Beirut, Librairie du Liban, 1969, 5e ed, 471 p.

(٥) ARMSTRONG, H.C. Lord of Arabia - Ibn S'aud. An Intimate Study of a King. London, A. Barker, 1934. 306 p.

(٦) محمد أسد، الطريق الى مكة: إعتمد المؤلف على النسخة الفرنسية المترجمة عن الانجليزية نشر دار Fayard في باريس عام ١٩٧٦م.

(٧) عطار (عدنان)، الحركة التحريرية في الحجاز ونجد، ١٩٠١-١٩٧٣م، بيروت، معتوق إخوان١٣٩٣هـ.

(٨) BELGRAVE, Sir C. The Pirate Coast. London, Bells and Sons. Ltd. 1966.

(٨) BELL, Lady F., D.B.E. The Letters of Gertrude Bell. London, Ernest Benn, Ltd., 1927. 2 vols.

(٩) BENOIST-MECHIN, Ibn Seoud ou la naissance d'un royaume. Paris, Albin Michel, 1955. 454 p.

(١٠) BLUME, Helmut, Saudi Arabien. Tubingen und Basel, Horst Erdmann Verlag, 1976.

(١١) BLUNT, Lady Ann, A Pilgrimage to Najd, the Cradle of the Arab Race, London, john Murray, 1881. 2 vols.

(١٢) BRAY, N.N.E, A Paladin of Arabia. London, Unicorn Press, 1936.

(١٣) BRAY, N.N.E. Shifting Sands. London, Unicorn Press,1934.312 p.

(١٤) BREMOND, General Ed. Le Hedjaz dans la Guerre mondiale.Paris, Payot 1931.

(١٥) BROUCKE, Jeanne, L'Empire arabe d'Ibn Sa'ud. Bruxelles, Falk fils, 1929. 90 p.

(١٦) BULLARD, Sir Reader, Britain and the Middle East London, Hutchinson House 1951.

(١٧) BULLARD, Sir Reader, The Camels must go. London, Faber and Faber, 1961.

(١٨) BURCKHARDT, J.L. Notes on the Beduins and the Wahabys, London, Colburn and Bentley, 1831, 2 vols.

(١٩) BURCKHARDT, J.L. Travels in Arabia. London, Colburn and Bentley, 1829, 2 vols.

(٢٠) BURGOYNE, Elizabeth. Gertrude Bell from Her Personal Papers. 1849-1914. London, Ernest Benn, Ltd., 1958 . 2 vols.

(٢١) BURTON, Sir R. Personal Narrative of a Pilgrimage to Al Madinah and Meccah. New York, Dover Publications, 1964 .2 vols.

(نشر لأول مرة في لندن عام ١٨٥٥-١٨٥٦م.)

(٢٢) BUSCH, B.C. Britain and the Persian Gulf, 1894 -1914. Berkeley and Los Angeles, University of California Press 1967. 432 p.

(٢٣) BUSCH, B.C. Britain, India and the Arabs, 1914-1921. Berkeley and Los Angeles, University of California Press 1971. 522 p.

(٢٤) CHAPMAN, M.K. Great Britain and the Baghdad Railway, 1888-1917. Northampton, Massachusetts, Smith College Studies, 1984.

(٢٥) COLLINS, Robert C. (ed.) An Arabian Diary. Sir Gilbert Clayton. Berkeley and Los Angeles, University of California Press 1969.379 p.

(٢٦) DICKSON, H.R.P. The Arab of the Desert. London, Allen and Unwin, 1949. 666 p.

(٢٧) DICKSON, H.R.P. Kuwait and her Neighbours. London, Allen and Unwin, 1956. 627 p.

(٢٨) DONKAN, Rupert. Die Aufstehung Arabiens, Ibn Sa'ud Weg und Ziel. Bern, Leipzig, Wien, W. Goldmann, 1935.

(٢٩) DOUGHTY, C.M. Travels in Arabia Deserta. Cambridge, Cambridge University Press, 1888. 2 vols.

(٣٠) EARLE, E.M. Turkey, the Great Powers and the Baghdad Railway. A Study in Imperialism. New york, MacMillan, 1924.

(٣١) FITZSIMMONS, M.A. Empire by Treaty. Britain and the Middle East in the 20 th Century. Notre Dame, Notre Dame Press, 1964.

(٣٢) GARNETT, D. (ed.) The letters of T.E. lawrence. London, Jonathan Cape, 1938. 896 p.

(٣٣) GAURY, G`erard de , Arabia Phoenix. London, George Harrap and Co., Ltd. 1947.170 p.

(٣٤) GAURY, Gerard de, Rulers of Mecca. London, Harrap , 1951.317 p.

(٣٥) GLUBB, Sir J.b. Britain and the Arabs A Study of Fifty Years-1908-1958. London, Hodler and Stoughton, 1959. 496 p.

(٣٦) GLUBB, Sir J.b. The Story of the Arab Legion. London, Hodler and Stoughton, 1956.

(٣٧) GLUBB, Sir J.B. War in the Desert. London, Hodler and Stoughton, 1960.

(٣٨) GRAVES, Philip, P. (ed.) Abdullah King of Transjordan, Memoirs, London Jonathan Cape, 1950.

(٣٩) GRAVES, Philip, P. The Life of Sir Percy Cox, London Hutchinson and co. 1941.

(٤٠) HABIB, John S. Ibn Sa'ud's Warriors of Islam. The Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of Sa'udi Kingdom.1910-1930. Leiden. Brill. 1978. 196p.

(٤١) HAIM, S. Arab Nationalism, An Anthology, Berkeley and Los Angeles, University of California Press, 1962.

(٤٢) حمزة (فؤاد بيه)، قلب جزيرة العرب. الرياض . مكتبة النصر الحديثة. ١٣٨٨هـ.

(٤٣) حمزة (فؤاد بيه)، البلاد العربية السعودية. الرياض . مكتبة النصر الحديثة. ١٣٨٨هـ.

(٤٤) HAY, Sir R. The Persian Gulf States. Washington, D.C., The Middle East Institute, 1959.

(٤٥) HITTI, Philip K. History of the Arabs. New york, St. Martin's 1956 (6th ed.). 822 p.

(٤٦) HOGARTH, D.G. Arabia . Oxford, Clarendon, 1922. 140 p.

(٤٧) HOPWOOD, Derek (ed.) The Arabian Peninsula: Society and Politics. London. Allen and Unwin , 1972. 320 p.

(٤٨) HOSKINS, H. L. British Routes to India. London, Frank Cass, 1928.

(٤٩) HOWARD, H.N. The Partition of Turky, A Diplomatic History. New York, Howard Fertig, 1966.

(٥٠) HOWARTH, David, The Desert King, A Life of Ibn Sa'ud. London, Collins 1964. 252 p.

(٥١) ابن عبدالوهاب (الشيخ محمد)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية . ٤ مجلدات . القاهرة، المناصير ١٣٤٩ هـ.

(٥٢) ابراهيم (محمد)، تاريخ المملكة العربية السعودية . الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٣ هـ.

(٥٣) HEDOURIE, E. England and the Middle East: Destruction of the Ottoman Empire. 1914-1921. London, Bowes and Bowes, 1956.

(٥٤) HEDOURIE, E. The Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies. London, Weidenfeld and Nicholson, 1970.

(٥٥) KELLY, J.B. Britain and the Persian Gulf, 1798-1880. Oxford, Clarendon Press. 1968.

(٥٦) KELLY, J.B. Eastern Arabian Frontiers, London, Faber and Faber. 1964. 319 p.

(٥٧) خزعل (الشيخ حسين خلف)، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب . بيروت ، دار الكتاب . الطبعة الثالثة . د . ت .

(٥٨) KOHN, Hans, Nationalism and Imperialism in the Hither East. London, George Routledge and Sons, 1932.

(٥٩) KUMAR, Ravinder, India and The Persian Gulf Region.1858-1907. A Study in British Imperial Policy. New York, Asia Publishing House, 1965.

(٦٠) كرد(علي محمد)، أصل الوهابية في القديم والحديث. القاهرة. المطبعة الرحمانية. ١٣٤٣هـ. ص ١٥٧ - ١٧٣.

(٦١) LANGER, W.L. The Diplomacy of Imperialism. 1890-1902. New York, A.A. knopf, 1965 (2nd ed.)

(٦٢) LAWRENCE, T.E. Revolt in the Desert. London, Jonathan Cape, 1927, 446 p.

(٦٣) LAWRENCE, T.E. Seven Pillars of Wisdom : A Triumph. London, Jonathan Cape, 1935, 702 p.

(٦٤) LEBKICHER, Roy, RENTZ. Georges, STEINECKE, Max, The Arabia of Ibn Sa'ud, New York, Russel F. Moore Company, 1952.

(٦٥) LENCZOWSKI, Georges, The Middle East in World Affairs. Ithaca, Cornell University Press, 1956.

(٦٦) LENCZOWSKI, Georges, Oil and State in the Middle East . Ithaca, Cornell University Press, 1960, 379 p.

(٦٧) LIPSKY, George A . Saudi Arabia, its People its Society, its Culture. New Haven, Hum. Rel. Area File.1959. 366 p.

(٦٨) LONGRIGG, S.H. Iraq, 1900-1950 A Political, Social and Economic History. London, Oxford University Press, 1953.

(٦٩) معدي (م) و موسى (س)، تاريخ الأردن في القرن العشرين. عمّان ١٩٥٩.

(٧٠) MARLOWE, J. The Persian Gulf in the Twentieth Century. London, The Cresset Press, 1962.

(٧١) MEULEN, Daniel van der, The Wells of Ibn Sa'ud. New York, Praeger, 1957. 270p.

(٧٢) MILES, Colonel S.B. Countries and Tribes of the Persian Gulf, London, 1919, reprinted by Frank Cass, London, 1966. 643 p.

(٧٣) MONROE, Elizabeth, Philby of Arabia.London, Faber and Faber. 1973. 322 p.

(٧٤) MONROE, Elizabeth, Btitain's Moment in the Middle East. 1914-1956 London, Chatto and Windus. 1963. 254 p.

(٧٥) MORSY Abdullah Muhammad, The United Arab Emirates. A Modern History. London and New York- Croom Helm-Barnes and Noble, 1978. 365 p.

(٧٦) المختار(صلاح الدين)، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيه وحاضره. بيروت ، دار مكتبة الحياة ،١٩٥٧م.

(٧٧) المميز(أمين) ، المملكة العربية السعودية كما عرفتها. بيروت، دار الكتاب، ١٩٦٣م.

(٧٨) موسى (سليمان)، المراسلات التاريخية. ١٩١٤-١٩١٨ ، مجلدان ، عمان ١٩٧٢م.

(٧٩) موسى (سليمان)، الحركة العربية ، ١٩٠٨-١٩٢٤ ، بيروت ، دار النهار ١٩٧٠م.

(٨٠) موسى (سليمان)، الثورة العربية الكبرى : وثائق وأسانيد ، عمان ، منشورات دائرة الثقافة والفنون، ١٩٦٦م.

(٨١) MUSA, Sulaiman, T.E. Lawrence, An Arab View. London, Oxford University Press, 1966. (مترجم عن العربية).

(٨٢) MUSIL Alois, In the Arabian Desert. New York, Horace Liveright, 1930.

(٨٣) MUSIL Alois, Arabia Deserta. a Topographical Itinerary. New York, American Geographical Society, Oriental Exploration and Studies N° 2, 1927. 631 p.

(٨٤) NALLINO, C. Raccolta di Scritti editi e inediti. Vol. I. L'Arabia Sa'udiana. Roma, Istituto per l'Oriente, 1939, 6 vols. (Vol. I. 303 p.)

(٨٥) NICHOLSON, Harold, Curzon: the Last Phase, 1919-1925. London, Constable 1934.

(٨٦) NEVAKIVI, J. Britain, France and the Arab Middle East, 1914-1920. London, The Athlone Press, 1969.

(٨٧) NEWTON Lord, Lord Lansdowne. A Biography. London, MacMillan, 1929.

(٨٨) PALGRAVE, W.G. Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia, 1862-1863. London, MacMillan & Co., 1865. 2 vols.

(٨٩) PHILBY, H.St.J.B., The Land of Midian, London, Ernest Benn Ltd. 1957. 286 p.

(٩٠) PHILBY, H.St.J.B., Arabian Days, London, Robert Hale Ltd. 1948. 336 p.

(٩١) PHILBY, H.St.J.B., Arabia of the Wahhabis, London, Constable. 1928. 422 p.

(٩٢) PHILBY, H.St.J.B., Arabian Jubilee, London, Robert Hale Ltd. 1952. 280 p.

(٩٣) PHILBY, H.St.J.B., The Heart of Arabia: A Record of Travel. London, Constabl, 1922, 2 vols.

(٩٤) PHILBY, H.St.J.B., Forty Years in the Wilderness, London, Robert Hale Ltd. 1957. 272 p.

(٩٥) PHILBY, H.St.J.B., Saudi Arabia, London, Ernest Benn Ltd., 1955. 393 p.

(٩٦) PHILBY, H.St.J.B., Arabia. London, Ernest Benn Ltd. 1930. 387 p.

(٩٧) PIRENNE, Jacqueline, A la decouverte de L'Arabie. Paris, Le livre contemporain, 1958. 328 p.

(٩٨) قلعجي (قدري)، موعد مع الشجاعة ، قبس من حياة عبدالعزيز. بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٩٧١م.

(٩٩) RASWAN Carl R., Black Tents of Arabia. London, Hutchinson 1935. 280 p.

(١٠٠) RENTZ, G.S., Muhammad Ibn Abdul Wahhab(1703/4-1792) and the Beginning of the Unitarian Empire in Arabia. Unpublished Ph. D. Dissertation, University of California, Berkeley, 1948.

(١٠١) رضا (محمد رشيد): نشر : محمد بن عبدالوهاب ، مجموعة التوحيد النجدية . القاهرة، المناصير، ١٣٤٣هـ.

(١٠٢) RIHANI, Amin, Ibn Sa'oud of Arabia, His people and His Land. London, Constable, 1928. 370 p.

(١٠٣) الريحاني (أمين)، ملوك العرب. مجلدان ، بيروت، طبعة صادر وريحاني، ١٩٥١ .

(١٠٤) الريحاني (أمين)، تاريخ نجد الحديث و الملحقتين. بيروت ، دار ريحاني للطبع والنشر، ١٩٢٨ .

(١٠٥) RONALDSHAY, The Rt. Hon. The Earl of, The Life of Lord Curzon, Being the Authorized Biography of George Nathaniel, Marquis of Curzon of Kedleston, K.G. London, Ernest Benn, 1927-28. 3 vols.

(١٠٦) RUTTER, Eldon, The Holy Cities of Arabia. London, Putnam's Sons Ltd. 1928. 2 vols.

(١٠٧) سعيد (أمين)، تاريخ الدولة السعودية. مجلدان، بيروت، دار الكتاب العربي. د.ت.

[لقد اعتمدنا على المجلد الثاني الذي يغطي الفترة من ١٣١٩هـ الى وفاة عبالعزيز عام ١٣٧٣هـ]

(١٠٨) SANGER, Richard H. The Arabian Peninsula. Ithaca, Cornell University Press, 1954. 295p.

(١٠٩) SETON-WILLIAMS, M.V., Britain and the Arab States: A Survey of Anglo - Arab Relations 1920-1948. London, Luzac, 1948. 330 p.

(١١٠) SHWADRAN, B., Jordan: A State of Tension. New York, Council for Middle Eastern Affairs,1959.

(١١١) STORRS, Sir Ronald, Orientations. London, Ivor Nicholson and Watson 1937. 532p.

(١١٢) STUHLMANN, Franz, Der Kampf um Arabien zwischen der Turkei und England. Brunswick, Georg Westermann Verlag, 1916.

(١١٣) THESIGER, W., Arabian Sands, London, Longmans,1959. 326 p.

(١١٤) THOMAS, Bertram, Arabia Felix. London, Jonathan Cape, 1932. 398 p.

(١١٥) TIBAWI, A.C., Anglo - Arab Relations and the Question of Palestine 1914-1921. London, Luzac, 1977.

(١١٦) TROELLER, Gary, The Birth of Saudi Arabia. Britain and the Rise of the House of Sa'ud. London, Frank Cass, 1976. 287 p.

(١١٧) TWITCHELL, K.S. Saudi Arabia. Princeton University Press, 1958 (3 rd ed.). 281p.

(١١٨) VIDAL P.S., The Oasis of al- Hasa. Dhahran and New York, Aramco 1955, 216 p.

(١١٩) وهبة (حافظ)، جزيرة العرب في القرن العشرين. القاهرة. لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٩٣٥.

(١٢٠) WAHBA , Hafiz Cheikh , Arabian Days. London, Arthur Baker Ltd. 1964. 184 p.

(١٢١) Williams, K., Ibn Sa'ud: The Puritan King of Arabia. London, Jonathan Cape, 1933. 299 p.

(١٢٢) WILSON, Sir Arnold T., The Persian Gulf, An Historical Sketch From the Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century .Oxford, Clarendon Press. 1928.

(١٢٣) WILSON, Sir Arnold T., Loyalties-Mesopotamia.Vol. I. 1914-1917. Vol. II.1917-1920, London, Oxford University Press. 1936, 2 vols.

(١٢٤) WINDER, Bailey R., Saudi Arabia in the Nineteenth Century. New york, St. Martin's Press, 1965. 283 p.

(١٢٥) WINSTONE , H.V. F., Captain Shakespear. A Portrait. London, Jonathan Cape, 1976. 236 p.

(١٢٦) ZEINE, N.Z., The Struggle for Arab Independence: Western Diplomacy and the Rise and Fall of Faisal's Kingdom of Syria. Beirut, Khayat's, 1960. 279 p.

ZEINE , N.Z., the Emergence of Arab Nationalism Beirut Khayat`s, 1966. (2nd ed) .

(١٢٧) الزركلي (خير الدين)، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز. ٣ مجلدات، بيروت. دار القلم، ١٩٧٠.

(١٢٨) ZISCHKA, Antoine, Ibn Sa'ud - Roi de l'Arabie. Paris, Payot, 1934. 248 p.

ZWEMER, S.M., Arabia: The Cradle of Islam. Edinburgh, Oliphant (١٢٩) Anderson and Ferrier, 1900. 434 p.

رابعاً: المقالات

(1) ASHKENAZI, Touria " The Anazah Tribe" in Southwestern Journal of Anthropology. Vol. IV (1948) pp. 222-239.

(2) CUNNINGHAM, A., " The Wrong Horse ? A Study of Anglo- Turkish Relations before the First World War." in Albert Hourani (ed.) Middle Eastern Affairs. No.4. St. Antony's Papers No.' 17, Oxford,(1965).

(3) HOGARTH, D.G. " Wahhabism and British Interests ", in Journal of the British Institute of International Affairs. Vol. IV. (1925).

(4) LEACHMAN, G. , " A Journey through Central Arabia", in Journal of the Royal Geographical Society. Vol. 43, pp. 500-520. 1914.

(5) MUSIL. A., " Religion and Politics in Arabia ", in Foreign Affairs. New York. July 1928. Vol. 6. N'4. pp. 675-681.

(6) PELLY. Lt. Col. Lewis " A Visit to the Wahabee Capital, Central Arabia " in Journal of the Royal Geographical Society. Vol. XXXV. (1865) pp. 169-190.

(7) PHILBY, H.St.J.B., " The Triumph of the Wahhabis" in Journal of the Central Asian Society. Vol. XIII.(1926), pp. 293-319.

(8) PHILBY, H.St.J.B., " The Recent History of the Hedjaz" in Journal of the Central Asian Society. Vol. XII. (4)(1925), pp. 332-348.

(9) RENTZ, George, S. " Notes On Dickson's The Arab of the Desert ", in The Muslim World.Vol. XLI (1951), pp. 49-64.

(10) RENTZ, George, S. " Saudi Arabia - The Islamic Island ", in Journal of International Affairs.Vol. XIX (1965), pp. 77-86.

(11) RIHANI, A.," Arabia : an Unbiased Survey" in Journal of the Central Asian Society. Vol. XVI. pp. 35-55.

(12) SCHELTEMA, J.P.," Arabs and Turks" in Journal of the American Oriental Society. Vol. XXXVII. (1917). pp. 153-161.

(13) TOYNBEE, A.," The Rise of the Wahhabi Power" & " The Delimitation of Frontiers",in Survey of International Affairs. (1925), Vol. I. (1927). pp. 271-324. and pp. 324-346.

(14)TROELLER, G. " Ibn Sa'ud and Sharif Husain: A Comparison in Importance in the Early Years of the First World War", in Historical Journal, Vol. 14. N° 3 (1971).

المحتويات

الباب الأول

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع
الاستقرار والتوطيد

